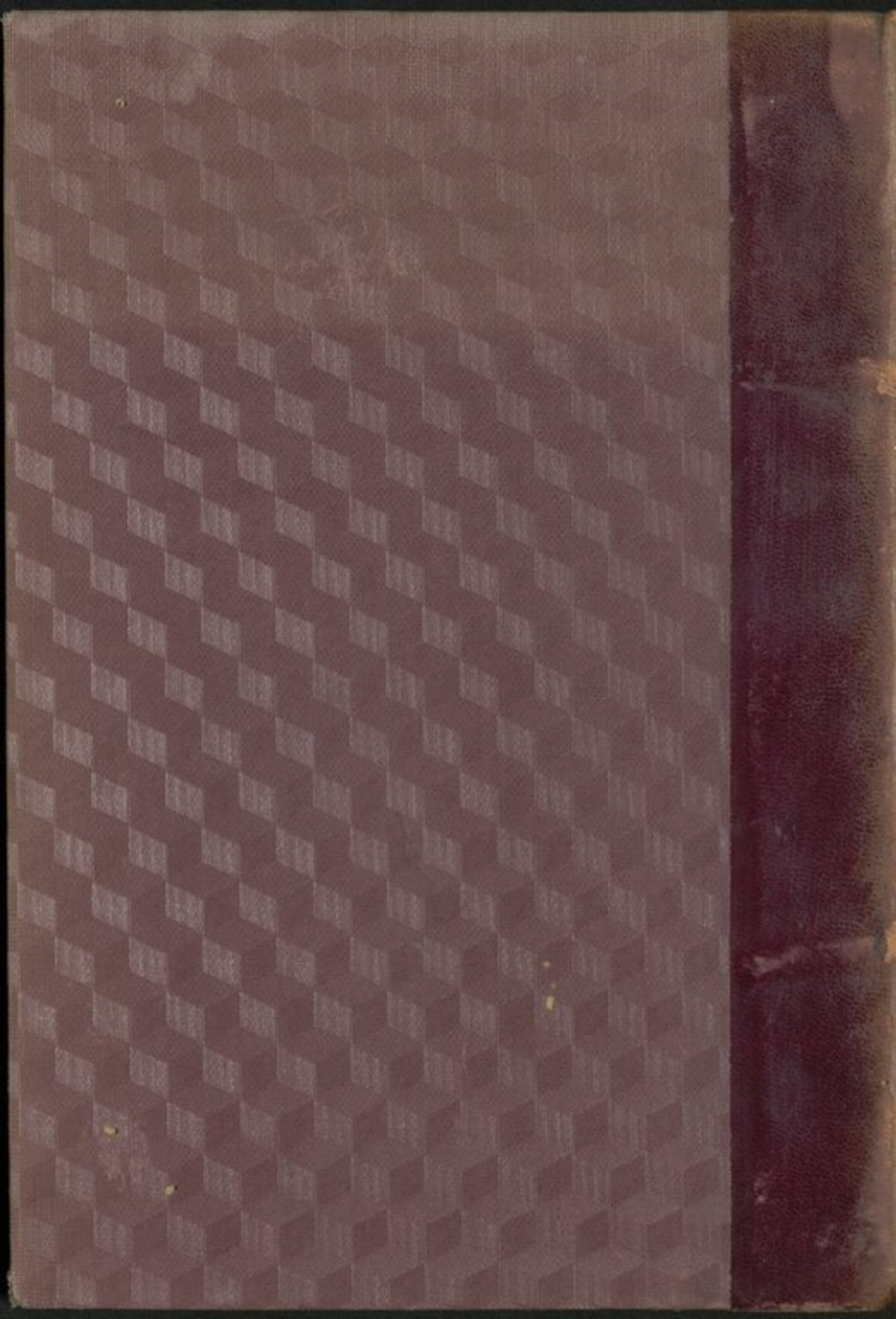
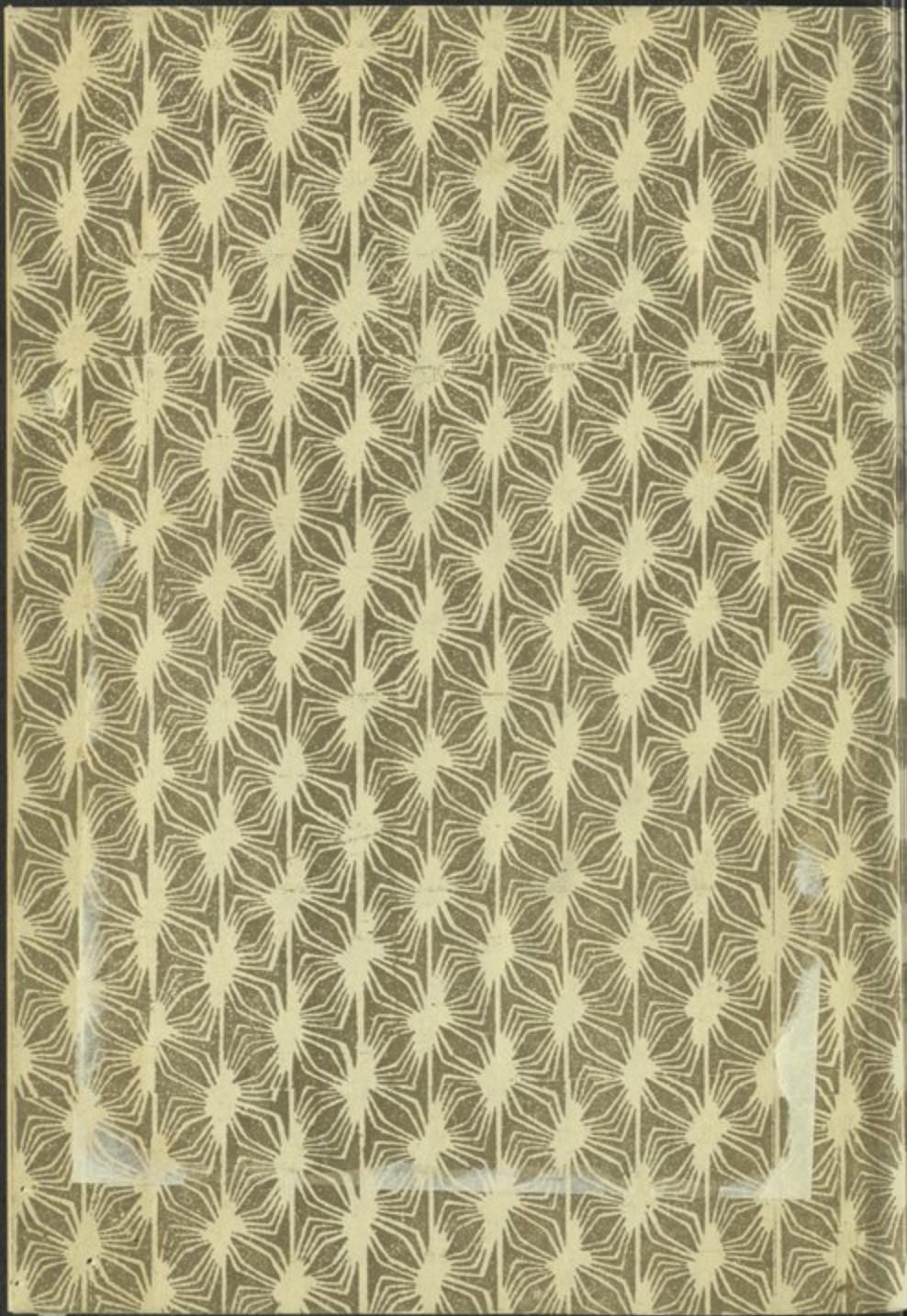




AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه أستعين

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد فهذا (الجزء الثاني) من قصص الأنبياء ويشمل (أولى العزم من الرسل) وهم :

نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ، صلوات الله عليهم وقد خصصنا لهم هذا الجزء إظهاراً لفضلهم ، وعملاً بقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ البقرة

أى يقول الله تعالى ذكره : هؤلاء رسلى فضلت بعضهم على بعض فكلمت بعضهم ، والذي كلمته منهم : موسى بن عمران ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ النساء ، ورفعت بعضهم على بعض درجات بالكرامات والمعجزات ورفعة المنزلة

فأتى الله عيسى بن مريم الحجيح والبراهين الدالة على نبوته من
إبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى وما أشبه ذلك ، مع الانجيل
الذى أنزله اليه ، وأيده وقواه وأعانه بروح القدس ، وهو جبريل لقوله تعالى :
﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾
البقرة

ورفع درجة سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم فوق درجة النبيين
وأرسله الى الناس كافة ؛ لقوله تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ سبأ

وجعله سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، واختتمت به الرسالة ، فلا
يأتى نبي بعده لقوله صلى الله عليه وسلم : « لاني بعدى »

ومما يدل على ذلك أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم : « أعطيت خمسا لم
يعطهن أحد قبلى : بعثت الى الأحمر والأسود ، ونصرت بالرعب
فان العدو ايرعب منى على مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض
مسجداً وطهوراً ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد كان قبلى ،
وقيل لى : سل تعطه ، فاخبتأتها شفاعة لأمتى ، فهى نائلة منكم إن شاء
الله من لا يشرك بالله شيئا »

وختاماً أرجو الله أن ينفعنا ببركتهم ، ويهدينا للعمل بسنتهم ،
والسير على طريقتهم ، وأن يجعل خير أعمالنا خواتيمها ، وخير أيامنا يوم
لِقائِهِ ؛ إنه السميع المجيب ما
السير على فسكى

الأمين الأول

مصر الجديدة

في يوم الخميس ١٦ شوال سنة ١٣٥٢ لدار الكتب المصرية
أول فبراير سنة ١٩٣٤ ورئيس المغيرين

٣ - قصة سيدنا نوح عليه السلام

أرسل الله سبحانه وتعالى نوحًا عليه السلام الى قومه ، لينذرهم ويخوفهم عاقبة تماديهم في الباطل ، ويأمرهم بترك عبادة الأصنام التي كانوا يعبدونها ، وهي حجارة يصنعونها بأيديهم ، وأخذ يبين لهم أنها حجارة لا تضر ولا تنفع ، ولا يليق بهم أن يعبدوها ويدلوا أنفسهم لها ، وهم عقلاء مفكرون ، وذلك قوله تعالى :

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ نوح

وقال لهم : اعبدوا الله وخافوه وأطيعوه يغفر لكم ذنوبكم كما قال تعالى :
﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا مَنْ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ نوح

ويبيحكم الى أقصى ما قدره لكم من بقاء في هذا العالم كما قال تعالى :
﴿ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ نوح

وأخذ يدعوهم ليلا ونهارا وهم يفرون منه وكان كلما ينصح لهم يفرون منه ، ويعرضون عنه ، ويضعون

أصابهم في آذانهم لثلاث سمعوا ، ويفظون وجوههم بثيابهم كراهة
النظر اليه ، وأصروا على كفرهم ، وتكبروا عن سماع نصيحته ،
وذلك قوله :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي
إِلَّا فِرَارًا . وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ
وَأَسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ نوح

وقال: لقد حاولت اقناعهم على وجوه شتى فدعوتهم جهاراً بغير تحفظ،
ثم أعلنت لهم وأسررت اليهم القول إسراراً كما قال تعالى حكاية عنه :
﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ
إِسْرَارًا ﴾ نوح

وقلت لهم : اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ وتوبوا اليه فانه غفور رحيم يقبل
توبة من تاب وأناب اليه كما قال تعالى :

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ نوح
ولأنه يرسل المطر عليكم هطالاً ليسقي به زرعكم ونباتكم ، ويمدكم
بالأموال والبنين ، ويجعل لكم أنهاراً وبساتين ، فالكلم لا ترعون طاعته
وتعظيمه وتوقيره ؟ يثبت ذلك قوله تعالى :

﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ

وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٠﴾

وقد خلقكم نطفة ثم عاقه ثم مضغة ثم عظاما لحما فتبارك الله أحسن الخالقين
لقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ أى طوراً بعد طور من مادة

صماء الى بشر سوى

ثم ذكرهم بعظمة قدرة الله وشديد بطشه وقوته ، فقال لهم : انظروا
كيف خلق الله سبع سموات بعضها فوق بعض وجعل فيهن قرراً وشمساً
لأنارة الكون وحياته ؟ لقوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ
فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ نوح

ثم ذكرهم بأن الله سبحانه وتعالى هو الذى خلقهم من تراب
الأرض ثم يعيدهم فيها ثم يخرجهم منها لقوله تعالى :

﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ
إِخْرَاجًا ﴾ نوح

ثم بين لهم عظمة الخالق جلت قدرته ، وقال لهم : هو الذى جعل
لكم الأرض مبسوطة تمشون وتمرحون فيها ، وتقلبون عليها ، لتخترقوا
منها طرقاً واسعة متفرقة لقوله تعالى :

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَا جًا﴾
 أى طرقاً واسعة

نوح
 وكان نوح عليه السلام يدعوهم لطاعة الله وعبادته ، ويدكرهم بكل
 هذا فى مجالسهم ويوتهم وهم يعصونه ، ولم يقدم نصحه ، فقال فى
 دعائه : رب انهم عصونى واتبعوا رؤساءهم الذين اغتروا بأموالهم وأولادهم
 ومكروا مكرآ عظيماً ، وعكفوا على عبادة أصنامهم الموروثة عن آبائهم
 وهى المذكورة فى قوله تعالى :

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ
 إِلَّا خَسَارًا وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ
 وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾
 نوح

ولقد أضلت هذه الأصنام كثيراً من الناس فلم تزد الظالمين إلا ضلالاً
 حتى استحقوا من الله أشد العقوبات فى الحياة الآخرة لقوله تعالى :

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾
 نوح
 ومن أجل خطيئاتهم هذه أغرقهم الله بالطوفان ، فدخلوا ناراً ولم
 تغن عنهم الأصنام التى كانوا يعبدونها من عذاب الله شيئاً

﴿يَمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ

الله أَنْصَارًا ﴿ نوح

ثم قال نوح داعياً ربه : لا تترك على الأرض من الكافرين الضالين أحداً

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾

أى واحداً نوح

فانك ان تركهم يضلوا عبادك ، ولا يلدوا إلا فاجرا كثير الكفران

والجحود مثلهم

﴿ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ نوح

ثم دعا لنفسه ولوالديه ولمن دخل بيته من المؤمنين والمؤمنات بالرحمة والغفران قائلًا :

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ

وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ نوح

ثم دعا على الظالمين بالهلاك قائلًا :

﴿ وَلَا تَرِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ أى هلاكاً ودماراً - نوح

واستمر نوح على هذه الحال الف سنة إلا خمسين عاماً لقوله تعالى :

﴿ فَلَمَبَتْ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ العنكبوت

ثم أوحى الله الى نوح لما حقَّ على قومه القول ، وأظلم أمر الله أنه

أن لن يؤمن يانوح بالله وحده ويتبعك على ماتدعوه اليه من قومك ،
إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ ، فصدق بذلك ، واتبعك ، فلا تحزن بما كانوا يفعلون ،
ولا تأسف على ضياع مجهودك الطويل ، فهو عند الله محفوظ ، لأن الله
لا يضيع أجر العاملين

﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ
فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ هود

فاني مهلكهم ومنقذك منهم ومن اتبعك

ثم أمره أن يصنع الفلك ، وهو السفينة تحت رعايته وبوحي منه ، ولا
يشفع في الذين ظلموا أنفسهم من قومه ، فإنهم محكوم عليهم بالغرق بالطوفان
﴿ وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ
ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُفْرَقُونَ ﴾ هود

فأخذ نوح يصنع السفينة كما أمره الله ، وكلما مرَّ عليه جماعة من
كبراء قومه سخرخوا منه هزواً ويقولون له : أتحولت نجاراً بعد النبوة
وتعمل السفينة في البر ؟ فيقول لهم نوح : ان تسخرخوا منا أى ان تهزخوا
بنا اليوم ، فانا نهزأ بكم في الآخرة ، كما تهزءون بنا في الدنيا ، سوف
تعلمون أيها القوم اذا جاء أمر الله بالهلاك من يأتيه عذاب يخزيه
ويهيئه ويحل به عذاب دائم لا انقطاع له ؟

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلَكَ وَكَلَّمَا مَرْءً عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ
 قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ فَسَوْفَ
 تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ هود
 ولما أتم نوح صنع السفينة ، وجاء أمر الله الذي وعده أن يجيىء قومه
 من الطوفان الذى يغرقهم ، فتفجرت ينابيع الأرض وأمطرت السماء
 مددرا ، وفار التنور ، أى القدر الساخن المملوء بالماء الذى جعل الله
 فورانه بالماء آية مجيىء العذاب لهلاك قوم نوح

ثم قال الله لنوح : احمل فى السفينة من كل زوجين اثنين . يعنى ذكرًا
 وأنثى ، واحمل أهلك أيضا فى الفلك ماعدا الذى قلت إني مهلكه مع
 من أهلك من قومك ، وكذا احمل من آمن وهم عدد قليل
 ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ
 زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا
 آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ هود

خملهم نوح فى السفينة ، وقال لهم : اركبوا فيها على بركة الله ، فانها
 ستجىء بسم الله ، وترسو بسم الله ، فبسم الله يكون مجراها ومرساها
 فان ربى غافر الذنب ، وقابل التوب ، رحيم فلا يعذب بعد التوبة
 من تاب اليه

﴿ وَقَالَ أَزْكِبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ تَجْرِبُهَا وَهِيَ رَسْمُهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ هود

وصارت السفينة تجرى بهم ، أى بنوح ومن معه فيها ، فى موج كالجبال ، وقد تخلف ولده (يام) وكان فى معزل عن والده فلم يركب السفينة ، فنادى نوح ابنه قائلا له : يا بنى اركب معنا الفلك ولا تكن مع الكافرين ﴿ وَهِيَ تَجْرَى بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحُ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَى أَزْكِبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾ هود
فأجابه قائلا : سأوى إلى جبل يعصمنى وأتحصن به من الماء فيمنعنى من الغرق

﴿ قَالَ سَاوِيَ إِلَى جِبَلٍ يَْعَصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴾ هود

فقال نوح لابنه : لآمانع اليوم من أمر الله إلا من رحمه الله ، ولا نجاة من عذابه ، فإنه هو الذى يمنع من يشاء من خلقه ، ويعصم من يشاء ، وحال بين نوح وابنه موج الماء فغرق ، فكان ممن أهلكه الله بالغرق من قوم نوح عليه السلام

﴿ قَالَ لَأَعاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾ هود

ثم قال الله تعالى للأرض ، بعد ما نفذ أمره فى هلاك قوم نوح بما

أهلكهم به من الغرق : يارض اشربي ماءك ، ويسماء كفى
عن المطر وأمسكى ، فشربت الأرض الماء وجفت ، ومضى أمر الله
بهلاك قوم نوح ، واستوت السفينة ورست على جبل بناحية الموصل
أو الجزيرة يقال له (الجودي) وقيل : أبعد الله القوم الظالمين الذين
كفروا بالله من قوم نوح ، وكان جزاءهم الغرق عقوبة من الله لهم في
الدنيا ثم مصيرهم الى النار في الآخرة

﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيَضَ الْمَاءُ
وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ هود
ثم نادى نوح ربه فقال : يارب إنك وعدتني أن تنجيني من الغرق
والهلاك وأهلي أيضاً ، وقد غرق ابني ، وابني من أهلي ، وإن وعدك الحق
الذي لا خلف له ، وأنت أحكم الحاكمين ، فاحكم لي بأن تنجي لي بما وعدتني
به من أن تنجي لي أهلي وترجع إليّ ابني
﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ
الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ هود

فقال الله لنوح : يا نوح ان الذي أغرقته الذي تذكر أنه من أهلك
ليس هو من أهلك الذي وعدتك أن أنجيهم ؛ لأنه كان لدينك مخالفاً
وبي كافراً ، وكان عمله هذا عملاً غير صالح

﴿ قَالَ يَأْتُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ هود
والآن وقد أخبرتك عن سؤالك سبب هلاك ابنك الذي أهلكته
فلا تسألني بعدها عما قد طويت علمه عنك من أسباب أفعالي وليس
لك به علم ، إني أعظك أن تكون من الجاهلين ، أى تبلغ الجهالة بك
الظن ألا أفي لك بوعد وعدتك حتى تسألني ما ليس لك به علم
﴿ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ
الْجَاهِلِينَ ﴾ هود

فقال نوح عليه السلام مستغفراً من زلته في مسأله التي سألها ربه
في ابنه : يارب إني أستجير بك أن أتكلف مسألتك ما ليس لي به علم
مما قد أحطت بعلمه وحدك منفرداً عن خلقك ، فاغفر لي زلتي فيما
سألتك في ابني ، وإن أنت لم تغفرها لي وترحمني فتتقذني من غضبك
أكن من الخاسرين

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا
تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ هود

ثم قال الله لنوح : أنزل من الفلك الى الأرض بسلام منا أنت
ومن معك وبركات (خيرات) وزيادات في الرزق والنسل عليك
وعلى أمم ممن معك ، وأمم ممن معك ستمتعهم في الحياة الدنيا ثم

يسهم منا عذاب اليم

﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ
مِّنْ مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ هود

وكان هبوط نوح من السفينة يوم عاشوراء

روى ابن جرير الطبري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
في أول يوم ركب نوح في السفينة فصام هو وجميع من معه ،
وجرت بهم السفينة ستة أشهر فأنهى ذلك الى المحرم فرست السفينة
على الجودي (يوم عاشوراء) فصام نوح وأمر جميع من معه فصاموا شكراً
لله ، ولما هبط نوح ومن كان معه في السفينة قسم ثلاثاً على بنيهِ
الثلاثة : سام ، وحام ، ويافت ، لكل منهم ثلثها ، قال تعالى :

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ
عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ الصافات

وقد قيل : ان نوحا عاش بعد ذلك خمسين وثلاثمائة سنة ، وقد انتشر

نسله عليه السلام من عهده الى وقتنا هذا ولذا سمي (أبا البشر الثاني)

صفات سيدنا نوح عليه السلام

سمى نوحاً لكثرة نوحه على نفسه ، وكان أول نبي من أنبياء
الشريعة المطهرة ، وأول داع الى الله تعالى ، وأول نذير عن الشرك ،
وأول من عذبه قومه لردهم دعوته ، وأهلك أهل الأرض كلهم بدعائه
وكان عليه السلام أطول الأنبياء عمراً ، وقيل أكبر الأنبياء
وشيوخ المرسلين

وجعل معجزته في نفسه ؛ لأنه عمّر ألف سنة ولم ينقص له سن ،
ولم تنقص له قوة ، ولم يبالغ أحد من الرسل في الدعوة مثل مابالغ
وكان يدعو قومه ليلاً ونهاراً ، وأعلاناً وسراً ، ولم يلق نبي من أمته
من الضرب والشم وأنواع الأذى والجفاء مثل ملاقي نوح عليه السلام ،
فلذلك قال الله تعالى :

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَى ﴾ النجم
وجعل ثاني المصطفى في الميثاق والوحي قال تعالى :
﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ ﴾ الأحزاب
وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحِ
وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ النساء

وهو أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة بعد محمد صلى الله عليه وسلم

وأول من أعطاه الله علم الفلك وصنعتة وحفظه بما فيه ، وأجراه فوق الماء وسماه شكوراً فقال تعالى :

﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ الإسراء

ولقد أكرمته الله بالسلامة والبركة فقال تعالى :

﴿ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ

مِمَّنْ مَعَكَ ﴾ هود

وجعل الله ذريته هم الباقون في الأرض بعد مهلك قومه ، وترك له ذكراً جميلاً فيمن تأخر بعده من الناس يذكرونه به ؛ لأنه من عباد الله المؤمنين به وقال تعالى :

﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ

سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ

عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الصافات

وهو عليه السلام معصوم ، ولم يصدر منه ما يخالف العصمة .

(م - ٢ - نى)

أما دعاء ربه نجاة ابنه من الفرق ، فكان ذلك منه للاستعاذة
وطلب المغفرة ولا ذنب ولا معصية لأنه معصوم ، أما قول الله تعالى له :

﴿ إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ هود

فهو من باب التحذير فقط لانسبة الجهل اليه ، وانه أتى ذنباً بسؤاله
ربه نجاة ابنه شفقة عليه؛ لأن استعاذة الأنبياء وطلبهم الغفران ودعاءهم
كل ذلك من قبل اظهار العبودية لمالك الملك الكبير المتعال

١٦ - قصة ابراهيم الخليل عليه السلام

سيدنا ابراهيم، هو خليل الله عليه الصلاة والسلام ابن (آزر) ويتصل نسبه (إسماعيل) بن نوح عليه السلام، وكان أبوه نجاراً ينحت الأصنام ويبيعها ممن يعبدوها، أما ابراهيم عليه السلام فقد أنار الله بصيرته وهداه الى الرشد، فعلم أن الأصنام لا تبصر شيئاً، ولا تسمع نداء، ولا تجيب دعاء، ولا تضر ولا تنفع، وأنها مثل الخشب الذى تصنع منه، وأن أباه هو الذى يصنعها، ورأى أن أهله وقومه يعبدونها من دون الله، فشرع فى أن ينهاهم عن عبادتها ويستهرى بهم، وأن يقيم عليهم الحجة فى توحيد الله وعبادته، ودعا أباه الى دين الله

فقال لأبيه وقومه : ماهذه التماثيل التى أنتم على عبادتها مواظبون ؟
قالوا : وجدنا آباءنا يعبدونها فخذونا حذوهم فى عبادتها

قال : لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ . إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ . قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ . قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ الأنبياء

فاستبعدوا أن يبلغ الأمر بابراهيم أن يحكم عليهم بضالهم وضلال
آبائهم ، فقالوا له : أقول ذلك جداً أم هزلاً ؟ قال : بل جثكم بالحق
لا اللعب ، ربكم رب السموات والأرض الذى خلقهن وأنا على ذلكم
من الشاهدين ، فاياهم فاعبدوا لاهذه التماثيل

قال تعالى : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ . قَالَ
بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ
مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ الأنبياء

فاقسم ابراهيم بالله قائلاً : لا والله لا أكسرن أصنامكم بعد أن
تذهبوا الى عيدكم . فدخل الى هيكلهم فحطم آلهتهم قطعاً عداً أكبرها
حجماً فقد تركه حتى اذا رجعوا اليه بالسؤال عن فعل ذلك ؛ وقالوا :
من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين ؟ ردهم الى سؤال آلهتهم
لتجيب إن كانت تملك الكلام

قال تعالى : ﴿ وَتَأْتَهُ لَأَسْكِدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ .
فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ . قَالُوا مَن فَعَلَ
هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ . قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ
لَهُ إِبْرَاهِيمُ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ الأنبياء
وأراد ابراهيم بهذه الطريقة أن يفهم القوم مركز آلهتهم وقيم

لهم الحجة عملياً على أنها لا يمكن أن تلحق بهم أذى إذا تركوا عبادتها أو تكسبهم خيراً إذا عبدوها ، لأن البرهان العملي أوقع في النفس من غيره

ثم قالوا لآبراهيم : أنت صنعت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ؟ قال : لا . بل فعله كبيرهم هذا ، وأشار الى الصنم الأكبر الذي تركه سليمان . وقال : فاسألوهم ان كانوا ينطقون ؟

قال تعالى : ﴿ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ . قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ الأنبياء

فلما سمعوا هذا القول من إبراهيم عليه السلام رجعوا الى صوابهم ونظر بعضهم الى بعض فقالوا : انكم معشر القوم لظالمون لهذا الرجل في مسألتكم إياه ، وعرفوا أن آلهتهم لا تضر ولا تنفع ، ولا تدفع ولا تبطش ، ولا تكلم فتخبر من صنع هذا بها ، فنكسوا رؤوسهم اعترافاً باقامة الحجة عليهم من إبراهيم ، ثم عادوا فانقلبوا الى المجادلة بالباطل وقالوا له : لقد علمت أن هؤلاء الأصنام لا ينطقون

قال تعالى : ﴿ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ الأنبياء

فقال لهم ابراهيم : أفتعبدون أيها القوم مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم؟ وهاتم أولاً قد علمتم أنها لم تمنع نفسها ممن أرادها بسوء ولم تقدر أن تنطق إن سُئلت عن يمسها بسوء فتخبر به ؟ قبحاً لكم وللآلهة التي تعبدونها من دون الله ! فهلا تعقلون ذلك وتتركون عبادتها وتعبدون الله الذي فطر السموات والأرض والذي بيده النفع والضر ؟

قال تعالى : ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾
الأنبياء

فلما عجزوا عن مجادلته في الحق ، ولم تصادف موعظته منهم قلوباً واعية ، وأذناً صاغية ، عمدوا الى اتخاذ سلاح القوى الجبار الذي لاحق معه إزاء الحق الضعيف ، فقال بعضهم لبعض : حرقوا ابراهيم بالنار وانصروا آلهتكم إن كنتم ناصريها حقاً . فأوقدوا ناراً عظيمة وألقوه فيها قال تعالى : ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ الأنبياء

فنجاه الله منها وقال : يانار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم ، فلم تصبه بسوء باذن الله ولم تؤثر فيه مطلقاً ، فلما رأى قوم ابراهيم هذه المعجزة آمن به بعضهم وأصر الباقون على كفرهم وعنادهم

وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ وَجَعَلَهُمْ مِنَ الْأَخْسَرِينَ الْهَالِكِينَ
 قَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا
 بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾ الْأنبياء

ونجى الله ابراهيم ولوطاً من أعدائهما (النمرود وقومه) فنقلهما
 من أرض العراق الى أرض الشام وهى الأرض المباركة التى بارك الله
 فيها للعالمين ، فنزل ابراهيم عليه السلام بفلسطين ، ولوط بالموتفكة
 وبينهما مسيرة ليلة

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا
 لِلْعَالَمِينَ ﴾ الْأنبياء

١ — مجادلة ابراهيم عليه السلام لأبيه وقومه

ان قوم ابراهيم كانوا يعبدون الأصنام ينحتونها ويسمونها بأسماء
 الكواكب كالشمس والقمر ونحوهما ، فأراد ابراهيم أن يبين لهم أن
 الكواكب والشمس والقمر لا تصلح لأن تكون آلهة تعبد من دون
 الله . وإِنَّمَا الإله الذى يعبد هو الذى خلق السموات والأرض
 ويده ملكوت كل ما فيهما فقال ابراهيم لأبيه (آزر) : يَا أَبَتِ اتَّخِذْ
 الأصنام آلهة ؟ إني أراك وقومك فى ضلال مبين بعيدين عن الحق

وقد أراه الله ملكوت السموات والأرض ، أى عجائبهما وبدائعهما
وأسرار الربوبية فيهما ليستدل بهما على وجود بارئهما ويكون من
أصحاب اليقين

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا
آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ
مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيْكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ الأنعام
فلما ستره الليل بظلامه رأى كوكبًا ، وكان قومه يعبدون الكواكب ،
فأراد أن يرشدهم الى الله من طريق الحس والنظر والاستدلال . فقال :
هذا ربى . فلما غاب . قال : لا أحب الغائبين فما بالك بعبادتهم ؟
قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا
رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ الأنعام

فلما طلع القمر قال : هذا ربى . فلما غاب ، قال : لئن لم يهدينى ربى
اليه لأكونن من الضالين ، أى من القوم الذين أخطأوا الحق فلم يصيبوا
الهدى وعبدوا غير الله

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ
قَالَ لَنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ الأنعام

ولما رأى الشمس طالعة قال : هذا الطالع ربى . هذا أكبر من
السكواكب والقمر ، فلما غابت الشمس قال إبراهيم لقومه : يا قوم إني
برئ مما تشركون ، أى من عبادة الأصنام والسكواكب والقمر والشمس
قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّى هَذَا
أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّى بَرِئٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾

الأنعام

فلما تبين لإبراهيم عليه السلام الحق وعرفه شهد شهادة الحق ، وقال
لقومه : يا قوم انى برئ مما تشركون مع الله الذى خلقنى وخلقكم فى
عبادته من آلهتكم وأصنامكم (وانى وجهت وجهى) فى عبادتى الى
الله الذى خلق السموات والأرض الدائم الذى يبق ولا يفنى ويحيى
ويميت (حنيفاً) أى مستقيماً مخلصاً ، وما أنا من المشركين الذين أشركوا
فى عبادة الله غيره ، فلست ممن يدين بدينكم ويتبع ملتكم أبها
المشركون .

قال تعالى : ﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ الأنعام

فجادله قومه وخاصموه فى توحيد الله وبراءته من الأصنام بقولهم :
ان آلهتهم التى يعبدونها خير من إلهه . فقال لهم إبراهيم : أتجادلوننى

في وحيد الله وإخلاص العمل له دون ماسواه ، وقد وقفتي ربي
وهداني الى معرفة وحدانيته وبصرني طريق الحق ، طريق الهدى
والرشاد ، حتى أيقنت ألا شئ يستحق أن يعبد سواه ، ولا أخاف
من آلهتم التي تدعونها من دونه أن ينالني منها شئ في نفسى من سوء
ومكرهه ؛ لأنها لا تنفع ولا تضر إلا أن يشاء الله ؛ ولكنى أخاف الله الذى
خلقنى وخلق السموات والأرض ، فانه القادر العليم بكل شئ الذى وسع
كل شئ ، علماً فلا يخفى عليه شئ في الأرض ولا في السماء ، أفلاتذكرون
وتعتبرون أيها الجهلة فتعقلوا خطأ ما أنتم مقيمون عليه من عبادتكم صورة
مصورة ، وخشبة منحوتة ، لا تقدر على ضر ولا نفع ولا تفقه ولا تعقل شيئاً
قال تعالى : ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ
وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ
عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ الأنعام

ثم قال لهم : وكيف أخاف وأرهب أصنامكم وهم لا يضرون ولا
ينفعون ؟ ولو كانت تنفع أو تضر لدفعت عن نفسها كسرى إياها وضربى
لها بالأس

وكيف أنتم لاتخافون الله الذى خلقكم ورزقكم ؟ وهو القادر على
نفعكم وضركم فيما ارتكبتموه من الجريمة الشنعاء ، وهى أنكم أشركتم

بالله ما لم ينزل به عليكم حجة ناهضة وبرهاناً ، ولم يجعل لكم به عذراً ،
فأى الفريقين منا أحق بأن تكون نفسه آمنة مطمئنة إن كنتم تعلمون
صدق ما أقول وحقيقة ما أحتج به عليكم ؟

قال تعالى : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ
أَنْتُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ
أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ الأنعام

وكان فصل القضاء من الله بين ابراهيم خليله عليه السلام وبين
من حجه من قومه من أهل الشرك بالله قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ
وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ الأنعام

أى الذين أخلصوا لله كإخلاص ابراهيم عليه السلام لعبادة الله
وتوحيده ، ولم يخلطوا إيمانهم بشرك ، أولئك لهم الأمن الصحيح
وهم مهتدون

وكان قول ابراهيم عليه السلام لمخاصميه من قومه المشركين أى
الفريقين منا أحق بالأمن والطمأنينة ؟ الذى يعبد رباً واحداً مخلصاً
له الدين والعبادة ، أم الذى يعبد أرباباً كثيرة ؟ هو حجة من الله
منحها إياه على قومه فرفع بها درجته عليهم وشرفه بها فى الدنيا والآخرة

فجعله من عباده الصالحين ، فان الله يرفع من يشاء ، ويخفض من يشاء ،
 حكيم في رفعه وخفضه ، عليم بحال من يرفعه أو يخفضه واستعداده له
 قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ
 دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ الأنعام

٢ — محاوراة ابراهيم لأبيه ونصحه له بعبادة الله

وترك عبادة الأوثان

يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكروا في كتاب
 الله ابراهيم خليل الرحمن فاقتصص على هؤلاء المشركين قصصه وقصص
 آبيه (إنه كان صديقاً) أى من أهل الصدق فى حديثه وأخباره
 ومواعيده لا يكذب

(وكان نبياً) قد نبأه الله وأوحى اليه : واذكروا إذ قال لأبيه : يا أبت
 لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً ؟ أى كيف تصنع
 بعبادة الوثن الذى لا يضر ولا ينفع ؟

قال تعالى : ﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا
 نَبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي
 عَنْكَ شَيْئاً ﴾ مريم

ثم قال له يا أبت إني قد آتاني الله من العلم ما لم يؤتكَ ، فاتبعني
واقبل نصيحتي أهدك الطريق السوي المستقيم الذي لا تضل فيه إن
لزمته ، وهو دين الله الذي لا أعوجاج فيه

قال تعالى : ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ
فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾ مريم

يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان عاصيا لله
قال تعالى : ﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ
لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴾ مريم

يا أبت اني أعلم أنك إن مت على عبادة الشيطان يمسك عذاب
من الله فتكون مواليا للشيطان ويتبرأ الله منك فتهلك

قال تعالى : ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ
فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ مريم

فقال أبو ابراهيم لابراهيم حينما دعاه الى عبادة الله وترك عبادة
الشيطان والبراءة من الأوثان والأصنام : أراغب أنت يا ابراهيم عن
عبادة آلهتي وكراره لها ؟ لنن لم تنته عن ذكرها بسوء لأقذفنك بالكلام
المؤلم ، وبالسب والقول القبيح ، واهجرني مليا ، أي ابعد من عقوبي
حينما من الدهر

قال تعالى : ﴿ قَالَ أَرَأَيْبَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَنْ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْجَمَكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴾ مريم

فقال ابراهيم مودعا أباه بعد أن توعده على نصيحته إياه : سلام عليك يا أبت، وسأستغفر لك ربي، أنى عهده لطيفا بي يجيب دعائى اذا دعوته، وأنى لمتجنبكم وما تدعون من دون الله من الأوثان والأصنام، داعيا ربي باخلاص العبادة له ، وافراده بالربوبية ، عسى ألا أكون بدعا ربي شقيا، خائبا مثلكم فى دعاء آلهتكم ، فانه يجيب دعائى ويعطينى ما أسأله . قال تعالى :

﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا وَأَعْتَرِلُكُم مَّا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ مريم

ولما تجنب ابراهيم قومه وعبادة ما كانوا يعبدون من الأوثان ، آانس الله وحشته من فراقهم ، وأبدله بهم من هو خير منهم ، وأكرم على الله ، فوهب له ابنه اسحق ، وابن ابنه يعقوب ، وجعلهم كلهم أى ابراهيم واسحق ويعقوب أنبياء ، ووهب لهم من رحمته الحكمة والصلاح ، وجعل لهم أحداثثة عالية بين الناس على توالى الزمان قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَعْتَرِلَهُمْ مَّا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ

إِسْمُكَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا
لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٣١﴾

مريم

فيتضح من ذلك ان ابراهيم عليه السلام كان حليماً ، رقيق القلب
عطوفاً ، رؤوفاً باراً بوالده مع قسوته عليه ، وانه كلما باعد والده بينه
وبينه تطف هو في المقاربة ، وترفق في دعوته وهدايته ونحذيره ؛
ولكن كل ذلك لم يفد لغلبة الشقاء عليه

٣ — تبرؤ ابراهيم من أبيه لكفره بالله

كان ابراهيم عليه السلام قد ظفر بوعد من أبيه أنه سيؤمن به فلماذا
استغفر الله له ؛ ولكنه علم بعد ذلك أنه مقيم على دين قومه ، ولا
يزال عدواً لله فتبرأ ابراهيم من أبيه وترك الدعاء والاستغفار له ، فكان
ابراهيم بدعاء ربه شاكراً له ، وحليماً عن سبه وناله بالمكروه

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ
وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ
لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ التوبة

٤ - مجادلة ابراهيم لقومه وقوله : انى سقيم

كان ابراهيم عليه السلام من شيعة نوح عليه السلام يسير على منهاجه وملائته ، إذ جاء ربه بقلب سليم من الشرك مخلص له التوحيد ، وقال لأبيه وقومه : أى شئ تعبدون ؟ ألا تعقلون أن ماتعبدونه من دون الله هو كذب وباطل ؟ فما ظنكم برب العالمين ؟ ماذا يصنع بكم اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره ؟

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ إِذْ قَالَ لِلْأَبِيِّ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ أَنْفَكَا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الصافات

ولما كان قومه يشتغلون بالتنجيم ، نظر نظرة فى النجوم ليومهم انه يتعرف ماسيصير اليه حالهم ، فرأى نجماً قد طلع فعصب رأسه وقال : (انى سقيم) أى مطعون مصاب بالطاعون

وكان قومه يهربون من الطاعون فهربوا منه ، وتركوه فى بيت آلهتهم مخافة أن يعديهم ، فمال الى آلهتهم وقال : ألا تأكلون ؟ فلما لم يرها تأكل ، قال لها : مالكم لا تأكلون ؟ فلم يرها تنطق ، فقال لها : مالكم لا تنطقون ؟ مستهزئاً بها

قال تعالى : ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَمِیمٌ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ مِمَّا كُمُ لَا تَنْطِقُونَ ﴾

الصفات

فقال عليها وضربها بيده اليمنى بفأس ليكسرها ، فرجع اليه قومه يسرعون ، فقال لهم : أيها الحقى : أتعبدون ما تضحونه بأيديكم وأدواتكم من الأصنام ؟ والله خلقكم والذي تعملونه من الأصنام ، وهو الخشب والنحاس والأشياء التي كانوا يستعملونها في نحت الأصنام

قال تعالى : ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ الصفات

فأمروا عليه وقالوا : ابنوا لآبراهيم بنيانا - قيل انه بنوا له بنيانا يشبه التنور (الفرن) ثم ثقلوا اليه الحطب وأوقدوا فيه وألقوه في النار وأرادوا حرقه ؛ ولكن الله (حافظه من كل سوء) أهلكهم وجعلهم الأسفلين الأذلين ، ورد كيدهم في نحورهم .

ولما نجاه الله قال لهم : انى ذاهب حيث أمرنى ربى (الى أرض الشام) لا تجرد وأفرغ فيه لعبادته انه سيهدينى ويعيننى على ذلك

قال تعالى : ﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ فَأَرَادُوا

بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿١٠﴾

الصفات

مجادلة أخرى لابراهيم مع أبيه وقومه

ومن أنباء ابراهيم عليه السلام أنه قال لأبيه وقومه : أى شئ تعبدون ؟ فقالوا : نعبد أصناما فنبقى مواظبين على عبادتها وخدمتها . فقال لهم : هل هؤلاء الآلهة تسمع دعاءكم إذ تدعونهم ؟ أو تنفعكم هذه الأصنام فيرزقونكم شيئا على عبادتكم لها ؟ أو يضررونكم فيعاقبونكم على ترككم عبادتها بأن يسلبوك أموالكم أو يهلكوك ويهلكوا أولادكم ؟ قالوا : هكذا وجدنا من قبل آبائنا يعبدونها ، ويمكفون عليها لخدمتها وعبادتها ، فنحن نفعل ذلك اقتداء بهم واتباعا لمنهجهم وخطتهم قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْ عَلَيْنَهُمُ نَبَأً مِنْ رَبِّهِمْ إِذْ قَالَ لِلْأَبِيِّهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْزِلُ لَهَا عَافِيَةً هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ قَالُوا بَلَىٰ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ الشعراء

فقال لهم ابراهيم : أفرأيتم أيها القوم ما كنتم تعبدونه من هذه الأصنام أنتم وآباؤكم الأقدمون ؟ فانهم أعدائي وأنا برئ من عبادتهم

ولا أعبد سوى رب العالمين ، الذى خلقنى ويهدينى بفضله ويسددنى
للرشاد ، والذى هو يطعمنى ويسقئنى ، ويهينى لى مقومات الحياة
من طعام وشراب ، ويرزقنى الأرزاق ، وهو الذى يشفينى اذا مرضت
واذا اعتل جسمى فهو يبرئه ويعافيه . وهو الذى سيميتنى عند انقضاء
أجلى ، ثم يحيينى للحساب والثواب ، وهو الذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى
يوم الدين (يوم القيامة)

قال تعالى : ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ
الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ
يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي
يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾
الشعراء

وهذا الكلام من ابراهيم احتجاج على قومه أنه لا تكون العبادة
إلا لمن يفعل كل هذه الأفعال ، لا لمن لا قدرة له على ذلك ولا يرجى
منه نفع ولا ضرر

ثم بعد هذا الاحتجاج تضرع الى ربه وسأله أن يهب له كما لا فى
العلم والعمل ليستعد به للقيام بأعباء الرسالة ، وأن يلحقه بالصالحين من

رسله ، وأن يجعل له في الناس ذكراً جميلاً وثناءً حسناً باقياً ، وأن يجعله من ورثة جنة النعيم

قال تعالى : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَالْحَقِّقْ بَالِصَّالِحِينَ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ الشعراء
ثم طلب الصفح والمغفرة لأبيه لأنه كان من المشركين الضالين ، كما أنه طلب لنفسه أن لا يخذله ولا يذله يوم البعث والنشور ، أى يوم يبعث الناس من قبورهم لموقف القيامة (هذا اليوم المشهود) الذى لا ينفع فيه مال ولا بنون للدفاع عن العقاب من الله والنجاة منه إلا من أتى الله وقلبه سليم من الشرك مخلص له فى العبادة

قال تعالى : ﴿ وَأَغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ الشعراء

رحلة ابراهيم الى فلسطين ثم الى مصر

لما تبرأ ابراهيم من أبيه ولم يطب له المقام بين أهله وقومه ذهب أولاً إلى (أور الكلدانيين) ثم إلى (حاران) ورحل بعد ذلك إلى فلسطين ومعه زوجته السيدة (سارة) وابن أخيه لوط ومع لوط زوجته ، وهم الذين آمنوا بإبراهيم كما قال تعالى :

﴿ فَأَمِّنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ ﴾ العنكبوت

وسكن في تلك الأنحاء، وكانت أرض الكنعانيين ؛ ولكنه لم
يطل به المقام فانتقل الى مصر، وذلك في عهد ملوك الرعاة (وهم
العماليق)

ولما سمع فرعون مصر بأن السيدة سارة زوجة ابراهيم الخليل
الطاهرة المصونة من أجل النساء ، أرسل الى ابراهيم عليه السلام .
فلما جاء قال : ماهذه المرأة منك ؟ تخاف ابراهيم إن قال له إمرأتى أن
يقتله ليتزوج منها فقال له : هى أختى (يريد أخته فى الاسلام) فأتى
سارة وقال : ياسارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيرى وغيرك، وأن
هذا الجبار سألنى عنك فأخبرته إنك أختى فلا تكذبينى . فأرسل
اليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده، فأخذ ووقف يده، فقال :
ادعى الله لى ولا أضرك . فدعت الله فأطلق يده . ثم تناولها الثانية ،
فأخذ مثلها أو أشد ، فقال : ادعى الله لى ولا أضرك ، فدعت فأطلق
فدعا بعض حجابيه فقال : انكم لم تأتونى بانسان إنما أتيتونى بشيطان
صرعنى مرتين ، فوهب لها (هاجر) لخدمتها .

وكانت (هاجر) بنت ملك من ملوك القبط ، فأتت سارة ابراهيم

عليه السلام وهو قائم يصلى، فأشار بيده اليها ماشأناك؟ فقالت سارة .
رد الله كيد الكافر أو الفاجر في نحره ولم يظفر منى بشئ
وكانت (سارة) زوج ابراهيم عليه السلام عاقراً لا تلد، وتأملت إذ لم
تجد لابراهيم ولداً، وهى قد شاخت ولا يرجى لها أن تكون أمّاً،
فاتفقت معه على أن يتزوج من (هاجر) فدخل بها وأتت منه بعلام
(هو اسماعيل عليه السلام) ثم رزقت سارة باسحق عليه السلام كما
سبق فى قصتهما

بيان الثلاث كذبات التى نسبت لابراهيم عليه السلام

لم يكذب ابراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات (وهى ليست
من الكذب الحقيقى بل فى صورة الكذب وكلها فى الله تعالى)
الأولى : قوله لقومه : إنى سقيم . أراد به سقم النفس مما رآه من
ضلاتهم

الثانية : قوله لهم حينما سألوه عن كسر الأصنام : بل فعله كبيرهم
أى كبير الأصنام قال ذلك على سبيل التهمك والاستهزاء والتبكيك .
وهذا لا يعد كذباً حقيقياً

الثالثة : قوله لفرعون الجبار حينما سأله عن سارة زوجته : هى أختى
ويريد أخته فى الدين وليس هذا كذباً ؛ وهذه الثلاث كذبات

واردة في البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه
والنتيجة أن ابراهيم عليه السلام ماقال كذبا؛ لأنه نبي معصوم
صادق في قوله وفعله، مؤيد بقول الله تعالى :

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ مريم

حاجة ابراهيم للملك

لما كان قوم ابراهيم يعبدون ملوكهم مع آلهتهم أحب ملوكهم
« النمرود » أن يرجع ابراهيم عن شريعته الجديدة المخالفة لشريعة
قومه ، وأن يعبده وآلهته فقال له :

يا ابراهيم من ربك الذى بعثك وتدعو الى عبادته وتذكر عظمته وقدرته؟

قال ابراهيم عليه السلام : ربى الذى يحى ويميت

قال النمرود : أنا كذلك أحى وأميت، إني أستبقى من أريد وأقتل

من أريد

فقال له ابراهيم : إن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها

من المغرب

فتحير النمرود ولم يجر جوابا ولزمته الحجة ، والله لا يهدى أهل

الكفر إلى حجة يُدْحِضُونَ بها حجة أهل الحق عند المحاصمة والحاجة

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ
 اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي
 وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ
 بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾
 البقرة

ابراهيم والملائكة وتبشيريه باسحق

ان ابراهيم عليه السلام كان يحب إكرام الضيف ، فدخل عليه
 ضيوف (من الملائكة) فظنهم آدميين فحياهم بالسلام كما حيَّوه ، فقدم
 اليهم طعاما عجلا سميئاً بعد أن ذبحه وسواه في النار وجاء به اليهم
 فأمسكوا عن أكله ، ولما رآهم لم يأكلوا منه ولم تمتد اليه أيديهم
 ارتاب في شأنهم وأوجس منهم خيفة ، فخطبهم في ذلك فعلم
 أنهم ملائكة وهدأوا روعه وبشروه بغلام عليم وهو (اسحق
 عليه السلام)

قال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ
 إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ فَرَأَى إِلَى
 أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ فَأَوْجَسَ

مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِغَلَامٍ عَلِيمٍ ﴿١٠﴾
 فَأَقْبَلَتْ إِمْرَأَتُهُ سَارَةً فِي صِيَاحٍ وَلَطَمَتْ وَجْهَهَا مَتَعَجِبَةً وَقَالَتْ :
 كَيْفَ أَلِدُ وَأَنَا امْرَأَةٌ عَجُوزٌ عَقِيمٌ لَاتَلِدْ ؟ فَقَالُوا لَهَا : كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ
 وَقَدَّرَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ

قال تعالى : ﴿ فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ (أى فى شدة الكرب)
 فَصَكَتْ (لظمت) وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ
 رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ الذاريات

ثم التفت اليهم ابراهيم وقال لهم : ماشأنكم الذى جئتم له أيها
 المرسلون ؟

قالوا : إنا أرسلنا الى قوم لوط لنسقط عليهم حجارة من طين معلمة
 عند ربك للمتجاوزين حدود الله فى التعدى الكافرين به من قوم
 لوط ، فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ، أى من قرية (سدوم) وهى
 القرية التى يسكنها قوم لوط فى مكان (البحر الميت) المعروف (بيجر لوط)
 قال تعالى : ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا
 إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مُّسَوَّمَةً عِنْدَ
 رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الذاريات
 وقد خاف ابراهيم من العذاب النازل أن يمس ابن أخيه لوطا فقال

لهم : ان فيها لوطا ؛ فقالوا له : نحن أعلم بن فيها ، وأنه وأهله من الناجين
وقد أخبر ابراهيم ، بأن وقوع العذاب بقوم لوط أمر محتم لا تقبل
فيه شفاعاة ، ولا يفيد عنه جدال

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى
يُحَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ يَا إِبْرَاهِيمُ
أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ
غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ هود

سؤال ابراهيم لربه رؤية احياء الموتى

لما كان ابراهيم عليه السلام مؤمنا بالله وبالبعث والنشور ، وأن الله
يحيي الموتى ويحشرهم ليوم لا ريب فيه ، ليجازي المحسن باحسانه ،
والمسيء بإساءته ، أراد أن يزداد يقيناً وإيماناً ، فسأل ربه أن يريه كيف
يحيي الموتى ، فقال له : أألم تؤمن ؟ قال : بلى ، ولكن ليطمئن قلبي ، من
غير شك في الله تعالى ولا في قدرته

فأمره الله تعالى أن يأخذ أربعة من الطير فيقتلها ، ويفرق أجزاءها
على الجبال ، ثم يدعوها ، فإنه سيجدها آتية اليه ، فحينئذ يكون قد رأى
الميت قد عاد حياً . فأخذ أربعة من الطير فقتلها ، وفرق أجزاءها على
الجبال ثم دعاها فعدت اليه صحيحة كأنها لم تذوق للموت طعاماً

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُنْخِئُ الْمَوْتَى ﴾
 قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِنْ لِيُطْمَنَنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً
 مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا
 ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿ البقرة

وعدت هذه من المعجزات التي منحها الله لسيدنا ابراهيم عليه
 السلام وأكرمه بها

ابراهيم أسوة حسنة للمؤمنين

يقول الله تعالى للمؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : لقد كان لكم أيها المؤمنون قدوة حسنة في ابراهيم خليل الرحمن
 تقفون به والذين معه من أنبياء الله

إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ : إِنَّا بَرَاءٌ مِنْكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنَ الْإِلَهِةِ
 وَالْأَنْدَادِ ، لَقَدْ أَنْكُرْنَا مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ ، وَجَعَلْنَا عِبَادَتَكُمْ
 وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْ تَكُونَ حَقًّا ، وَظَهَرِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ
 وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِاللَّهِ وَعِبَادَتِكُمْ مَا سِوَاهُ ، وَلَا صَلَاحَ بَيْنَنَا حَتَّى
 تَوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ

لقد كانت لكم أيها المؤمنون أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه
 من الأنبياء في كل هذه الأمور ، إلا في أمر واحد ، وهو قول ابراهيم

لأبيه (لأستغفرن لك) لأن ذلك كان من إبراهيم لأبيه عن موعدة وعدها إياه قبل أن يتبين له أنه عدو لله ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ، فكذلك أنتم أيها المؤمنون بالله تبرأوا من أعداء الله المشركين به ، ولا تتخذوا منهم أولياء حتى يؤمنوا بالله وحده ، ويتبرأوا من عبادة ما سواه ، وأظهروا لهم العداوة والبغضاء

وقوله لأبيه : وما أملك لك من الله من شيء ، أى لا يمكننى أن أدفع عنك من الله من عقوبة عاقبك بها على كفرك به ، ولا أغنى عنك شيئاً

ولقد قال إبراهيم والأنبياء الذين معه صلوات الله عليهم : ربنا عليك توكلنا ، واليك أنبنا ورجعنا بالتوبة مما تكره الى ما تحب وترضى ، واليك مصيرنا ومرجعنا ، يوم تبعثنا من قبورنا وتحشرنا يوم القيامة فى الموقف العظيم

وقولهم أيضاً : ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بك وعبدوا غيرك بأن تسلطهم علينا فيروا أنهم على حق وأنا على باطل ، فتجعلنا بذلك فتنة لهم ، واغفر لنا ذنوبنا بعفوك ياربنا إنك أنت العزيز الحكيم

لقد كان لكم أيها المؤمنون قدوة حسنة فى إبراهيم والذين معه من الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم لمن كان منكم يرجو لقاء الله وثواب الله والنجاة فى اليوم الآخر ، فمن يتول عما أمره الله به وأعرض عنه

وأدبر مستكبراً ووالى أعداء الله ، وألقى اليهم بالمودة ، فان الله غنى عن
 إيمانه به ، وطاعته إياه ، وعن جميع خلقه ، وهو الحميد الذى له الحمد والثناء
 قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ
 مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِلْقَوْمِ هُمْ إِنَّا بُرَاءُكُمْ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى
 تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا
 أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ
 الْمَصِيرُ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْزِزْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ
 أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ
 كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ
 الْحَمِيدُ ﴾ المتحنة

العبرة فى قصة ابراهيم عليه السلام

١ - إنه كان مؤمناً بالله حق الايمان ، وكان جريئاً فى الحق ، ولذا
 لم تأخذه فى الله لومة لائم ، وقام بتكسير الأصنام وجعلها قطعاً ، وترك
 كبيراً لهم وجعله وسيلة لحاجتهم حتى أغفمهم ، ولما ضاقوا به ذرعاً ألغوه
 فى النار وهو لم يعبأ بهم ، ولم يخف منهم ، وكانت النار عليه برداً

وسلاماً (وهذا من المعجزات التي أوحى الله اليه بها)

٢ - وإِنَّه لم يدخر وسعاً في ابتكار أساليب الدعاية الى الحق وتوحيد الله ، فتارة يلجأ الى النجوم عله يجد فيها أدلة إقناع ، فلما أفهمهم أن كواكب السماء كلها لا تصلح أن تكون آلهة تعبد جبر بأمره قائلًا : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلدِّينِ فَطَرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ الأنعام

٣ - إِنَّه كان يجادل الملك (النمرود) ويحاجه غير هيَّاب ولا وجل ، حتى ألزمه الحجة وألبسه الخزي

٤ - إِنَّه تبرأ من والده لكفره ؛ ومع ذلك كان رقيق القلب واسع الصدر طويل البال متواضعاً لأبيه حينما قال له أبوه :

﴿ لَنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَأُهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ مريم
فأجابه بقوله : ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ

بِي حَفِيًّا ﴾ مريم

وقوله : ﴿ وَأَغْفِرْ لِي يَا رَبِّي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ الشعراء

(وسمى إبراهيم) ومعناه الأب الرحيم

٥ - إِنَّه كان كريماً لضيوفه ، بدليل أنه ذبح ثلاثة أضياف عجلا

سميًا حفاوة بهم مع أنه كان يكفيهم الشيء القليل ، وهو أول من
أضاف الضيف

٦ - إنه كان محبًا للاستطلاع ، والوقوف على حقائق الأمور ،
والوقوف على دقائق صنع الله تعالى ، ولذلك طلب من الله أن يريه
أحياء الموتى ليطمئن قلبه

٧ - إنه كان قائما على قدم الاستعداد لتنفيذ أوامره فيما أحب
أو كره ، بدون تبرم أو تذمر ، متحليا بالنقوى والطاعة ، والشكر
والصبر . ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسَلَّمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ البقرة
ولذا اصطفاه الله في الدنيا وجعله في الآخرة من الصالحين ،
فهو أبو الأنبياء وتاج الأصفياء

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ
الصَّالِحِينَ ﴾ البقرة

٨ - وأما صبره على المكاره ، واتباعه أمر ربه ، فيتجلى في تقديمه
ولده اسماعيل عليه السلام ليذبحه بيده ويقربه قربانا لله تعالى ؛ وسبق
ذكر هذه المسألة في قصة اسماعيل عليه السلام في الجزء الأول

١٥ - قصة موسى الكليم عليه السلام

١٦ - وقصة هرون عليه السلام

(لارتباطها بها)

موسى عليه السلام هو ابن عمران، بن قاهت، بن لاوى، بن يعقوب عليه السلام، وقد أرسله الله لهداية فرعون وقومه حينما طغى وبغى وادعى الألوهية، وعبده الناس خوفاً منه وكان يقول لهم: أنا ربكم الأعلى. وذلك أنه لما علا فرعون فى الأرض، وبغى، وجعل أهلها فرقا أخذ يذبح أبناء طائفة منهم، ويستحى نساءهم ويعذب طائفة ثالثة ويستعبد طائفة رابعة؛ لأنه كان من المفسدين. وفى ذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ القصص

والسبب الذى حمله على ذلك أنه رأى فى المنام ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى وصلت الى بيوت مصر فأحرقتها وأحرق القبط، وترك بنى اسرائيل؛ فدعا السحرة والكهنة فسألهم عن تأويل رؤياه، فقالوا له يخرج من هذا البلد الذى جاء منه بنو اسرائيل (أى بيت

المقدس) رجل يكون على يديه هلاك مصر وملكها ، فأمر في بني إسرائيل ألا يولد لهم غلام إلا ذبحوه ، ولا تولد لهم جارية إلا تركت ؛ وقال للقبط : انظروا مملوككم الذين يعملون خارجا فأدخلوهم ، واجعلوا بني إسرائيل يقومون بتلك الأعمال القذرة ، فجعلوا بني إسرائيل في أعمال غلمانهم ، وأدخلوا غلمانهم

ولكن الله جلت قدرته أراد أن يحبط عمل فرعون ويذله ، ويجعل الذين استضعفهم وهم بنو إسرائيل ولاية وملوكا ، ويجعلهم الوارثين لآل فرعون ، يرثون الملك من بعد مهلكهم ويمكن لهم في الأرض بالشام ومصر

ويرى فرعون وهامان وجنودهما ما كانوا يتوقعونه من هلاكهم وخراب منازلهم ودورهم ، وذلك قول الله تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ القصص

ولادة موسى وإرضاعه

وفي هذا العهد ولد موسى بن عمران عليه السلام ، فأوحى الله الى أمه أن ترضعه ، فاذا خافت عليه من عدو الله فرعون وجنده أن تلقه

في اليم (في النيل) وبشرها ألا تخاف ولا تحزن لفراقه ، فان الله سيرده اليها ، ويجعله رسولا من عنده الى هذا الطاغية هلاكه ونجاة بني إسرائيل مما هم فيه من البلاء على يديه ، لقوله تعالى :

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَاهُ فِي الْيَمِّ وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ القصص

فدعت أم موسى نجاراً فصنع له تابوتا ، وجعل مفتاح التابوت من داخله ، ووضعت فيه وألقته في اليم كما أمرها الله ، فالتقطه آل فرعون وأخذوه ، وأدخلوه بيت فرعون ظناً منهم أن فيه مالا

فلما فتحت (آسية) إمرأة فرعون وجدت به صبياً ، فلما نظرت اليه أخذتها الشفقة والرحمة فأحبته وسمته موسى ، لأنه وجد بين الماء والشجر ، والماء بلغتهم (المو) و (سا) الشجر ، فسمى بصفة المكان الذي وجد فيه (موسى)

ولما أخبرت به فرعون أراد أن يذبحه ، فلم تزل (آسية) تكلمه حتى تركه لها ، وقال : إني أخاف أن يكون هذا الصبي من بني إسرائيل ، وأن يكون هذا على يديه هلاكنا ، ويكون عدواً لنا في ديننا ، وحزنا علينا بما ينالنا منه من المكروه ، ولذا قال الله تعالى :

﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ
وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ القصص

أى ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وكافرين برهم
فلذلك كان لهم موسى عدواً وحزناً

وقالت امرأة فرعون له : هذا قرّة عين لى ولك يا فرعون ، فلا
تقتله عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً ، وهم لا يشعرون ، أنه سيكون سبب
هلاكهم ، وذلك قوله تعالى :

﴿ وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَئِكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ
يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ القصص

وأصبح قلب أم موسى فارغاً من كل شىء إلا من هم موسى خوفاً
على ابنها من وقوعه فى يد فرعون فيذبحه ، وأنها كادت تبدى خوفها
عليه وتقول : يا ابناه لولا أن الله عصمها وثبت قلبها وأسكت لسانها
لتكون من المؤمنين بوعد الله الموقنين به ، لقوله تعالى :

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدَى بِهِ لَوْلَا أَنْ
رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ القصص

وقالت أم موسى لأختها (مريم) حين ألقته فى البحر ، اقننى
أثره ، وتبعى خبره ، عن بعد ، بحيث لا يشعرون بك أنك أخته .

لقوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ القصص

ولما امتنع موسى عن الرضاعة من ثدي المراضع التي أحضرت إليه ، ورات أخته إعراضه وامتناعه عن الرضاعة منهم ، قالت : هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم ، ويشفقون عليه ، ويقومون بخدمته ، ويكونون له من الناصحين في أمر تدبيره وتربيته ؟

فلما قالت لهم ذلك أخذوها وقالوا : إنك قد عرفت أهل هذا الغلام فدلينا على أهله . فقالت : ما أعرفهم ، وإنما أردت أن يكونوا ناصحين وحرصين على مسرة الملك ، وذلك قول الله تعالى :

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ القصص

فأمروها ، فأحضرت أمها ، فلما حملته أقبل على ثديها بشغف ورغبة فبذلك تحقق وعد الله لأمه ، وأرجعه إليها لتقر عينها به ، وتسرع ولا تحزن ، ولتعلم أن وعد الله حق ، وإن كان أكثر الناس لا يصدقون ذلك ، وذلك قوله تعالى :

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَمْلِكُونَ﴾ القصص

تربية موسى في بيت فرعون

بعد أن أنمت أم موسى رضاعته أتت به الى بيت فرعون ، فأكرمته (آسية) امرأة فرعون وفرحت به ، وأبقتة عندها ، فتربى تربية كما كانوا يربون أبناء الملوك في ذلك العهد بواسطة الكهنة ورجال الدين بحسب التقاليد المرعية في تلك الأيام ، حتى بلغ أشده فكان يركب مراكب فرعون ، ويلبس كفرعون ، وكان يدعى أنه (موسى بن فرعون) ولما بلغ موسى غاية نموه ، واشتد ساعده وقواه ، واستوى جسمًا وعقلًا ، وتم خلقه واستحكم ، وبلغ أربعين سنة (وقال بعضهم ثلاثين سنة) آتاه الله الحكمة ، وطرق الحكم ، والعلوم الدينية ، والسياسية ، وكذلك يجزى الله المحسنين من عباده كما جازى موسى على طاعته وإحسانه ، لقوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَأَسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ القصص

خروج موسى من مصر الى أرض مدين وسببه

لما خرج موسى من مصر حتى دخل (منف) وقت الظهيرة والناس قائلون أى (نائمون وقت القيولة) لا يتوقعون حضوره في هذا

الوقت ، وهم في غفلة عنه ، وكانت الأسواق مقفلة ، والطرق خالية
وجد رجلين يتقاتلان ، أحدهما اسرائيلي من أهل دينه يقال له (السامري)
والآخر قبضي مصري من آل فرعون يقال له (فاتون) لأن القبضي
أراد تسخير العبراني في حمل حطب الى مخبزه ، فاستغاث العبراني
بموسى ، فجاء الى المصرى ووكره وكرة كانت القاضية عليه ، وهو
لا يريد قتله ؛ ولكن هكذا أراد الله فواراه التراب ودفنه ، ولم يعلم
بذلك الأمر سوى الرجل العبراني الذى نصره موسى ، وندم موسى
على ما فعل وقال فى نفسه : هذا الفعل من عمل الشيطان إنه عدو مضل
مبين للانسان ، وذلك قوله تعالى :

﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ
يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثُ الَّذِي مِنْ
شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا
مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾ القصص

ودعا موسى ربه مستغفراً أن يتوب عليه ، وقال : رب إني ظلمت
نفسى بقتل النفس التى لم تأمرنى بقتلها ، فاعف عن ذنبى واستره على

ولا تؤاخذني به فتعاقبني عليه . فعفا الله لموسى عن ذنبه ولم يعاقبه به ،
لأنه غفور يغفر الذنب لمن تاب وأناب إليه ، رحيم بالناس لا يعاقبهم
على ذنوبهم بعد توبتهم ، لقوله تعالى :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ

الرَّحِيمُ ﴾ القصص

ثم تضرع موسى الى الله وقال : يارب بانهامك على بعفوك عن
قتل النفس فان أكون بعد اليوم معيناً للمجرمين ، ولا أعين ظالماً
على فجوره وظلمه ، لقوله تعالى :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أُنْعَمْتُ عَلَىٰ فَلَنْ أُكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ﴾

القصص

ففي اليوم الثاني خرج موسى الى المدينة وهو خائف من القصاص
به ، مترقب الأخبار عن أمره وأمر القتل الذي قتله ، فرأى الإسرائيليين
الذين استنصره بالأمس على الفرعونى يقاتله فرعونى آخر ، فلما رآه
الإسرائيلي استصرخه ، واستغاث به ثانية ، فقال له موسى : إنك أيها
الرجل لضال ظالم مبين ، وفي ذلك يقول الله تعالى :

﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اُسْتَنْصَرُهُ

بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴾ القصص

فطن الإسرائيلي أن موسى غير ناصره ثم دفعته الحمية على عدو القبطى وأراد أن يبطش به ؛ لأنه أغلظ له الكلام فنهاه موسى فقال له : يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس ؟ ما تريد إلا أن تكون جباراً فى الأرض من الجبابرة السفاكين للدماء وما تريد أن تكون من المصلحين ، لقوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَصْلِحِينَ ﴾ القصص

فانطلق القبطى الذى كان يقاتل الاسرائيلى إلى قومه ، فأخبرهم بما سمعه من الاسرائيلى ، وقال : إن موسى هو الذى قتل الرجل بالأمس فلما علم فرعون بخبره أرسل الذباحين لقتل موسى ، فأخذوا الطريق الأعظم وهم لا يخافون أن يفوتهم ، وكان رجل من شيعة موسى فى أقصى المدينة فأسرع واختصر طريقاً قريباً حتى سبقهم إلى موسى وأخبره : إن الجماعة يأترون على قتله ، ونصح له أن ينجو نفسه ، ويفادى مصر حتى لا تمتد إليه أيديهم بسوء ، وذلك قوله تعالى :

﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ القصص

فقبل موسى هذه النصيحة الغالية ، وخرج من مصر (مدينة فرعون) خائفاً يترقب أن يلحقه القوم فيقتلوه ، فضرع إلى ربه قائلاً : رب نجني من القوم الظالمين ؛ لقوله تعالى :

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . ﴾ القصص

ولما توجه تلقاء مدين ماضياً إليها ، فراراً من الذباحين ، متوكلاً على رب العالمين ، شاخصاً عن مدينة فرعون ، خارجاً عن سلطانه قال في نفسه : عسى ربى أن يهدينى ويبين لى قصد السبيل إلى (مدين) لقوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّى أَنْ يَهْدِيَنِ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ القصص

دخول موسى أرض (مدين) ونزوله بها

(مدين) هى البلاد التى إختارها موسى وقصدها للنزول بها ، وهى على مسيرة ثمان ليال من مصر ، وهى شرق شبه جزيرة سيناء ، وخليج العقبة ، وشمال الحجاز ، وجنوب فلسطين وتنسب إلى مدين بن إبراهيم عليه السلام

فما وصل إليها إلا بعد تعب شديد وجوع ، ولم يكن له طعام سوى ورق الشجر ، وقيل : انه خرج من مصر خافياً فما وصل إلى (مدين) حتى وقع خف قدمه من كثرة السير الحثيث المتواصل . فلما ورد ماء (مدين) وجد جماعة من الناس يسقون مواشيهم وغنمهم ، ووجد دون هؤلاء إمراةين تحبسان مواشيهما عن الناس حتى يفرغوا من سقى مواشيهم فقال موسى لهما ، لما رأى من ضعفهما وغلبة الناس على الماء دونهما : ماشانكما ؟ لماذا لا تسقيان مواشيكما مع مواشى الناس ؟ فقالتا : لا نسقى حتى يصدر الرعاء مواشيهم ؛ لأننا لا نقدر على مزاحمتهم ، وأبونا شيخ كبير لا يقدر على المجيء ، ولا يمكنه أن يياشر أمر الرعى والسقى ، فنحن ننتظر الناس حتى إذا فرغوا سقيناهم ثم انصرفنا ، وذلك قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ القصص

فرق موسى لهما ، وأظهر العطف عليهما ، وأخذ دلوها وتقدم إلى السقاء بفضل قوته وجهده ، فزاحم القوم على الماء حتى أخرهم عنه ، ثم سقى لهما ماشيتهما ، ثم رجع إلى الشجرة التي كان جالسا تحتها واستظل بظلها وقال : يا رب إني إلى برك وعطفك محتاج ، فقير إلى ما تنزله علي من خير قال ذلك لأنه كان في تعب وفي شدة الجوع ، ولم يكن معه طعام

وذلك قوله تعالى : ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي
لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ القصص

ورجعت المرأتان إلى أبيهما قبل الناس ، فقال أبوهما : ما أعجلكما ؟
قالتا : وجدنا رجلاً صالحاً فرحمنا وسقى لنا . فقال لأحدهما : (وهى التى
تزوجته فيما بعد) إذ هبى فادعيه ، فجاءته وهى تمشى على استحياء ومستترة
بكم قيصها ، وواضعة يدها على وجهها ، وقالت له فى تواضع وأدب : إن
أبى يدعوك ليعطيك أجر ما سقيت لنا . فأجاب الدعوة وسارت أمامه ،
وهو خلفها ، فهبت الريح فكشفت عن ساقيهما ، ففض بصره ، وقال لها :
إمشى خلفى ، وإذا أنا بخطأت السير فارمى حصاة تدلنى على الطريق ،
فانا من أبناء يعقوب لا ننظر إلى النساء الأجنبية ، فسارا كما قال ، حتى
دخلا على أبيهما ، فسأله أبوها عن خبره ، فقص عليه خبره كله ، فقال
له : لا تخف قد نجوت من القوم الظالمين ، بفضل الله ورحمته ، وأخبرت
أباها بقوله : اننا لا ننظر إلى النساء الأجنبية ؛ وفى ذلك يقول الله تعالى
﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ
لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ
لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ القصص

زواج موسى بإحدى الإبتين

قالت إحداهما لأبيها (وهي التي ذهبت إلى موسى وجاءت به) :
يا أبت استأجره ليرعى ماشيتك ، إن خير من استأجرت الرجل القوي
الأمين ، الذي لا تخاف خيافته فيما تأمنه عليه منها ، ويقوم بخدمتها خير قيام ،
وهذان الشرطان اللذان يجب توافرها في العامل

قالت ذلك عن مشاهدة وعلم ، حيث رأت قوته في مزاحمة الناس
وسقى ماشيتهما ، وأمانته في غض الطرف عن النظر إليها حينما كشفت الريح
عن ساقها ، وحينما قال لها : كوني وأنا أمامك ، وذلك قوله تعالى :
﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ
الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ القصص

فسر أبوها من موسى عليه السلام ، وازداد حباً فيه ، وقال له : إني
أريد أن أزوجك إحدى إبتى هاتين على أن تعمل عندي ، وتقوم على
شؤون بيتي ثمان سنين ، فإن أتممتها عشراً فمن عندك تفضلاً من غير
إلزام ولا قهر في هاتين السنتين ؛ بل هو تبرع منك إن شئت أقمتهما ،
وإن شئت تركتهما ، وما أريد أن أرهقك ، وأشق عليك ، وأحلك
مألاً طاقاً لك به باسئراط الثماني السنوات عشراً ، فإنك ستجدني إن شاء

الله من الصالحين في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بما قلت وذلك قوله تعالى :

﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ وَإِذْنِي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَبَّ جِجْجٍ فَإِنْ أَمُمْتُ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمُوتَ عَلَيْكَ سَتَعِدُّنِي إِنَّ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ القصص

قال موسى عليه السلام : هذا عهد وشرط بيني وبينك ، أن أقضي أي الأجلين ثمان سنين أو عشراً ، فلا عدوان عليّ بإلزامي بإتمام العشر فطالبنى بأكثر منه ، والله عليّ شهيد وحفيظ على ما تقول ، وفي ذلك يقول الله تعالى :

﴿ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ القصص

ومن هذا الوقت صار موسى صهراً لذلك الشيخ ، وراعياً لغيره ، بعد أن تربى على العز والنعيم في بيت فرعون ، مفضلاً هذه الحياة الحسنة البريئة الشريفة عن حياة الكفر والظلم

وذكر أكثر المفسرين أن اسم ابنة الشيخ التي صارت زوجاً لموسى (صفورا)

وقال أغلب المفسرين : ان هذا الشيخ هو (شعيب عليه السلام)

بدليل أن رسالته في مدين كانت قبل أن يخرج موسى من مصر ، وأهلك الله الظالمين منهم ؛ وبقي شعيب ومن آمن معه حتى وصل موسى عليه السلام مدين فوجد شعيباً شيخاً كبيراً ، وبعضهم يقول : أن صاحب موسى هو (يثرون) أو (يثري) والله أعلم

خروج موسى من مدين إلى مصر بأهله

وما لاقاه من الشدة ومبدأ الرسالة

لما أتم موسى عليه السلام تسع سنين قائماً بثئون بيت شعيب عليه السلام وهب له شعيب نتاج السنة العاشرة من الغنم ، يريد بذلك مبرّة موسى ومعاونته وصلة إبنته (صفورا) إمراة موسى ، فكان نتاج هذه السنة عظيماً ، وعلم شعيب أنه رزق ساقه الله تعالى إلى موسى وأهله وولديه (إبني صفورا)

فلما أتم السنة العاشرة إستأذن موسى شعيباً في الانصراف من مدين والذهاب إلى مصر ، فأعطاه عصاً ذات شعبتين في رأسها ومحجن في طرفها وسلم إليه الأغنام وسار موسى بأهله منفصلاً عن أرض مدين متجنباً طريق المدن والعمران لئلا يعلم به الناس فيصل خبره إلى فرعون وكان أكبر همه أن يدرك أخاه هارون ويخرجه من مصر

وبينما موسى يسعى غنمه ومعه امرأته ضل الطريق وكان في الشتاء

في ليلة باردة وأراد أن يورى ناراً فقدح زنده فلم يأت بنار فاشتد به الأمر وأخذ يبحث عن نار ويتسمع لعله يجد انساناً يدلّه ، حتى رأى ضوء نار من بعيد فقال لأهله : امكثوا هنا إني رأيت ناراً وسأذهب لعلّي آتيكم بقبس منها تستدفئون به ، أو أجد من يهديننا الى مكانها ، وذلك قوله تعالى :

﴿ وَهَلْ أَنَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ طه
فلما قرب موسى من النار وجد النار في شجرة عليق ، وأن النار لا تطفأ ، والعليقة لا تشتعل ، ولم يجد أحداً من الناس يسأله عن الطريق وبينما هو على هذا الحال إذ سمع صوتاً من وسط النار يناديه (نداء وحى لانداء كلام) انى أنا ربك ، وأمره بخلع نعليه لأنه بالوادي المقدس طوى ، حتى تمس قدماه تلك الأرض المقدسة المباركة الطاهرة ، وليكون على أكمل هيئات التواضع بين يدي ربه ، فخلع نعليه ورمى بهما بعيداً ، وهو في أشد حالات الخوف والوجل والهيبه من ربه
﴿ فَلَمَّا أَنَاهَا نُودِيَ بِمُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى ﴾ طه

وقيل : ان هذه الليلة هي الليلة المباركة التي أراد الله بموسى كرامته

وابتداءه فيها بنبوته ورسالته وكلامه بدليل أنه قال له : إنا اخترناك
فاجتنبناك لرسالتنا الى من نرسلك اليه ، فاستمع لوحينا الذى توحى اليك
واجعل أذنك واعية له ، واعمل به إننى أنا الله المعبود الذى لا تصلح
العبادة إلا له ، فلا تعبد غيرى ، وأخلص العبادة لى دون سواى ،
وأقم الصلاة لذكرنى فيها ولا تغفل عن ذكرى

﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ طه

ثم قال له : إن الساعة التى يبعث الله فيها الخلاق من قبورهم لموقف
القيامة آتية لاشك فيها ، وإنى أخفيها عن الناس فلا أذكرها لهم ، لئلا
يطلع عليها أحد غيرى ، ولكى تجزى كل نفس بما تعمل من خير وشر
وطاعة ومعصية ، فلا يردنك ياموسى عن التأهب والاستعداد لتلك
الساعة من لا يؤمن بها ، ولا يصدق بالبعث والنشور بعد المات ، ولا
يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً ، وقد اتبع هواه وخالف أمر ربه ونهيه ،
وإلا فقع مثله فى الردى فهلك ، وذلك قوله تعالى :

﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ
فَلَا يُصَدِّكُ عَنْهَا مِنَ لَایُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ طه

معجزتا العصا واليد

ثم سأله الله سبحانه وتعالى مع علامه بما فى يده ، ماهذه التى فى
يمينك يا موسى ؟

﴿ وَمَا تِلْكَ يَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾ طه

فقال موسى مجيبا لربه : هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى
وأضرب بها الشجر اليابس ، فيسقط فترعاه الغنم ، ولى فيها حاجات
ومنافع أخرى ، فأحمل عليها الزاد والسقاء والكساء فاستظل بها من
حرّ الشمس

﴿ قَالَ هِيَ عَصَاى أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأُشْفِى بِهَا عَلَى غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا
مَآرِبٌ أُخْرَى ﴾ طه

وأراد الله أن يعرفه قدرته على ما يشاء وعظم سلطانه فقال له :
يا موسى ألق عصاك التى يمينك

فأمثل أمره وألقاها على الأرض ، فجعلها الله حية تسعى وتمشى بعد
أن كانت خشبة يابسة لاتتحرك من تلقاء نفسها

فلما رآها موسى تهتز كأنها جان أو شيطان تولاه الفزع والخوف
وولى مدبرا ولم يرجع؛ فناداه الله : أقبل يا موسى ، لاتخف سنعيدها
إلى حالتها وهيئتها الأولى التى كانت عليها ونردها عصا كما كانت

﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ طه

ثم قال له : ضع يدك تحت إبطك تخرج بيضاء من غير سوء لمرض ولا برص فيها

فكان ذلك علامة ودلالة أخرى غير الآية التي رآها موسى من قبل ، وهي تحويل العصا الخشبية الى حية تسعى ، بل هي من الأدلة الكبرى على قدرة الله وعظيم سلطانه

«وكانت العصا واليد معجزتين من معجزات الله لموسى عليه السلام»

﴿ وَأَضْمُكُمْ يَدَكُمْ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءٌ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴾ طه

عودة موسى الى مصر ودعوته لفرعون الى توحيد الله
وإبلاغ رسالته

ثم أمر الله موسى بأن يذهب الى فرعون حيث طغى وتجاوز حده ،
وتنرد على ربه ليدعوه الى توحيد الله وطاعته
﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ طه

فتضرع موسى الى ربه وقال : يارب اشرح لى صدري لأعني

ما تودعه من وحيك فيه، وأجترى به على مخاطبة فرعون، وسهل على القيام بما تكلفني به من الرسالة، وتحماني من الطاعة، واطلق لسانى بالمنطق الكافى، والبيان الشافى، وفك عنى العقدة التى أمسكت بلسانى حتى يفقهوا ويفهموا قولى وكلامى لهم، واجعل لى عوناً وسنداً من أهل بيتى (أخى هارون) اشدد به أزرى، وقو به ظهرى، وأشركه معى فى مهمتى ورسالتى الى فرعون فتسبح بحمدك، ونعظمك كثيراً، ونذكرك كثيراً، فانك بصير بنا، لا يخفى عليك شئ من أفعالنا

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً ۝ طه ﴾

فأجاب الله سؤاله، وأخذ يذكر له ممن الله عليه

فقال الله تعالى لموسى عليه السلام: قد أعطيت ما سألت ربك يا موسى، من شرح صدرك، وتيسيره أمرك، وحل عقدة لسانك، وجعل أخيك هارون وزيراً لك، ليشد أزرک ويشترك فى الرسالة معك، ولقد مننا عليك بمنة أخرى، وهى المنة التى أوحينا فيها الى أمك حيناً ولدتك فى العام الذى كان فرعون يقتل فيه كل مولود ذكر من قومك بأن

تضعك في التابوت خوفاً عليك ، وبأن تصدقك في البحر حتى اذا
ماوصت الى الساحل اخذك فرعون وهو عدوى وعدوك ، وألقيت
عليك حبة مني فخببتك الى عبادي

﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى وَلَقَدْ مَنَّاْ عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى
إِذْ أَوْحَيْنَاْ إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى أَنْ أَقْذِفِيْهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيْهِ
فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ
عَلَيْكَ حَبَّةَ مِّنِّي ﴾ طه

وكانت أختك تمشي تتبعك تحت رعايتي وبرأى مني لتقول لهم :
هل أدلكم على من يرضعه ويكفله ويقوم بشئونه ويريه ؟ ثم رددناك
الى أمك بعد ماصرت في أيدي آل فرعون كما تقرر عينها بسلامتك
ونجاتك من القتل والفرق في اليم ، ولكيلا تحزن عليك من الخوف
عليك من فرعون أن يقتلك ، وقد نجيناك من الغم بقتلك النفس التي
قتلت (وهو قتله القبطي حينما استغاث به الإسرائيلي) إذ أرادوا أن
يقتلوك ، فخلصناك منهم حتى هربت إلى أهل مدين فلم يصلوا إلى قتلك ،
وابتليناك ابتلاء ، فخرجت خائفاً الى أهل مدين ، فلبثت فيهم عدة سنين
ثم جئت في الوقت الذي أردنا أن نرسلك فيه إلى فرعون رسولا على
قدر الرسالة والنبوة

﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْنَا نَفسًا فَنجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ۝ طه

ويذكره الله بنعمته عليه ويقول: لقد أنعمت عليك يا موسى بكل هذه النعم ، ومننت عليك بهذه المنن ، حباً مني لك ؛ لأنني اخترتك وأصطفيتك لا بلاغ رسالتي ، والقيام بأمرى ونهي ، فاذهب أنت وأخوك هارون بآياتي وحججتي إلى فرعون إنه تمرد في ضلاله وغيه ، فأبلغاه رسالتي ، ولا تضعفا أمامه ، ولا تغفلا عن أن تذكراني فيما أمرتكما ونهيتكما ؛ وقولا له قولاً ليناً كريماً ، لعله يتذكر ويراجع نفسه ، ويخشى الله فيرتدع عن طغيانه

﴿ وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنُنْفِيسَ إِذْ هَبَّ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنفِيَا فِي ذِكْرِي إِذْ هَبْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝ طه

فقال موسى وهارون (بعد أن سمعا أمر ربهما من طريق الوحي) :
إننا نخاف فرعون إذا نحن دعوناه إلى ما أمرتنا أن يعجل علينا بالعقوبة
ويسرف ويفرط فيها ، أو أن يزداد في طغيانه

﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْفِئَ ۖ طه

فقال الله لها : لا تخافا فرعون ، إنني معكما أعينكما عليه ، وأبصر وأسمع ما يجري بينكما وبينه ، فأعلم محاورتكما له ، وأرى ما تفعلانه معه ويفعله معكم فلا يخفى على شيء من ذلك ، فاذهبا إليه وقولا له : إنا رسولا ربك أرسلنا إليك لنبلغك أمره ، بأن ترسل معنا بنى إسرائيل ، فأرسلهم معنا ولا تعذبهم بما تكلفهم به من الأعمال الرديئة السيئة ، وقد جئناك بمعجزة من ربك على أنه أرسلنا إليك بذلك ، فإن أنت لم تصدقنا فيما نقول فنحن مستعدون لأن نظهرها لك ، ونطالعك عليها ، والسلامة لمن اتبع هدى الله وبيانه

﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى فَاثْبِتَا قَوْلَا إِنَّا رُسُلَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَلَا تَعْذِِبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى طه

تذكير فرعون لموسى بتريئته وفضله عليه

لما دخل موسى على فرعون ذكره فرعون أنه رُبِّيَ في بيته وليدًا ولبت فيهم سنين من عمره ، وهذا يوجب عليه المحافظة على المودة والحرص على عبادة فرعون ؛ ثم ذكره بفعلته التي فعلها من قتله الرجل القمطي وهربه على أثرها

فرد موسى على هذه المسألة وقال له : إني فعلتها وحينما كنت صغيراً من الضالين لا أدرك ما أفعل، ففررت منكم لما خفتكم ؛ وقد وهب لي الله حكماً وجعلني من المرسلين ، وفي ذلك قول الله تعالى :

﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ قَالِ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ الشعراء

محاجة موسى لفرعون

لما فرغ موسى مما قال وذكر لفرعون أنه يريد إطلاق بني إسرائيل ليعبدوا الله في البرية ، ولما كان فرعون رجلاً عاتياً متألهاً ، تدين الأمة المصرية بعبادته ، وقد فاجأه موسى بأمر لا يقره ولا يرضاه ، وهو محاولة إنزاله من عرش الربوبية ، أخذ فرعون يحاور موسى ويحاجه ، فسأل موسى ما رب العالمين ؟ فأجابه : رب السموات والأرض وما بينهما ، خالق كل ذلك ومبتدعه ، فالتفت فرعون إلى من حوله من أشراف قومه ، مظهر العجب ، قائلاً لهم : ألا تسمعون ؟ أسأله عن موصوف ، فيجيب بوصف

فاستمر موسى في كلامه قائلا : ربكم ورب آبائكم الأولين ؛ أى حينما لم يكن فرعون موجوداً ولا معبوداً فقال فرعون لملائته : إن رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون ، لأنه جاءنا بشئ لا نعرفه ولا نقره

فاستمر موسى فى قوله : رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ قَالَ لِمَنْ حَوَالَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ الشعراء

فلما علم موسى وهارون عدم قبول فرعون الإقلاع عن غيه وتماديهِ فى ضلاله، وادعائه الربوبية، وأنه مكذب لهما لا محالة ، قالاه :

إنا قد أوحى الينا أن عذاب الله واقع على من كذب بما ندعوه اليه من توحيد الله وطاعته وإجابة رسله ، وتولى وأدبر معرضا عما جئنا به من الحق

﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ طه
ثم عاد فرعون فقال لها مخاطباً موسى : فمن ربكما يا موسى ؟ فأجابه :
ربنا الذي أعطى كل شيء في الوجود ما يناسبه من الصورة والشكل ، ثم
هداه لطرق معيشته ووسائل بقائه

﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ
خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ طه

فقال فرعون لموسى : فما شأن الأمم الخالية من قبلنا التي لم تقر بما
تقول ، ولم تصدق بما تدعو إليه ، ولم تخلص له العبادة ، ولكنها عبدت
الأصنام والأوثان من دونه ؟ إن كان الآن على ما تصف من أن الأشياء
كلها خلقها ، وأنها في نعمه تتقلب ، وفي مننه تتصرف

فأجابه موسى فقال : لا علم لى بأمرها ، وبما كان سبب ضلال من
ضل منها فذهب عن دين الله ، لا يخطئ ، ربي في تدبيره وأفعاله ، فإن
كان عَذَّبَ تلك القرون الماضية وعَجَّلَ هلاكها فنعمة مافعل ، وإن كان
أخر عقابها إلى يوم القيامة فالخلق مافعل ، هو أعلم بما يفعل لا يخطئ في
فعله أبداً ، ولا ينسى فعل مافعله حكمة وضوابطاً

﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى قَالَ عَلَّمَهَا نَبْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ
لَا يَصِلُ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ طه

ثم ذكر له قدرة الله وعظيم سلطانه وجليل أعماله قائلاً له : إن الله جعل لكم الأرض بساطاً وفراشاً ، وفتح فيها طرقاً وسبلاً للسعى فيها ، وأنزل لكم من السماء مطراً لتحيا به الأرض ، ويخرج منها أزواجاً شتى من النبات ، وألواناً تأكلون منها وترعون أنعامكم ومواشيكم ، وكل ذلك آيات وحجج تدل على وحدانية الله ، وأنه لا إله غيره ، وتلك آيات لأولى الفكر والاعتبار وأهل التدبر والاتعاظ

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى كُلُوا وَارْزَعُوا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ﴾ طه

ثم قال له زيادة في الاحتجاج وتبغيضا له في الدنيا وتذكيرا له بعقاب الآخرة :

إن الأرض منبتنا الذي أنبتنا الله منه ، وفيها معاد الناس الذي يعودون اليه بعد فناء حياتهم ؛ ومنها يخرجون مرة أخرى للحساب ولحجزة كل إنسان بما صنع

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ طه

ومع هذه الآيات البينات والحجج القاطعات الدالة على حقيقة

ما أرسل الله به رسوله (موسى وهارون) كذَّب فرعون وأبى أن يقبل
من موسى وهارون ماجاء به من عند ربهما من الحق عتوا واستكباراً
وفى ذلك يقول الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴾ طه
كما أن قومه استكبروا عن قبول دعوته لما جاءهم بالحق وقالوا :
إن هذا لسكر مبين ؛ لأنهم كانوا قومًا مجرمين ، قال الله تعالى :
﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ
عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ يونس

طلب فرعون المبارزة من موسى مع السحرة
وانتصار موسى عليهم

ثم قال فرعون لموسى : أجتنا لتخرجنا من منازلنا ودورنا بسحرك
هذا الذى جئتنا به ؟ فلنأتينك بسحر مثله ، فاجعل بيننا وبينك موعدا
لاتعداه ، لنجىء بسحر مثل الذى جئت به ، فننظر أينا يغلب صاحبه ؟
لانخلف ذلك الموعد نحن ولا أنت بمكان متوسط ومعتدل بيننا وبينك
﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى فَلْنَأْتِيَنَّكَ

بِسَجَرٍ مِثْلِهِ فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا تُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ
مَكَانًا مَوْيًى ﴿ طه

فقال موسى لفرعون حين سأله أن يضرب له موعدا للاجتماع :
موعدكم يوم العيد (وهو يوم عيد كان فرعون يخرج له ، وكانوا يتزينون
فيه بعد انبساط الشمس ليشهدوا من الغالب ومن المغلوب؟)

﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾ طه
فلما سمع فرعون هذا الجواب أدبر معرضا عما أتاه به من الحق ، وجمع
كيدته ومكره ، أي جمع سحرته ثم أعطاهم تعليماته ، وجاء معهم في الموعد
الذي حدده موسى

﴿ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴾ طه

فقال موسى للسحرة لما جاء بهم فرعون : الويل لكم ! لا تتخلقوا على
الله كذبا ، ولا تتقولوا عليه فيسحقكم بعذاب ، ويستأصلكم بهلاك
فيبيدكم ، وقد خاب من افترى على الله الكذب ، فلم يظفر بحاجته
التي طلبها ورجا إدراكها

﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ
بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ﴾ طه

فتنازع السحرة في أمر موسى، فقال بعضهم: هذا ساحر، وقال البعض الآخر: ليس بساحر، وقرروا فيما بينهم أنهم يتبعونه إن غلبهم وأسروا هذه النية في أنفسهم، وأعلنوا الناس بأن موسى وأخاه هارون ساحران، يريدان إخراجكم من أرضكم بسحرهما، ويذهبا بذهبكم الذي هو أعدل المذاهب

﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ طه

فقال لهم موسى: اجمعوا، أمركم وأحكموا كيدهم، ثم احضروا صفًا واحدًا فقد ظفر اليوم من غلب صاحبه وقهره وعلا على خصمه ﴿فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعْلَى﴾ طه فاجتمعت السحرة كيدهم، ثم أتوا صفًا وقالوا لموسى: يا موسى إما أن تلقى، وإما أن نكون نحن الملقين؟ قال لهم: بل ألقوا أنتم مامعكم قبلي فلما ألقوا حبالهم وعصيمهم، فإذا هي في نظره تشبه حيات قد ملأت الوادي، يركب بعضها بعضا، يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى، فاختطفوا بسحرهم بصر موسى وفرعون، ثم أبصار الناس

﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّمَا أَنْتَ تُتْلِي وَإِنَّمَا أَنْ نَكُونُ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ
بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾
طه

فلما رأى موسى ذلك هاله أمر تلك الحيات، وأوجس وأضمر في
نفسه خوفاً، فأوحى الله إليه بقوله : لا تخف، إنك أنت الأعلى على هؤلاء
السحرة، وعلى فرعون وجنوده، والقاهر لهم، وأمره أن يلقى عصاه بقوله :
فألق ما في يمينك (العصاة) فتبتلع حبالهم وعصيهم التي سحروها حتى
خيل إليك أنها تمشي، فإن الذي صنعوه كيد ساحر، ولا يفلح الساحر
حيث كان وأنى وجد، ولا يظفر بسحره من أين أتى

﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى
وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ
السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ طه

انتصار موسى واعتراف السحرة به وبأخيه هارون

وتهديد فرعون لهم

فلما ألقى موسى عصاه صارت ثعباناً كبيراً ابتلع كل أعمالهم وحبالهم
وعصيهم ؛ وبذلك كان الفوز والنصر له ؛ ووقع الحق وبطل سحر
السحرة، ودهش آل فرعون والملا من قومه، وعلم السحرة أن السحر

لا يفعل ذلك وإنما هي القوة الإلهية صنعت ذلك ، فخر والله سجداً ،
وقالوا : آمنا برب هارون وموسى ؛ لو كان هذا سحراً ما غلبنا قال تعالى :
﴿ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ الشعراء .

ولما رأى فرعون الغلبة والنصرة لموسى أسفاً شديداً وتكدر
وقال للسحرة : أصدقتم وأقررتم لموسى بما دعاكم اليه من قبل أن أسمع
لكم؟ إنه لرئيسكم الذى علمكم السحر ، فلا تقطعن أيديكم اليمنى وأرجلكم
اليسرى من خلاف ، ولا تصلبنكم على جذوع النخل ، لتعلمن أيها السحرة
من منا أشد عذاباً وأدوم إبلا ما لكم أنا أو موسى ؟

﴿ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى قَالَ
آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحَرَ
فَلَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَلْبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ
النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾ طه

فقال السحرة لفرعون لما توعدهم بما توعدهم به : لن نؤثرك فنتبعك ،
ونكذب من أجلك موسى على ما جاءنا به من الآيات البينة والحجج
والأدلة القاطعة ، الدالة على حقيقة ما دعانا اليه ، ولا نتخارك لها من دون
الله الذى فطرنا وخلقنا ، فافعل ما أنت فاعل بنا مما تهددنا به من أنواع
التعذيب ، فلا نبألى به ما دمنا على الحق ، واعلم بأن هذه الحياة الدنيا

فانية لاتدوم ، وليس لك سلطان علينا إلا فيها تتحكم فينا كيف تشاء
ولا سلطان لك بعدها

ونحن قد آمنّا برّبنا وأقرّنا بتوحيد الله ، وصدقنا بوعدده ووعيدده
وأمنّا بما جاء به موسى ، ليغفر لنا ربنا خطايانا ويعفو عن ذنوبنا فيسترها
علينا ، وما أكرهتنا عليه من السحر فان الله خير ثواباً وأبقى عقاباً
﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا
فَاَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا
لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ
وَأَبْقَى ﴾ طه

تماذى فرعون وقومه وإصرارهم على الكفر

رأى فرعون الآيات فلم يصدق بها ، وتماذى على كفره ، وأصر على
عناده وطغيانه ، معرضاً عن تلك الآيات التى أتى بها موسى ، وأغراه
قومه بقولهم له : أنترك موسى وقومه يفسدون فى الأرض بالامتناع عن
الأعمال التى سخرها فيها ، ويتركون فرعون وآلهته لا يعبدونها ولا يعبدون
فرعون ؟

فسكّن فرعون روع القوم ، واعدأ إياهم بأن سيقتل أبناء قوم موسى

و يستحي نساءهم معتزاً بما له عليهم من القهر والغلبة والسلطان
ولما أتبع القول بالعمل ضجّ بنو إسرائيل وقاموا بالشكوى الى
موسى مما حاق بهم، من الظلم والجور، فأوصاهم موسى بالصبر على هذا
البلاء النازل بهم وأن يستعينوا بالله على احتماله ووعدهم حسن العاقبة
فلم يخفف ذلك من روعتهم، ولم يكفكف من دموعهم، وقالوا له :
« أودينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ماجئتنا »

فأخذ يهدئ من روعهم، ويخفف من أحزانهم، ويمسحهم هلاك
عدوهم، وإخراجهم من الضيق الى السعة، وأنهم سيكونون خلفاء في
الأرض التي وعدوا بها ؛ وفي ذلك قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا
فِي الْأَرْضِ وَيَذَرُكَ وَإِلَهْتِكَ قَالَ سَتَقْتُ أَبْنَاءَهُمْ وَتَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ
وَلَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا
إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ قَالُوا
أُودِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ
يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾

الأعراف

(م - ٦ - ن)

إيمان طائفة من بني إسرائيل بموسى ونصحه لهم

بعد هذه المعجزة الربانية، والموقعة السحرية، التي انتصر فيها الحق على الباطل، لم يؤمن بموسى مع ما آتاهم به من الحجج والأدلة إلا طائفة من شبان بني إسرائيل، على خوف من فرعون وأشراف قومه، أن يعذبهم فرعون؛ لأنه متغلب عليهم في الأرض، ومن المسرفين في الكبر والجبروت، ويحملهم على الرجوع عن إيمانهم والكفر بالله ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ يونس

فقال موسى لهم: يا قوم، إن كنتم آمنتم حق الإيمان فثقوا بالله واعتمدوا عليه، إن كنتم مسالمين، ومذعنين له بالطاعة، وتوكلوا عليه فلن يخذل من توكل عليه

﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ يونس

فقالوا: على الله توكلنا، وبه ثقنا، واليه فوضنا أمرنا، ثم دعوا الله وقالوا: ربنا لا تجمعنا موضع عذاب للقوم الظالمين، فيردونا عن الإيمان بالله ورسوله، وخلصنا من أيدي القوم الكافرين (قوم فرعون)

﴿ قَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ
وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِّنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ يونس
وحى الله الى موسى وأخيه باتخاذ بيوتهما بمصر مساجد

فأوحى الله الى موسى وأخيه هارون أن يتخذوا لقومهما بمصر بيوتاً
وأن يجعلوا بيوتهم مساجد يؤدون فيها الصلاة المفروضة عليهم في
أوقاتها ، وأن يبشرا المؤمنين بالفوز في الدنيا والآخرة

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا
وَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ يونس

وقال موسى لربه : ربنا إنك منحت فرعون وكبراء قومه وأشرفهم
زينة من متاع الدنيا وأثاثها ، وأمواالا من أعيان الذهب والفضة في
الحياة الدنيا ليضلوا عبادك عن صراطك المستقيم عقوبة منك لهم
ثم دعا ربه قائلاً : ربنا اطمس على أموالهم واحرقها ، وأطبع على
قلوبهم لكيلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم (الفرق) جزاء لهم على
تجبرهم في الأرض ، وتمردهم على رسلك

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلَّوْا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ
وَأَشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ يونس

فأجاب الله دعاءها على فرعون وأشراف قومه وأموالهم ، وأمرها بالاستقامة والثبات على أمرها من دعاء فرعون وقومه إلى توحيد الله وطاعته ، إلى أن يأتهم عقاب الله الذي أخبرها أنه أجابهما فيه ؛ وأن لا يسلكا سبل الجبهة في استعجال العذاب للمكذبين

﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يونس

الدليل على نبوة موسى

وقال الله لموسى : هذان (العصا واليد) برهانان من ربك إلى فرعون وأشراف قومه حجة عليهم ، ودلالة على حقيقة نبوتك يا موسى

إنهم كانوا قوماً كافرين

﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ القصص

فقال موسى : رب إنى قتلت من قوم فرعون نفساً فأخاف أن آتيهم فيقتلونى ، ولا يمكننى أن أقیم الحجة عليهم ؛ لأن فى لسانى عقدة لا أبین معها ما أريد من الكلام ، وأخى هارون هو أفصح منى لساناً ، وأحسن بياناً ، فإرسله معى عوناً يبين لهم ما أخطبهم به ، فأنى أخاف أنهم لا يصدقون قولى

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ وَأَخْيَ هَارُونَ
هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ
يُكَذِّبُونِ ﴾ القصص

فقال الله لموسى: سنشد عضدك بأخيك، ونعينك وتقوم بك، ونجعل
لكما حجة دامغةً وسلطاناً عليهم، فلا يصلون اليكما. اذهبا بآياتنا اليهم
فأنتما ومن اتبعكما الغالبون

﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَجَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ
إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ القصص

فلما جاء موسى إلى فرعون وقومه بآيات واضحات، قالوا لموسى:
إن الذي جئتنا به ماهو إلا سحرافتريته من قبلك، وما سمعنا بهذا، أى
بادعاء النبوة، فى أسلافنا وآبائنا الأولين الذين مضوا قبلنا

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ
مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ القصص

فقال موسى لفرعون: ربى أعلم بمن منالحق من المبطل، وأعلم بمن
جاء بالهدى من عنده، ومن تكون له حسن العاقبة بعد هذه الحياة الدنيا
فى الدار الآخرة، إنه لايفلح الظالمون

﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبِّى أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ

تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٠٠﴾ القصص

فرعون يدعى الألوهية ويأمر ببناء صرح ليصعد به السماء

وقال فرعون لأشراف قومه وساداتهم ، يا أيها القوم لست أعرف لكم إلها غيرى فتعبدوه ، وأنظركم لاتصدقون قول موسى فيما جاءكم به من أن لكم وله إلها غيرى ، ومعبوداً سواى . ثم أمر (هامان) بأن يوقد على الطين ليعمل له الآجر ، ويبنى له قصراً عالياً يصعد فيه الى السماء حتى ينالها ويقول : أنظر الى إله موسى الذى يعبده ويدعو الى عبادته وإني لأظنه فيما يقول من الكاذبين

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنه من الكاذبين ﴾ القصص

ولهذا استكبر فرعون وجنوده فى أرض مصر عن تصديق موسى واتباعه الى توحيد الله بغير الحق إذ ادعى الألوهية ، ورفع نفسه الى مستوى ليس لأحد من العالمين أن يطالبه ، وطن هو وجنوده أنهم بعد مماتهم لا يبعثون ولا يرجعون الى الله ، فأخذهم الله أخذاً عزيزاً ، وألقاهم جميعاً فى البحر فأغرقهم ، وكان ذلك عاقبة الظالمين

﴿وَأَسْتَكْبِرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ
إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاظْطَرُّوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ القصص

الاتِّمَار بِمُوسَى لِقَتْلِهِ وَدِفَاعَ مُؤْمِنٍ عَنْهُ
اِنتِصَاراً لِدِينِ اللَّهِ وَنَجَاتِهِمَا مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ

أراد فرعون أن يبطش بموسى ، وتآمر هو وقومه على قتله حتى
لا يكون منه تبديل لدين القوم أو فساد في أرضهم ، فاستعاذ موسى
بالله من شر هذا المتكبر الظالم الذي لا يؤمن بالله ولا بيوم الحساب
﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ
يَبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ
بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ غافر

ولما كان الحق لا يعدم نصيراً ، قام رجل مؤمن من آل فرعون
بكمه إيمانه بموسى ورب موسى الى ذلك الحين ، ودافع عن موسى
دفاعاً مشكوراً ، وأبلى في ذلك بلاءً حسناً ، وبين لهم أنه لا ينبغي أن
يقتلوا رجلاً يقول : ربى الله ؛ اذا كان قد جاءهم بالآيات الدالة على
صداقه ، ولو فرض أنه كاذب فيما يقول ، مانا لهم ضرر من كذبه ، ولا

يحملون شيئاً من إثمِهِ ؛ وإذا كان صادقاً أصابهم بعض الوعيد الذي
توعدهم بِهِ ، وقد عارضه فرعون فيما رأى ، ووجه أقواله الى الملائكة
قومه ينتصر بهم على معارضته قائلاً :

ما أرىكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد

فعاد الرجل المؤمن من آل فرعون إلى الكلام محذراً قومه بأس
الله تعالى ، وذكرهم ما حصل للأمم السابقة ، أمم عاد ، وثمود ، وقوم نوح ،
وغيرهم ، ممن انتقم الله منهم جزاءً رفاقاً بما صنعت أيديهم ، وذكرهم
أيضاً بأن الدعوة التي جاء بها موسى اليوم ليست جديدة ، فقد جاء إلى
آبائهم ، واليهم ضمناً ، يوسف عليه السلام بالبينات فلم ينل تصديقهم إياه ،
حتى إذا مات قالوا : لن يبعث الله من بعده رسولا ، وأبان لهم أن ذلك
مما طبع الله على قلوبهم ، وإمساكه تعالى عن هدايتهم ، هداية موصلة
بالفعل إلى المقصود ، وأن الله تعالى لا يهمل الحسنات ولا السيئات
بل يجازي على كل شيء ، وأن المؤمنين لهم الجنات يرزقون فيها
بغير حساب

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا
أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا
فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ

لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ يَأْقُومُ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ
ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ
فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ وَقَالَ الَّذِي
آمَنَ يَأْقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ مِثْلَ دَابِ
قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ بِرِيدٍ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ
وَيَأْقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُثْلَوْنَ مُذْبِرِينَ
مَالَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ
وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا
جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا
كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي
آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ آتَاهُمْ كِبَرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ
آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ

وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَأْقُومُ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ يَأْقُومُ
إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ مَنْ
عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ

أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ
حِسَابٍ ﴿ غافر

تمادى قوم فرعون فى غيبيهم

وردنا من هذه النصيحة الثمينة وهذا الدفاع المجيد تمادى
قومه فى غيبيهم ، وجهدوا أن يردوه إلى دين قومه ، فلامهم على أنه
يريد لهم السعادة ، وهم يريدون له الشقاء الدائم ، فهو يدعوهم إلى الايمان ،
وهم يدعونه الى الكفر بالله تعالى العزيز الغفار ، ولا شك أن الآلهة
التي يدعونه إلى عبادتها لا تنفع فى الدنيا ، ولا تشفع فى الآخرة ، وأن
المرجع والمصير إلى الله تعالى ، وأنه سيأتى عليهم وقت يذكرون فيه
نصحه إياهم ، وأنه قد فوض أمره الى الله
ولقد هموا بقتله كما هموا بموسى ، فوقاه الله سوء عملهم ، وكانت عاقبته
السعادة والفخار ، وعاقبة آل فرعون النار والدمار

﴿ وَبِأَقْوَمِ مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ .
تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ
إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ . لَا جَرَمَ أَنَّ مَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي
الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ

النَّارِ فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ . فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكُرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ . النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿ غافر

فرعون يستخف بموسى، ويباهى بملكه وثروته

كبر على فرعون أن يلبي دعوة موسى، ويتبع دينه، لما رأى له من عزة السلطان، ووافر الثروة التي تدرها عليه خيرات مصر بسبب نيلها الفيض، وماله من الفروع التي تبعث فيها الحياة؛ وغلبت عليه نفسه التي لا ترى الخير والعز إلا في كثرة المال، ولا تعرف أن الله يختص برحمته وفضله من يشاء، فأخذ ينادى في قومه قائلاً لهم: أليس لى ملك مصر وهذه

الأنهار تجري بين يدي؟ بل أنا خير من موسى هذا الضعيف الحقير

القصي الذي لا يكاد يظهر الكلام، فهلا ألقى عليه أساور من ذهب (وكان من عادتهم أن يلبس ملوكهم أساور) أو جاء معه الملائكة يعينونه ويصدقونه ؟

فكانت هذه الأقوال من فرعون كافية لاستخفافه قومه، وإطاعتهم إياه ميلاً منهم عن الحق وزيقاً عن طريق الهدى، لأنهم ألفوا الاقياد له

وكانوا من القوم الظالمين الفاسقين
﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ
وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا
الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يَبِينُ فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ
أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ
كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ الزخرف

ثم ولى معرضا عما دعاه اليه موسى من طاعة ربه وخشيته وتوحيده ،
وأخذ يسعى ويعمل في معصية الله ، وفيما يسخطه عليه ، جمع قومه
وأتباعه ونادى فيهم قائلا : أنا ربكم الأعلى الذي كل رب دوني ،
فأخذه الله بعقوبته على كلمته الأخيرة والأولى ؛ وأن في ذلك لموعظة
وعبرة لمن يخشى الله ويخاف عقابه

﴿ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَىٰ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ فَأَخَذَهُ
اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴾
النازعات

الآيات التي أرسلها الله تعالى على فرعون وقومه

لما كذبوا موسى

لما أخذت فرعون العزة بالإثم ، ولم يذعن لأمر الله ، وتنادى في تكذيب موسى ، واستمر في تعذيب بني إسرائيل ، وإيقاع ضروب الذلة والاهانة بهم ، أمر الله تعالى موسى أن يعلن فرعون وقومه بأن الله تعالى سيوقع بهم العذاب جزاء لهم على تكذيبه إياه وامتناعهم من إطلاق بني إسرائيل : فكانوا كلما وقع بهم عذاب بعد إبلاغ موسى إياهم به وعدهه بالإيمان به تارة ، وبارسال بني إسرائيل معه تارة أخرى ، إذا سأل ربه كشف ما نزل بهم من العذاب ، فإذا كشف الله عنهم منازل بهم عادوا إلى طغيانهم ، وغدروا بعهدهم ، وأخلفوا وعدهم ، وهكذا إلى أن كانت الآية الكبرى ، والبطشة العظمى ، وهي إغراق فرعون في اليم ، ونجاة بني إسرائيل وتلك الآيات هي :

أولا - الجذب بأن قل عنهم النيل وقصر عن إرواء أرضهم

ثانيا - النقص من الثمرات بسبب ما يصيبها من العاهات

ثالثا - الطوفان الذي عمهم حتى عاقهم عن الزرع في الوقت المناسب

رابعا - الجراد بأن أرسل الله على بلاد مصر الجراد فأكل الزرع

وأهلك الثمار

خامسا - القمل الذى آتاهم وحرّمهم لذة النوم والراحة
سادسا - الضفادع التى كثرت عندهم حتى نغصت عليهم عيشتهم
بسقوطها فى طعامهم وفراشهم وبين ملابسهم
سابعا - الدم وذلك باستحالة الماء دما ، وقيل أن الله سلط عليهم
الرعاف

ثامنا - الطمس على أموالهم وهو محققها وإهلاكها
تاسعا - اليد إذ كان يضع يده فى جيبه ثم يخرجها بيضاء من
غير سوء

وقد ورد ذكر ذلك فى سورة الأعراف فى الآيات الآتية :

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ
يَذْكُرُونَ فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ
يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَاهُ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ
لَكَ بِمُؤْمِنِينَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ
آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ . وَلَمَّا وَقَعَ
عَلَيْهِمُ الرَّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِنُنْزِلَ

كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ لَنُؤْمِنَ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرَّجْزَ إِلَى أَجَلِهِمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُشُونَ
فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا
عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٠٧﴾ الأعراف

يقول الله تعالى ذكره : ولقد اخترنا قوم فرعون وأتباعه على ما هم
عليه من الضلالة بالسنين الجذباء والقحط سنة بعد سنة ، وبذهاب
ثمارهم وغلالهم ، إلا القليل ، عظةً وتذكيراً لهم ، ليزدجروا عن ضلالتهم
ويفزعوا إلى ربهم بالتوبة

فإذا جاء آل فرعون الخصب والرخاء وكثرة الثمار، ورأوا ما يحيون به
في دنياهم قالوا : هذه نحن أولى بها، وأن تصيبهم سيئة، أي جدد وقحط
وبلاء ، يطيروا بموسى ومن معه ، ويقولوا : ذهب حظوظنا من الرخاء
والخصب مذ جاءنا موسى

ألا إنما الخير والشر من عند الله؛ ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك
إذ لجهلهم كانوا يتشاءمون من موسى ومن معه
وقال آل فرعون لموسى : يا موسى، مهما تأتينا به من علامة ودلالة لتسحرنا
وتفتننا بها عما نحن عليه من دين فرعون فما نحن بمصدقين على أنك محق فيما

تَدْعُونَا إِلَيْهِ ، فَأَرْسَلَ عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ (المَطَرُ الشَّدِيدُ) وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ
وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ

كُلَ ذَلِكَ عِلَامَاتٌ وَذِلَالَاتٌ عَلَى صِحَّةِ نُبُوَّةِ مُوسَى ، وَحَقِيقَةِ مَا دَعَاهُمْ
إِلَيْهِ ، أَتَتْ مَفْصَلَاتٌ يَتَلَوُ بِعَظْمَا بَعْضُهَا ، لِيَكُونَ لِلَّهِ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ ، فَيَنْتَقِمَ مِنْهُمْ
بَعْدَ ذَلِكَ ، فَاسْتَكْبَرَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ هَذِهِ الْآيَاتِ وَالْحُجَجِ
عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَتَصَدِيقِ رَسُولِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَتْبَاعِهِ ، وَتَعْظُمُوا
عَلَى اللَّهِ وَعَتَوْا ، وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ يَعْمَلُونَ بِمَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ مِنَ الْمَعَاصِي
وَالْفِسْقِ وَالْتِمَادِ

وَلَمَّا نَزَلَ بِهِمْ عَذَابُ اللَّهِ ، وَحُلَّ بِهِمْ سَخَطُهُ ، فَزَعَوْا إِلَى مُوسَى لِيَدْعُو لَهُمْ
رَبَّهُ وَقَالُوا : يَا مُوسَى أَدْعُ لَنَا إِلَهَكَ لِنَرْفَعَنَّكَ عَنِ الْعَذَابِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ لِنُؤْمِنَ
لَكَ ، وَلِنُصَدِّقَ بِمَا جِئْتَ بِهِ ، وَدَعَوْتَ إِلَيْهِ ، وَلِنَقْرَنَ بِهِ وَلِنُرْسِلَنَّ مَعَكَ
بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَلَا تَنْعِمَهُمْ أَنْ يَذْهَبُوا مَعَكَ حَيْثُ شِئْتَ ، فَدَعَا مُوسَى رَبَّهُ
فَاجَابَهُ ، فَلَمَّا رَفَعَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ الَّذِي أَنْزَلَهُ بِهِمْ إِلَى الْأَجْلِ الَّذِي حَدَدَهُ
لَا سِتِفَاءَ عَذَابِ أَيَّامِهِمْ ، تَقْضُوا عَهْدَهُمُ الَّتِي عَاهَدُوا رَبَّهُمْ وَمُوسَى عَلَيْهَا .
فَلَمَّا نَكَثُوا عَهْدَهُمْ انْتَقَمَ اللَّهُ مِنْهُمْ ، فَأَغْرَقَهُمْ فِي الْبَحْرِ ، لِأَنَّهُمْ كَذَبُوا بِآيَاتِ
اللَّهِ وَحُجَجِهِ ، وَكَانُوا عَنْ تِلْكَ النِّعْمَةِ غَافِلِينَ

خروج موسى مع بنى إسرائيل من مصر

لما تكبر فرعون وأبى أن يستجيب لأمر ربه، وطفى وقادى في طغيانه، أوحى الله إلى موسى عليه السلام بأن يخرج مع بنى إسرائيل ليلاً وأن يتخذ لهم طريقاً يابساً في البحر، وأمره أن يضرب بعصاه البحر لترفع مياهه عن الجانبين، فنزله وقومه يمرون على أرضه فلا يخاف من فرعون وجنوده أن يدركوه من ورائه ولا يخشى غرقاً، قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَى ۝ طه

نجاة موسى وقومه، وغرق فرعون وجنوده

فسرى موسى ببني إسرائيل كما أمره الله، وندم فرعون على أنهم انطلقوا بلا إذن منه فأرسل في المدائن حاشرين، وجمع جمعاً عظيماً وأتبع بنى إسرائيل ليردهم إلى عبوديته، وكان بنو إسرائيل قد بلغوا ساحل البحر الأحمر على خليج السويس، واطلع عليهم مع شروق الشمس، فأيقنوا بالهلاك، وأن فرعون لابد أن يبطش بهم، فسكن موسى روعهم وضرب البحر كما أمره الله تعالى فانفلق حتى ظهرت أرضه، وكان كل فرق كالطود العظيم، وأمر بنى إسرائيل بالعبور فيه فعبروا من الشاطئ

(م - ٧ - ن)

الغربي الى الشاطئ الشرقى ، وأشرف فى ذلك الحين فرعون على
الموضع الذى عبروا منه ، فرأى طريقا فى البحر يابسا لا وعورة فيه ، وبني
إسرائيل بين فرقى الماء لم يمسه أذى ، فطمع أن يسير فى أثرهم فيردهم
هو وجنوده ، فافتحموا الطريق اليابس فى البحر خلف بني إسرائيل
فلما جاوز بنو إسرائيل البحر ، ولم يبق أحد منهم بين المياه المنحسرة
وفرعون قد توسط البحر هو وجنوده ، انطبق البحر عليهم وعاد كما كان
أولاً ، وغرق فرعون وجنوده ، ولم يفلت منهم أحد من اقتحم الماء ،
فأضل فرعون قومه وما سلك بهم طريق أهل الهدى والاستقامة ، بل
سلك بهم طريق أهل الضلال بأمرهم بالكفر بالله وتكذيب رسله
وفى ذلك يقول الله تعالى :

﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ وَأَضَلَّ
فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ طه

وفى ذلك الوقت الذى أدرك فيه فرعون الغرق قال : آمنت أنه
لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل ، وأنا من المسلمين . أراد بهذه
الكلمة أن يدفع عن نفسه الغرق ؛ ولكن قد نفذ فيه أمر الله
لطغيانه وكفره .

وقال الله له : اليوم ننجيك بيدك ونأمر البحر أن يلفظ جثتك

الى الشاطئ لتكون لمن خلفك من الأجيال الآتية عظة وعبرة وكذلك
لقومك حتى يروك بأعينهم عظاماً فيعتبروا بك ، ويعترفوا بأنك كنت
مغروراً بادعائك الألوهية والعظمة

وقيل : انه كشفت جثته في أحد النواويس وكتب بشأنه المرحوم
احمد نجيب بك الأثرى الشهير صاحب كتاب (الأثر الجليل في قدماء
وادي النيل) مقالا ضافيا في جريدة المؤيد أيام العثور على جثة ذلك
الرجل وأكده أنه فرعون موسى ، واستدل على ذلك بقوله تعالى :

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ
بَغْيًا وَعَدُوا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي
آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ آ لَآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ
وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ
آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ يونس

حال بني اسرائيل مع موسى

ولما جاوز بنو إسرائيل البحر ، وأتوا على قوم يعكفون على عبادة
الأصنام ، غلبت عليهم شقاوتهم ووثنية المصريين الذين قلدوهم فيها
(شأن المغلوب في تقليد الغالب) فدفعهم إلى أن يطلبوا من موسى

أَن يَتَّخِذَ لَهُمُ إِلَهًا كَمَا لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمِ آلِهَةٌ
فَاتَّخَذَ مُوسَى يَوْمَهُمْ ، وَيَوْمَهُمْ ، وَيَوْمَهُمْ ، عَلَى طَلَبِهِمْ إِلَهًا
سِوَى اللَّهِ الَّذِي فَعَلَ بِعَدُوِّهِمُ الْعَجَائِبَ الْمُدْهَشَةَ ، وَأَنْجَاهُمْ مِنْ عَذَابِهِ ،
وَوَخَّصَهُم بِالْأَكْرَامِ ، وَفَضَّلَهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَإِنَّ إِلَهًا هَذِهِ آيَاتُهُ وَهَذِهِ
نِعْمَتُهُ عَلَيْهِمْ وَإِحْسَانُهُ إِلَيْهِمْ لَا يَعْدِلُ عَنْ عِبَادَتِهِ إِلَى عِبَادَةِ غَيْرِهِ إِلَّا مَنْ كَانَ
جَاهِلًا سَعِييًا ، وَفِي ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ
عَلَى أَصْنَامِهِمْ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ
إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ قَالَ أَعْبُدُوا اللَّهَ أُنْفِكُكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾
الأعراف

وَلَمَّا جَاوَزُوا الْبَحْرَ وَجَاءُوا إِلَى الشَّاطِئِ الشَّرْقِيِّ لَمْ يَجِدُوا مَاءً لَشَرِبِهِمْ
وَسَقِيَا لِدَوَابِهِمْ ، فَشَكُوا إِلَى مُوسَى مُتَذَمِّرِينَ وَاسْتَسْقَوْهُ ، فَأَمَرَ اللَّهُ أَنْ
يَضْرِبَ بِعَصَاهُ الْحَجَرَ ، فَانْبَعَثَ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا لِكُلِّ سَبْطٍ مِنْ
الْأَسْبَاطِ ، أَيْ لِكُلِّ قَبِيلَةٍ مِنَ الْقَبَائِلِ عَيْنٌ تَجْرِي بِالمَاءِ يَشْرَبُونَ مِنْهَا ،
وَهَذِهِ الْعَيُونُ بِالْبَرِّ الشَّرْقِيِّ غَيْرُ بَعِيدَةٍ عَنْ مَدِينَةِ السُّوَيْسِ ، وَهِيَ شَهِيرَةٌ
(بَعْيُونُ مُوسَى) وَفِي ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ وَقَطَعْنَاهُمْ
أَثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ
أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْخَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ
عَلِمَ كُلُّ أَنْاسٍ مَشْرَبَهُمْ ﴾ الأعراف

ولما كان زادهم عرضة للنفاد، وتاقت أنفسهم الى اللحم مع خشيتهم
الجوع والهلاك، أرسل الله لهم الرياح تحمل لهم المنّ والسوى (المن
الرجيق المتجمد وهو مادة تفرزها بعض الأشجار يميل طعمها الى
الحلاوة فيها لبن وهي سهلة الهضم والسوى طائر السمانى كان يقطن
تلك الأرض فيأخذ منه كل انسان حاجته)

وقد ذكّرهم الله بنعمه ، وحذرهم من الطغيان والكفر ، تفادياً من
غضب الله عليهم ، فقال لهم : يا بنى إسرائيل ، قد أنجيناكم من عدوكم
فرعون وجنوده ، وواعدناكم جانب الطور الأيمن ، وأنزلنا عليكم المنّ
والسوى كلوا من طيبات ما رزقناكم حلالاً طيباً ، ولا تعتدوا على الناس
ولا يظلم بعضكم بعضاً فيحل عليكم غضبى ، ومن يحل عليه غضب الله
فقد هوى الى الدرك الأسفل من النار ، وأن الله لغفار ، يتوب على من
تاب وآمن وعمل صالحاً ، ثم سلك سبيل الهدى والرشاد ، وذلك
قوله تعالى :

﴿يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُم جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ طه

ثم انهم طلبوا من موسى عليه السلام أن يدعو لهم ربهم ليخرج لهم من الأرض البقول، والعدس، والبصل، لأنهم لم يصبروا على طعام واحد، فقال لهم موسى : أتستبدلون الشيء القليل القيمة بالذى هو خير منه ؟ وأمرهم أن يهبطوا إلى مصر فانهم يجدون فيها طلبهم ، هذا الطلب وسيلة من الله تعالى لتبهيهم إلى أن طلبهم لا يكون إلا اذا نزلوا مصرًا من الأمصار

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَمَادَّعُنَا رَبُّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْتِ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمُ﴾ البقرة

ذهاب موسى لميقات ربه

وعد موسى عليه السلام قومه بنى إسرائيل ، وهم بمصر ، أن
أهلك الله فرعون أتاهم بكتاب فيه الوصايا التي يطلب بنو إسرائيل
للعمل بها لما فيه صلاحهم

فلما أهلك الله فرعون ، سأل موسى ربه الكتاب ، فأمره أن يصوم
ثلاثين يوما ، وهي شهر ذى القعدة ، فلما آتم الثلاثين ، قيل : أنكر موسى
خلوف فيه ، فاستاك أو أكل بعض النبات ، فقالت الملائكة لموسى : كنا
نشم من فيك رائحة المسك ، فأفسدته بالسواك ، فأمره الله تعالى أن
يصوم عشرة أيام من ذى الحجة ، فأتى أربعين ليلة ، وفى ذلك
قوله تعالى :

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِّمَقَاتُ
رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ الأعراف

وقبل ذهاب موسى لميقات ربه ترك أخاه هارون وأمره أن يكون
خليفة على بنى إسرائيل ، وأكد عليه النظر فى مصالحهم وشئونهم ،
واليقظة فى أمرهم ، وألا يتبع سبيل المفسدين الذين يفسدون فى الأرض
بمعصيتهم ربهم ومعونتهم أهل المعاصى ، ولكن يسلك سبيل المطيعين

﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾
الأعراف

مناجاة موسى لربه

وبعد تمام الأربعين ليلة كلم موسى ربه ونجاه قائلا : رب أرني أنظر اليك ؟ فقال الله له مجيبا : لن تراني ، وليس لبشر أن يطيق أن ينظر الى في الدنيا ، وأراد أن يريه حقيقة ذلك وأن ماطله شيء عظيم لاتحمله الجبال ، فأمره قائلا : أن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني

﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ إِنَّ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾
الأعراف

فلما تجلّى الله للجبل جعله دكا أي مستويا بالأرض ، وتفتت وخرّ موسى مغشيا عليه كما يخرج من أخذته الصاعقة ، وذلك لما هاله من صوت الجبل ، مما حصل له حين غاص في الأرض وتفتت

﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾
الأعراف

فلما أفاق موسى من غشيته قال : سبحانك ، تنزيها لك يارب
وتبرئة أن يراك أحد في الدنيا ثم يعيش ، قد تبث إليك من مسألتى
إياك ما سألتك من الرؤية ، وأنا أول المؤمنين بك من قومي أن لا يراك
أحد في الدنيا إلا هلك ، وأنا أول المؤمنين بقدرتك وجلالك وعظمتك
﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

الأعراف

فقال الله لموسى : يا موسى إني اصطفيتك على الناس ، واخترتك
لتبليغ رسالاتي إلى خلقي ، فأرسلتك بها إليهم ، وخصصتك بكلامي ،
فكلمتك وناجيتك دون غيرك (ولذا سمي موسى الكليم) فخذ ما أعطيتك
من أمري ونهيي ، وتمسك به في عملك ، وكن من الشاكرين لله على ما آتاك
﴿ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي
فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ الأعراف

نزول التوراة على موسى عليه السلام

وبعد الأربعين ليلة كتب الله تعالى لموسى في ألواح (أى في
التوراة) من كل شئ ، من التذكير والتنبية على عظمة الله وعز سلطانه
موعظة لقومه ، وتبييناً لكل شئ من أمر الله ونهييه ، من بيان الحلال

والحرام، والمحاسن والقبائح، وأمره أن (يأخذها بقوة) أى يعمل بما فيها بجده ، وأن يأمر قومه أن يأخذوا بأحسنها (أى بأن يعملوا بأحسن ما يجدون فيها مما ترك لهم الخيار فيه كعاقبة المعتدى أو العفو عنه ، والتجاوز عن بعض الحق أو المطالبة به كله الخ)

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾ الأعراف

وأمره أن ينهيهم عن تضييعها، وتضييع العمل بما فيها والشرك بالله ، فإن من أشرك بالله منهم ومن غيرهم فسيريه الله في الآخرة عند مصيره دار الفاسقين ، أى النار التى أعدها لأعدائه الذين خرجوا عن طاعته ، وفى ذلك قوله تعالى :

﴿ سَأَرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ الأعراف

وقد وعد الله بأنه سيصرف عن الأخذ بآياته من يتكبرون بغير حق ، ولا يؤمنون بأية آية يرونها ، ويؤثرون الجبل والضلال على سبيل الرشد والهدى ، وذلك لتكذيبهم بآيات الله وغفلتهم عما فيها من أصول الحكم والحياة الصحيحة

وهؤلاء هم المستكبرون فى الأرض بغير الحق ، وكل مكذب حجج الله ورسله وآياته ، وجاحد أنه مبعوث يوم القيامة بعد مماته ،

ومنكر لقاء الله في آخرته ، كل هؤلاء قد ذهبوا وبطلت أعمالهم ، ولا ينالون إلا جزاء ما كانوا يعملون ، وهو الخلود في النار ، نعوذ بالله منها إنه خير مستجار به ، وذلك قوله تعالى :

﴿ سَأُصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
أَحْقَ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ
لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ . وَالَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَمِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴾ الأعراف

اتخاذ بنى إسرائيل العجل الها يعبدونه

أخبر موسى عليه السلام قومه (بنى إسرائيل) قبل ذهابه لميقات
ربه أن غيبته عنهم لاتطول أكثر من ثلاثين يوما مع مسافة الطريق
إلى جبل (حوريب) وهو جبل الطور
فلما أمر الله موسى أن يستأنف صوم عشرة أيام ليتم ميقات ربه
أربعين ليلة كأمراً ذكره طالت غيبته عن قومه ، واستبطأ القوم موسى ،
فانتهز رجل من المنافقين منهم يقال له (السامري) غيبة موسى وأخذ من

بنى إسرائيل بعض حلبيهم التي كانت نساؤهم أخذتها من المصريات قبل رحيلهم وألقاها في النار ، وسبك منها عجلاً مجسداً متقن الصنع ، وجعله بحيث أنه كان له خوار ، أى صوت كصوت البقر ، وقال لهم : هذا إلهكم وإله موسى :

﴿ وَأَخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خَوَارٌ ﴾ الأعراف

فما أغفلهم ! ألم يروا أنه لا يكلمهم ، ولا يهديهم الى طريق الرشاد ؟ وكانوا باتخاذهم العجل معبوداً لهم ظالمين لأنفسهم لعبادتهم غير الله ، وفي ذلك قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ الأعراف

ولما قضى موسى أجل الصوم ، وكلم ربه ، وأعطاه الألواح ، سأل الله تعالى لما قدم عليه في الطور ، عما أعجبه عن قومه ، وقال له : أى شيء أعجلك عن قومك يا موسى فتقدمتهم وتركتهم وراءك ولم تكن معهم ؟ فقال : هم قادمون على أثرى ، وسيأحقون بى ، وقد عجلت فسبقتهم لكي ترضى عني يا ربى

﴿وَمَا أَتَجَلَّكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي
وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ طه

فقال الله لموسى: يا موسى، قد ابتلينا قومك من بعدك بعبادة العجل
وأضلهم السامري، فلما سمع موسى قول ربه رجع الى قومه بعد انقضاء
الأربعين ليلة غضبان أسفاً، متغيظاً على قومه، حزيناً لما أحدثوه من بعد
فراقه لهم من الكفر بالله وعبادتهم العجل، وقال لهم: يا قوم ألم يعدكم
ربكم وعداً حسناً بإعطائكم التوراة، فيها هدى ونور، أفعال عليكم
العهدى، وبجميل نعم الله عليكم وأياديه لديكم؟ أم أردتم أن يحل
عليكم غضب من ربكم تستحقونه لعبادتكم العجل وكفركم بالله؟
فأخلفتكم موعدى

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ
فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ
وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ
مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَوْعِدِي﴾ طه

فقالوا له: لم نخلف موعدك برغبتنا وأمرنا ولكننا، حملنا أثقالاً من
زينة القوم (ويعنون بذلك حلى آل فرعون التي جمعوها منهم)

فألقينا تلك الأثقال في الحفرة في النار ، فأخذها السامري ، وأخرج لنا مما قذفناه ومما ألقاه عجلاً مجسداً جميل الصنع له صوت كصوت البقر وقال لنا : هذا إلهكم وإله موسى ، وقد نسيه موسى فذهب يبحث عنه في الطور ، وفي ذلك يقول تعالى :

﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿ طه

توبيخ الله لهم على عبادة العجل

فوبخ الله عبدة العجل الذين قالوا هذا القول ، وسفه أحلامهم بما فعلوا ، وقال لهم :

أفلا يرى هؤلاء القوم الضالون أن هذا العجل الذي زعموا أنه إلههم وإله موسى لا يكلمهم ؟ وإن كلوه لم يرد عليهم جواباً ، ولم يقدر على دفع ضرر أو جلب نفع ، فكيف يكون إلهاً ؟ وقال لهم هارون من قبل رجوع موسى إليهم ، يا قوم : إنما اختبر الله إيمانكم ، ومحافظتكم على دينكم ، بهذا العجل الذي أحدث فيه الخوار ، ليعلم به من الصحيح الإيمان منكم من المريض القلب الشاك في دينه ؟ واعلموا أن ربكم الرحمن الذي

تعم جميع الخلق نعمه ، فاتبعوني على ما أمركم به من عبادة الله ، وترك
عبادة العجل ، وأطيعوا أمرى فيما أمركم به من طاعة الله وإخلاص
العبادة له ؛ لقوله تعالى :

﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا
نَفْعًا وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ
رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾ طه

فقالوا له : لن نظل على عبادة العجل مقيمين نعبده حتى يرجع

الينا موسى

﴿ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾ طه

فلما رجع موسى الى قومه ، رجع غضبان أسفا حزينا ، وقال لهم : بئس
ما فعلتم بعد فراقى إياكم ، وتعجلتم أمر ربكم فى نفوسكم وذهبت عنكم .
ثم من شدة الغضب ألقى موسى الألواح وكسرها ، وأخذ برأس أخيه
يجره اليه ؛ لأنه ظن به التقصير فى النصيح لهم ، فقال له هارون : ابن أم
إن القوم استضعفوني ، وكادوا يقتلونى ، فلا تفعل ما يشمتهم بي ، ولا تعدنى
فى عداد الظالمين

﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي
مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ

يَجْرُهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي
فَلَا تُشْمِتْ بَنِيَ الْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ الأعراف
ثم قال موسى لأخيه هارون : يا هارون ، أى شئ منعك إذ رأيتهم
ضلوا عن دينهم فكفروا بالله وعبدوا العجل ؟ ألا تفعل مثل ما فعلت
أنا فتغضب ، أفصيت أمرى ؟ وجذبه من لحيته ورأسه

فقال له هارون : يا ابن أُمَّ لا تفعل بى هذا ولا تأخذ بلحيتى ولا
برأسى ، إني خفت أن تقول فرقت بينهم ولم تحفظ قولى

﴿ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ
أَمْرِي قَالَ ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ
تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿١١﴾ طه

فالتفت موسى للسامرى وقال له : ماشأناك وما الذى فعلته ؟ قال :
رأيت ما لم يروه ، وهو فرس جبريل كان لا يطاء موات أرض إلا أحياه
الله بالخضرة ، فأخذت قليلاً من التراب الذى يطؤه ووضعته على
الذهب الذى أذنباه ، فلما صنعناه عجلاً سرت فيه الحياة وصوت ،
وقد زينت لى نفسى أنه يكون كذلك

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ

فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي
نَفْسِي ﴿ طه

فقال موسى للسامري : اذهب ، فان عقوبتك في أيام حياتك أن
كل من لمسته تأخذه الحصى ، وتأخذك معه ، فلا تقتر عن قول لامساس كلما
قرب منك أحد ، وأن لك موعداً لعذابك وعقوبتك على ما فعلت من
إضلالك قومي ، حتى عبدوا العجل من دون الله ، لن تخلفه أنت ولن
تغيب عنه يوم القيامة فيتولى الله معاقبتك ؛ وانظر الى إلهك الذي أقمت
وعكفت على عبادته لنحرقنه بالنار ، ثم لننسفه في البحر نسفاً

ثم نظر الى قومه وقال لهم : أيها القوم ، ما لكم معبود إلا الله الذي
لا إله إلا هو ، والذي أحاط بكل شيء علماً فاعلمه ، فلا يخفى عليه
شيء لا في الأرض ولا في السماء

﴿ قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ
مَوْعِدًا لَنْ تَخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ
ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ
كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ طه

لما تبين لموسى عذر أخيه وعلم أنه لم يفرط في الواجب الذي كان
عليه من أمر الله في ارتكاب ما فعله الجهالة من عبدة العجل قال : رب

اغفرلى ولأخى، واستر ذنوبنا بسترمنك، وارحمنا برحمتك الواسعة فانك
 أنت أرحم عباده من كل الرّاحمين
 ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ
 الرَّاحِمِينَ ﴾ الأعراف

ولما سكّ غضب موسى أخذ الألواح بعد ما ألقاها، وقد ذهب
 منها ما ذهب، وفي نسختها هدى وبيان للحق، ورحمة للذين يخافون
 الله ويخشون عقابه على معاصيه

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ وَفِي نُسخَتِهَا
 هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ الأعراف

ثم ان الله أمر موسى أن يأتيه في ناس من بنى إسرائيل
 يعتذرون اليه من عبادة العجل، ووعدهم موعداً، فاختر موسى سبعين
 رجلاً من قومه وقال لهم : انطلقوا معى الى الله فتوبوا مما صنعتم واسألوه
 التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم، وصوموا وتطهروا واطهروا ثيابكم،
 فخرج بهم الى (طور سيناء) لِمَقَاتِ رَبِّهِ وَكَانَ لَا يَأْتِيهِ إِلَّا بِأُذُنٍ مِنْهُ وَعَلِمَ
 فَقَالُوا لِمُوسَى : اطلب لنا نسمع كلام ربنا ؛ فقال : أفعل

فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه الغمام حتى تغطى الجبل كله ودنا موسى

فدخل فيه ، وقال للقوم : ادنوا ، فدنا القوم حتى اذا دخلوا في الغمام
وقعوا سجوداً ، فسمعه وهو يكلم موسى ، يأمره وينهاه فطمعوا في رؤيته
فلما فرغ موسى من أمره ، وانكشف عنه الغمام ، أقبل اليهم فقالوا له :
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرَةً ، فأخذتهم الرجفة وهى (الصاعقة)
فماتوا جميعاً

وقام موسى عليه السلام يناشد ربه ، ويدعوه ويرغب اليه ويقول له :
لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى ، أتهلكنا بما فعل السفهاء منا بعبادة
العجل ؟ ما هذه الفعلة التى فعلها قومى من عبادتهم العجل إلا فتنة منك
يأرب ابتليتهم بها ، ليتبين لك الذى يضل عن الحق ، والذى يهتدى
بترك عبادة غيرك ؛ وما هو إلا عذابك تصيب به من تشاء وتصرفه
عن تشاء ، فأنت ولينا وناصرنا ، فاغفر لنا ذنوبنا ، واستر علينا ، وارحمنا
برحمتك ، فأنت خير من يصفح ويعفو ويرحم

﴿ وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا مِمِّيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ
الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَابَّأَى أَهْلَكُنَا
بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي
مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾
الأعراف

ثم أخذ موسى يتضرع الى الله ويقول : يارب اخترت سبعين رجلاً
من أخيار بني إسرائيل وأعود اليهم وليسوا معي فلا يصدقونني ؛ ولم
يزل يتضرع حتى أحياهم الله ورد اليهم أرواحهم ، فعاسوا ينظر بعضهم
الى بعض كيف يحيون بعد موتهم ؛ وفي ذلك قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً
فَأَخَذْنَاكُمْ الصَّاعِقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ البقرة

فقال لهم موسى : خذوا كتاب الله . فقالوا : لا ، فقال : أى شئ
أصابكم ؟ قالوا : أصابنا إنا متنا ثم حينئذ . قال : خذوا كتاب الله
قالوا : لا . فبعث الله تعالى الملائكة فتقت الجبل فوقهم ، أى
زعزعته وهزته ؛ فقبل لهم : أتعرفون هذا ؟ قالوا : نعم هذا (جبل الطور)
قال : خذوا الكتاب : وإلا طرحنا الجبل عليكم

فلما هددهم الله برفع الجبل فوق رؤوسهم أخذ عليهم العهد بالعمل
بما فى الكتاب (التوراة) جهد استطاعتهم وتدبره ، والاعتبار بما فيه
لعلهم يتقون الله ويخافون ، ويقبلون عما كان من إصرارهم ؛ قال تعالى :
﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ
بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة

ثم بعد هذا كله لم يكن منهم إلا الادبار والاعراض عن الميثاق
الذى أخذه الله عليهم، ولولا فضل الله عليهم بتوفيقهم للتوبة لكانوا من
الهالكين الخاسرين بسبب تقضهم الميثاق وعدم اطاعتهم أمر الله تعالى
﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ
لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ البقرة

توبة بنى إسرائيل عن عبادة العجل

فلما علم بنو إسرائيل أنهم قد أخطأوا وضلوا فى عبادتهم العجل
ندموا على ذلك، وقالوا: لئن لم يرحمنا ربنا، ويغفر لنا شركنا، ويتب
علينا، لنكونن من الخاسرين

﴿ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا
رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ الأعراف

ثم قال موسى لقومه من بنى إسرائيل: يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم
باتخاذكم العجل رباً بعد فراقى، ثم أمرهم بالرجوع من ذنبهم، والانابة
الى الله من ردتهم، بالتوبة اليه، والتسليم لطاعته فيما أمرهم به، وأخبرهم
أن توبتهم من الذنب الذى ركبوه تكون بقتلهم أنفسهم، بأن يقتل كل
انسان من يقابله من قريب أو أخت أو نحو ذلك، فان ذلك خير لهم

عند الله ؛ فأخذوا يقتتلون حتى قتل منهم عدد عظيم ، وقيل قتل منهم سبعون ألفاً ، فكان من قتل منهم شهيداً ، ومن بقى قد قبلت توبته لأن الله تواب رحيم

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ البقرة

أمر الله بنى إسرائيل بدخول الأرض المقدسة

وعصيانهم موسى

أمر الله تعالى موسى أن يذهب ببني إسرائيل إلى الأرض المقدسة لامتلاكها (وهى فلسطين التى وعد الله ابراهيم واسحق ويعقوب أن تكون ملكاً لأولادهم) فقال لهم موسى :

يا قوم تذكروا فضل الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء يتولونكم بالهداية والارشاد ، وجعل منكم ملوكاً ، وآتاكم من فضله ما لم يؤت أحداً من العالمين ؛ يا قوم إن الله أراد أن تكون الأرض المقدسة مسكناً لكم فادخلوها ، ولا تهنوا أمام محتليها ، ولا ترجعوا فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين (الدنيا والاخرة)

ولكن بني إسرائيل قوم قد ألقوا النذل والمسكنة ، وتمكن الصغار والهوان من أنفسهم ، فلم تكن لهم قوة على الدخول الى تلك الأرض فلم يشاءوا أن يذهبوا اليها إطاعة لأمر ربهم وقالوا : يا موسى ، إن فيها قوماً جبارين ، لا طاقة لنا بجرهم ، ولا قوة لنا بهم ، ولن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فان خرجوا منها دخلنا ، وإلا فلا نطبق دخولها وهم فيها ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدَخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾ المائدة

وقال رجلان من الذين جاسوا خلال البلاد لبني إسرائيل (يوشع ابن نون وكالب بن يوفنا) وكنا رجلين صالحين من الذين يتقون الله ويخافونه ، أنعم الله عليهما بالهدى والثبات ، واتبعوا موسى وهارون : ادخلوا عليهم أيها القوم باب مدينتهم (اريحاء) فان الله معكم وناصركم عليهم ، وانكم إذا دخلتم الباب غلبتموهم ؛ وتوكلوا أيها القوم على الله

في دخولكم عليهم ، وثقوا بأن الله معكم إن أطعتموه فيما أمركم من جهاد
عدوكم إن كنتم مصدقين ومؤمنين بنيكم

﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ
الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ المائدة

فقالوا يا موسى : لن ندخلها أبداً ماداموا فيها ، فاذهب أنت وربك
فقاتلا هؤلاء الجبارين ، إنا ههنا قاعدون لانجىء معك إن ذهبت لقاتلهم
﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَ دَخَلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ
وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا ههنا قاعدون ﴾ المائدة

فعند ذلك غضب موسى وقال لربه داعياً : يارب إني لا أملك إلا
نفسى ، ولا أقدر أن أحمل أحداً على ما أحب وأريد من طاعتك واتباع
أمرك ونهيك إلا نفس أخى ، فافصل بيننا وبينهم بقضاء ، وحكم عادل
منك تقضيه فينا وفيهم ، إنهم قوم فاسقون ، وخارجون عن الإيمان بالله
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ
الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ المائدة

التيه الذي كتبه الله على بنى إسرائيل أربعين سنة

فأوحى الله الى موسى أن الأرض المقدسة محرمة عليهم أربعين سنة، يتيهون في الأرض ويسيرون متحيرين فلا تحزن على القوم الفاسقين

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ
فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ المائدة

فكان بقاء بنى إسرائيل في البرية من عهد خروجهم من مصر الى أن مات موسى عليه السلام وعبروا نهر الأردن وملكوا (اريحاء) وما معها من الأرض غرب الأردن أربعين سنة

ذكر القرية التي مسح الله أهلها بعدوانهم في السبت

وجعلهم قردة

قال موسى لبنى إسرائيل اسكنوا هذه القرية ، وهي قرية بيت المقدس (وقيل انها مدين وقيل انها طبرية) فكلوا من ثمارها وجبوا بها ونباتها في أى مكان شئتم ، وادعوا الله أن يحبط عنكم أوزاركم ، وادخلوا بابها ساجدين ، فيغفر لكم ذنوبكم ، ويتغمدكم برحمته ، ويعفو عنكم ، فلا يؤاخذكم بها ، ويزيد الله المحسنين ، وهم المطيعون له ، إحسانا

﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اُسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ
وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ
الْمُحْسِنِينَ ﴾ الأعراف

فغير الذين كفروا بالله منهم ما أمرهم الله به من القول ، فبعث الله
عليهم عذاباً من السماء وأهلكهم بظلمهم
﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْظُمُونَ ﴾ الأعراف

وكان أهل هذه القرية يعتدون في يوم السبت أمر الله ، ويتجاوزونه
إلى ما حرمه عليهم بالصيد فيه ، إذ كانت تأتيهم الأسماك يوم السبت
طافية على وجه الماء ، ولا تأتيهم في غيره من الأيام ؛ وقد ابتلاه الله
بهذه المحنة بسبب فسقهم

﴿ وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي
السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ
لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ الأعراف

فقال جماعة من اليهود لجماعة منهم كانت تعظ المعتدين في السبت
وتنهاهم عن معصية الله فيه : لِمَ تعظون قوماً سيهلكهم الله في الدنيا

بمعصيتهم إياه، وخلافهم أمره؟ واستحلّاهم ما حرم الله عليهم وسيعذبهم عذاباً شديداً في الآخرة؟

فقالوا لهم : إنما نعظم لنؤدى فرض الله علينا، وهو الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر، لعلهم يتقون ، وفي ذلك معذرة منا لربنا

﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ

مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾

الأعراف

فلما خالفت الطائفة التي اعتدت في السبت ما أمرها الله به من ترك

الاعتداء فيه أنجى الله الذين ينهون منهم عن سوء، وأخذ الذين ظلموا

واعتدوا في السبت واستحلوا ما حرم الله من صيد السمك وأكله، فأحل

بهم بأسه، وأهلكهم بعذاب شديد

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ

وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾

الأعراف

فلما تمردوا وتمادوا في طغيانهم جعلهم الله قردة لها أذنان تعوى بعد

ما كانوا رجالاً ونساء مطرودين من رحمة الله

﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهِوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾

الأعراف

وجعل الله هذه العقوبة عبرة للأمم المعاصرة لهم والتي تجيء من بعدهم
إلى أبد الأبدين

﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾

البقرة

معجزة موسى في مسألة البقرة مع بنى إسرائيل

كان في بنى إسرائيل رجل عتيّ، ولم يكن له ولد، وكان له ابن عم
وكان وارثه، فقتله طمعاً في ميراثه، ثم ألقاه على مجمع الطريق، وأتى
موسى فقال له: إن قريبى قُتل، وإنى في حيرة من أمرى، وإنى لا أجد
أحدًا يرشدنى على القاتل غيرك يابنى الله

فنادى موسى في الناس من كان عنده من هذا علم يبينه لنا؟
فلم يكن عندهم علمه، فأقبل القاتل على موسى فقال له: أنت نبى الله
فاسأل لنا ربك أن يبين لنا

فسأل موسى ربه، فأوحى الله إليه: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة
ليبين لكم المجرم من البرىء. فمجبوا لقوله، وقالوا له: انك تهزأ بنا.
فقال: (أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) قالوا: (أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ
يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِىَ)؟ قال لهم: إن الله يقول: إنها بقرة لاصغيرة ولا هرمة

بل هي نصف بين البكر والهرمة

﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لِّأَفَارِصٍ وَلَا يَكْرَهُ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴾

فقالوا: ﴿ اُدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا ﴾ قال: انه يقول: ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْثُهَا ﴾ أى صاف لونها ﴿ تَسْرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ أى تعجب الناظرين لحسنها

قالوا: ﴿ اُدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾

قال: ﴿ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ ﴾ (أى لم يذلها العمل) ثُبِيرُ الْأَرْضِ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ (أى لا تعمل فى الحرث) مُسَلَّمَةٌ لِأَسِيَّةَ فِيهَا ﴾ أى سليمة من العيوب لا يابض فيها

قالوا: ﴿ الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ﴾ ثم طلبوا البقرة فذبحوها

وبعد ذلك جاء موسى بلسانها وضرب به القتيل ، فرجعت له الحياة وأخبر عن قاتله بقدرة الله تعالى ، كذلك يحيى الله الموتى ويرىكم آياته لعلمكم تتقون

ومع ظهور هذه المعجزة الغريبة لبنى إسرائيل بقيت قلوبهم على قساوتها كأنها الحجارة أو أشد قسوة منها ، ولم تحدث هذه العجيبة فى قلوبهم لينا

إيذاء بنى إسرائيل لموسى

أما مسألة إيذاء بنى إسرائيل لموسى عليه السلام فقد تعدد القول فيها ، ذكر اليبضاوى فيها ما يأتى :

ان موسى طلب الزكاة من قارون (وكان رجلا من بنى إسرائيل آتاه الله بسطة فى الرزق ، وأدر عليه الثراء ، حتى أن مفاتيح خزائنه كانت تنوء بالعصبة أولى القوة ، وكان مرموقا من قومه بعين الغبطة) فشجّت نفسه بالمال ، وأراد أن يكيد لموسى ليرجمه ، فاتفق مع امرأة أن تقول عن موسى أنه زنى بها ، ولما أصبح قال لموسى : أليس من الشريعة أن الزانى يرحم ؟ قال : نعم . قال : فانك قد زנית بفلاتة ويجب أن تسلم نفسك لنرجمك

فلما جاءت المرأة أخبرت أن قارون لقنها أن تدعى هذه الدعوى على موسى وهو برى منها ، وبذلك برأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيباً أما قارون الذى افترى على موسى فكانت عاقبته أن خسف الله به وبداره الأرض ؛ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ
اللَّهُ نِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ الأحزاب

قصة موسى مع العبد الصالح (الخضر)

قال ابن عباس : حدثني أبي ابن كعب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

ان موسى قام خطيباً في بني إسرائيل ، فسئل أى الناس أعلم ؟ قال : أنا ، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم اليه ، فأوحى الله اليه ، أن لى عبداً يجمع البحرين هو أعلم منك

قال موسى : يارب فكيف لى به ؟ قال : تأخذ معك حوتاً فتجعله فى مكمل (مقطف) خفيماً فقدت الحوت فقد وجدته ، فأخذ حوتاً فى مكمل وانطلق به ، وانطلق معه فتاه (يوشع بن نون) حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما ، واضطرب الحوت فى المكمل فخرج منه فسقط فى البحر (فَأَتَخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا) وأمسك الله عن الحوت جرية الماء ، فصار عليه مثل الطاق ، فلما استيقظ موسى نسي صاحبه أن يخبره بالحوت ، فانطلقا بقية يومهما وليتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه : (آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا) قال : ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذى أمره الله به ، فقال له فتاه : (أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخَرَةِ فَأَنى نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا

الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿١٠٠﴾

قال : فكان النسيان للحوت سرّاً ، ولموسى ولفته عجباً . فقال موسى : ﴿ ذَلِكْ مَا كُنَّا نَبْغِي فَأَرْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ قال : رجعا يقصان آثارها حتى انتهيا الى الصخرة فاذا رجل نائم (يدعى الخضر) مسجى بثوبه ، فسلم عليه موسى فقال الخضر : وأنى يكون بأرضنا السلام ؟ ومن أنت ؟ قال : أنا موسى قال : موسى صاحب بنى اسرائيل ؟ قال : نعم أتيتك لتعلمنى مما علمت رشداً قال : ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت ؛ وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه أنا

فقال موسى : ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ فقال له الخضر : ﴿ فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾

فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلما من فيها أن يحملوها فعفرها الخضر فحملوها بغير نول (أجرة) فلما ركبا في السفينة لم يشعرا إلا والخضر قد خلع لوحاً من السفينة ، فقال له موسى : قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها ﴿ لَتَغْرِقَ أَهْلُهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ أى أمراً عظيماً

قال له الخضر : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ قال :

(لَا تُؤْخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ) قال : وكانت الأولى من موسى نسياناً
قال : وجاء عصفور فوق على طرف السفينة فنقر في البحر قرة
فقال له الخضر : ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مقدار ما نقرأ أو
نقص هذا العصفور من البحر

قال : ثم خرجا من السفينة ، فيمينا هما يمشان على الساحل إذ بصر
الخضر بسلام يلعب مع الغلمان ، فأخذ برأسه فقتله ؛ فقال له موسى :
﴿ أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا .
قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾

قال : وهذه أشد من الأولى . قال ﴿ إِنَّ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا
فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴾ قال : ﴿ فَاَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا
أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا
يُرِيدُ أَنْ يَمْلِكُ فَاقَامَهُ ﴾

قال : مسحه بيده فقال له موسى : قوم أتيناهم فلم يضيفونا ، ولم
ينزلونا ﴿ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِمْ حِجْرًا ﴾
قال : ﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ إِنِّي أَبْلُوكَ بِمَا لَمْ
تَسْتَطِيعَ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لوددت انه كان صبر حتى
يقص علينا قصصهم .

وهذه القصة المذكورة بالتفصيل في سورة الكهف والله أعلم

موت موسى وهارون وثناء الله عليهما

قيل : ان موسى عليه السلام أمره الله أن يصعد إلى جبل « نبو »
وينظر أرض الموعد دون أن يدخلها ، ففعل ، ومات على الأكمة التي
هي من رمل أحمر ودفن هناك وخفيت معالم قبره

وأهل (فلسطين) يدعون أن قبره في موضع من بلادهم ويطعمون له
مولداً يُقصد من كل ناحية في كل سنة في موعد معين ، وكان عمر
موسى ١٢٠ مائة وعشرين سنة

أما هارون فقد مات قبل موسى ودفن في جبل (هور) من جبال
(سينا) التي في البرية ، والذي دفنه هو موسى ، ثم عاد إلى بني إسرائيل
وأخبرهم بموته ، فاتهموه بقتله ، وهذا غير صحيح

وقد أثنى الله على موسى وهارون ثناء طيباً لما كابداه من عنت
قومهما وشدة ثباتهم مع ما كانا عليه من الإيمان الصحيح والاخلاص
قال تعالى :

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا

نَبِيًّا وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُ
مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿١٣١﴾ مريم

العبرة من قصة موسى وهارون عليهما السلام

يستفاد من هذه القصة عظات بالغات وهي :

- ١ - الصبر على البلاء وتحمل البأساء والضراء
- ٢ - التوكل والاعتماد على الله في كل الأمور
- ٣ - التمسك بالحق وعدم المبالاة بمن يخالفه ولو كان عظيماً أو ملكاً أو أميراً
- ٤ - ان للحق أنصاراً كما أن للباطل أنصاراً ولكن الحق يقهر الباطل
- ٥ - لذة الايمان بالله ، والاخلاص في عبادته وعدم المبالاة بالعذاب في سبيل الدعوة الى الله
- ٦ - الحلم عند الغضب، ومقابلة الاساءة بالاحسان
- ٧ - عدم الغرور والادعاء بالعلم والاعتراف بالفضل لذويه

٢٤ - قصة سيدنا عيسى بن مريم

عليه السلام (عبد الله ورسوله)

سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام هو عبد الله ورسوله، وكلمته التي ألقاها إلى مريم، وروح منه، وهو آخر أنبياء الله ورسله من بني إسرائيل كما أن آخر الأنبياء والرسل من بني الإنسان جميعاً (محمد رسول الله) صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

وقد ذكر اسم عيسى في القرآن بلفظ المسيح تارة، وهو لقب له، ولفظ عيسى وهو اسمه العلمي وبالعبيرية (يشوع) أي المخلص إشارة إلى أنه سبب لتخليص كثير منهم من آثامهم وضلالهم. وبكنيته (ابن مريم) تارة أخرى

ومن جليل حكم الله تعالى أن خلق سيدنا آدم أبا البشر عليه السلام من تراب من غير أب وأم، وخلق حواء من غير أم، وخلق عيسى عليه السلام من غير أب، وخلق بقية النوع الإنساني من أب وأم

١ - تبشير مريم بعيسى

لما أراد الله تعالى أن يخلق نبيه عيسى عليه السلام أرسل إلى مريم بنت عمران، حينما اعتزلت أهلها في مكان شرقي واتخذت من دونهم

سترًا لتغتسل من حيضها وتطهر، أرسل إليها الملك جبريل فتمثل لها
بشرًا سوى الخلق، أى فى صورة رجل من بنى آدم معتدل الخلق
فلما رأت جبريل عليه السلام أخذها الرعب وظنت أنه يريد بها سوءًا
فاستعادت بالله منه، وقالت له : إن كنت تقيا فلا تعرض لى بسوء
﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا
شَرْقِيًّا فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ
لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾

مريم

فقال لها جبريل عليه السلام : إنما أنا رسول ربك يامريم ، أرسلنى
إليك لأهب لك غلاما زكيا طاهرا من الذنوب

﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ مريم
فأجابته : كيف يكون لى ولد، وأنا لم أتزوج ، ولم يمسنى بشر ،
ولست من أهل البغى؟

﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾

مريم

فقال لها جبريل : هكذا الأمر كما تصفين من أنك غير متزوجة
ولم تكونى بغيا؛ ولكن ربك قال: هو هين (أى خلق الغلام الذى قلت

إني رسول الله لأهبه لك هو هين)، لا يتعذر عليه خلقه وقد أراد ذلك ليكون دليلاً للناس على عظم قدرته، ورحمته لمن آمن به وصدق به؛ وقد حكم حكماً مقضياً بإيجاده لا محالة

﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾ مريم

ففنخ جبريل عليه السلام في جيب درعها فوصلت النفخة إلى جوفها فإذا هي حامل وهي بنت عشر سنين بعيسى عليه السلام

ولما حملت اعتزلت في مكان بعيد، وتنحت عن الناس، فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة، وولدت المسيح عيسى في (بيت لحم) ثم قالت من طريق الخجل والاستحياء: يا ليتني مت قبل الكرب الذي أنا فيه، والحزن بولادتي هذا المولود من غير بل، وكنت في عالم النسيان لا يذكركني أحد ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴾

مريم

٢ — ولادة عيسى عليه السلام

فلما وضعته ناداها مناد من تحتها (بعضهم يقول جبريل عليه السلام

وبعضهم - وهم أغلب المفسرين - يقول عيسى عليه السلام ناداها من تحتها
بعد ما ولدته (قائلًا : يا مريم قد جعل ربك تحنك سيداً سرياً وجيئاً
رفيع القدر ، وهزى إليك بجذع النخلة تتساقط عليك رطباً جنيئاً ، فكلّي
من هذا الرطب ، واشربي من ماء النهر الذي بجوارك ، وقرّي عينا ، وطبّي
نفساً ، وافرحي بولادتك إياي ، ولا تحزني ، فإن رأيت من بنى آدم أحداً
يكلمك أو يسألك عن شيء من أمرك وأمر ولدك وسبب ولادته
فقولي له : إني نذرت وأوجبت على نفسي لله صمتاً ألا أكلّم أحداً من
الخلق ، فلن أكلّم اليوم إنساناً

﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا
وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِي
وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ
لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ مريم

فلما قال ذلك عيسى لأمه مريم اطمانت نفسها ، وسامت لأمر الله
وحملته حتى أتت به قومها بنى إسرائيل وهم مجتمعون ومعهم زكريا ، فلما
رأوها وراوه معها قالوا لها : يا مريم لقد جئت أمراً منكراً ، ثم قالوا لها على
سبيل الاستهزاء والتهكم :

يا أخت هارون (وقيل ان هارون هذا كان رجلاً صالحاً من أتقاء

بنى إسرائيل) ما كان أبوك رجل سوء يأتى بالفواحش، وما كانت أمك
بزانية، فمن أين أتيت بهذه الفضيحة ؟

﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا
يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾

مريم

فقلت لهم: كلوه ، وأشارت إليه ، فقالوا : كيف نكلم من وجد في
المهد صبياً ؟ واستغربوا من ذلك

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾

مريم

فلم يملهم عيسى عليه السلام، بل أجابهم الجواب الشافي الدال على
براءة أمه، والمعلن أنه سيكون من أهل العلم والدين الذين آتاهم الله
الكتاب (الانجيل) وأنه سيجعله نبيا، وأن يبارك فيه أينما توجه، وأن
الله أوصاه بالصلاة والزكاة مدة حياته، وأن سيكون براً بوالدته، وسيكون
عبدا متواضعا لا جبارا شقيا، ولا مختالا فخورا، وإن الله قد حفظه وأمه
يوم ولادته، وأنه سيموت في أمن وسلام، وسيبعث يوم القيامة حيا
ثم لم يتكلم بعد ذلك، حتى كان بمنزلة غيره من الغلمان
وفي ذلك قوله تعالى على لسان عيسى :

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ مريم

فلما سمع ذلك أحبار بني إسرائيل من عيسى عليه السلام علموا أنه لا أب له ، وأن الله عز وجل خلقه كما خلق آدم ؛ فتحققت بذلك براءة مريم ، وقال زكريا : الحمد لله الذي برأنا من كلام الفساق وقال الله تعالى : هذا الغلام الذي أخبرتكم به ، وبينت لكم صفاته هو (عيسى بن مريم) وهذا الخبر الذي قصصته عليكم هو قول الحق لا شك ولا مرية فيه

﴿ ذَلِكَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ مريم
ولما تم لعيسى عليه السلام ثمانية أيام من مولده خُتنَ وسموه (اليسوع) وسنة الختان عند اليهود أن الطفل يختن بعد ثمانية أيام من ولادته ، كما أمر الله إبراهيم بذلك ، ولم يرد ذكر ختانه في القرآن الشريف بل ورد في بعض الأناجيل

مثل عيسى كمثل آدم

وقد قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حينما كان أهل نجران

النصارى يجادلونه في كون عيسى عليه السلام خلق من غير أب : قل لهم : ان شأن عيسى (وهو في بابه غريب إذ خلقه بلا أب) كشأن آدم ، فقد خلقه من التراب ، ثم قال له : كن بشراً سوياً فكان ، فأدم قد خلقه الله من تراب بلا أب ولا أم ، خاله أغرب من عيسى ، وأدعى لاثبات قدرة الله الخالق لكل شيء

وهذا هو الحق من عند الله فلا تكن يا محمد في شك ولا مرية فيه ، وفي ذلك قوله تعالى :

﴿ إِنَّ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾
آل عمران

٣ - ذهاب مريم والمسيح عيسى إلى مصر

مع ابن عمها يوسف النجار

ثم أخذت مريم ابنتها عيسى عليه السلام وسارت به إلى مصر مع ابن عمها يوسف النجار وأقاموا هناك اثنتي عشرة سنة

وقيل : أن مصر هي الرتبة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم لقوله تعالى في حق عيسى وأمه : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً

وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿١٣٩﴾ المؤمنون

ويزعم المسيحيون في مصر أنهما استقرا ببلدة (عين شمس) بضواحي القاهرة ، ويقولون: أنهما استظلا هناك بشجرة قد بقي أصلها محتفظا به الى أمد غير بعيد ، وكانوا يسمونها شجرة العذراء (أى شجرة مريم) ويعنى الناس بالذهاب الى زيارتها بضاحية المطرية ولما مات ملك الشام (هيرودس) الذى كان يريد قتل عيسى ، رجعت مريم وعيسى ويوسف ومن آمن معهم الى أرض الخليل ، وهو موضع بالشام ، وسكنوا فى قرية يقال لها (الناصره) وبها سميت النصرارى ، وأقاموا بها زمناً طويلاً ، ونشأ فيها عيسى عليه السلام نشأة صالحة محمودة ، وعاش فى النعمة والحكمة أمام الله والناس ، وكان غيوراً على الدين منذ صغره ، حريصاً على تفهم حكمه وأسراره ، وكان يجالس العلماء ويناقشهم ويسألهم ويحييهم ، فالبيئة التى تربى فيها مدة صباه وشبابه بيئة علم وحكمة ودين

٤ — نبوة المسيح عيسى عليه السلام ورسالته

لما بلغ عيسى عليه السلام ثلاثين سنة من العمر جاءه الوحي داخل مسجد بيت المقدس ، وكان قد تعلم الكتاب فبعثه الله رسولا ، وعلمه التوراة والانجيل ، وفى ذلك قوله تعالى :

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَرَسُولًا
إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ آل عمران

ويقول الله تعالى: قد اتبعنا عيسى بن مريم آثار النبيين الذين أسلموا
من قبلك يا محمد، فبعثناه نبياً، مصدقاً لكتابنا الذي أنزلناه إلى موسى
من قبله، وأنه حق، وأن العمل بما لم ينسخه الإنجيل منه فرض واجب،
وأنزلنا إليه كتابنا الذي اسمه (الإنجيل) فيه هدى، وهو بيان ما جهله
الناس من حكم الله في زمانه، ونور وضياء من عى الجهالة (ومصدقاً
لما بين يديه) أى أنزلناه إليه بتصديق ما كان قبله من كتب الله التى
كان أنزلها على كل أمة، أنزل إلى نبيها كتاب للعمل بما أنزل إلى نبيهم
في ذلك الكتاب من تحليل ما حلل الله، وتحريم ما حرم (وهدى
وموعظة) أى أنزل الإنجيل على عيسى مصدقاً للكتب التى قبله،
وبيانا لحكم الله الذى ارتضاه لعباده المتقين، فى زمان عيسى وزجراً
لهم عما يكرهه الله إلى ما يحبه من الأعمال

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ المائدة

وأمر الله النصارى بأن يحكموا بما أنزل الله فى الإنجيل من أحكامه

فاذا لم يحكموا بما أنزل الله فيه وخالفوه فأولئك هم الخارجون عن الدين
أى عن أمر الله

﴿وَلِيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ المائدة

٥ — معجزات عيسى عليه السلام

فلما جاء إلى بنى إسرائيل سألوه أن يأتى لهم بعلامة تدل على رسالته
ونبوته فقال لهم : إن حجتى على ذلك إني قد جئتكم بآية من ربكم
تتحقق قولى ، وتصدق خبرى ، إني رسول من ربكم اليكم ، وفى ذلك
قوله تعالى على لسانه :

﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ آل عمران

فقالوا له : ماهذه الآية التى جئتنا بها ؟ قال لهم : إن علامة صدق أن
أصنع لكم من الطين ما يشبه الطير ، فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله
(وقيل هو الخفاش)

﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ
طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ آل عمران

وأشفى الأكمه (المولود الأعمى الذى لا يبصر) وأشفى المصاب بداء البرص

وأخي الموتي بإذن الله

وقيل : أنه أحيا (عازر) وكان صديقا له فمضى فأرسلت أخته إلى عيسى أن عازر يموت فصار إليه وبينهما ثلاثة أيام فوصل إليه وقد مات منذ ثلاثة أيام فأتى قبره فدعا له فأحياه الله وبقي حتى ولد له ، وأحيا امرأة وعاشت وولد لها

وقيل : ان بنى إسرائيل قالوا له : أخى لنا عزيرا وإلا أحرقناك ، فدعا الله فأحياه ، فقالوا : ما تشهد لهذا الرجل ؟ قال : أشهد أنه عبد الله ورسوله .

وأخبركم بما تأكلونه مع أهلكم وما تدخرونه في بيوتكم ﴿ وَأَبْرِئِ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾

آل عمران

إن في كل هذه المعجزات لدليلاً كافياً على أنى محق في قولى لكم إنى رسول من ربكم إليكم ، وتعلمون به أنى فيما أدعوكم إليه من أمر الله ونبيه صادق إن كنتم مصدقين حجج الله وآياته ، مقرين بتوحيده ونبيه موسى ، والتوراة التى جاءكم بها ، وأنى أحل لكم بعض ما حرم عليكم أى أخبركم أنه كان حراماً عليكم فتركتموه ، ثم أحله لكم تخفيفاً عنكم فتصيرون يسره وتخرجون من تبعته

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمُصَدَّقًا لِّمَا بَيْنَ

يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴿١٤٣﴾

آل عمران

ثم قال: لقد جئتمكم بآية من ربكم، تعلمون بها يقينا صدق فيما أقول فاتقوا الله يا معشر بني إسرائيل فيما أمركم به، وأنهاكم عنه في كتابه الذي أنزل على موسى، فأوفوا بعهده الذي عاهدتموه فيه، وأطيعوني فيما دعوتكم إليه من تصديق فيما أرسلني به إليكم ربي وربكم، فأعبدوه فإنه بذلك أرسلني إليكم، وبإحلال بعض ما كان محرما عليكم في كتابكم وهو الطريق القويم والهدى المبين، الذي لا اعوجاج فيه

﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا إِنْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ آل عمران

٦ - إقامة الحجة على من كفر

وادعى أن المسيح هو الله، وابن الله، وثالث ثلاثة

لقد كفرت النصارى الذين قالوا: عيسى ابن الله، وأعظموا الفرية عليه، فما ينبغي لله أن يتخذ ولداً، ولا يمكن أن يكون له ذلك؛ بل كل شيء دونه، فهو ليس في حاجة للاعانة، وإنما إذا أراد أمراً أن يقول له: كن فيكون، وفي ذلك قوله تعالى:

﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ مريم

وقد أخبرهم عيسى عليه السلام عن نفسه وقال لهم : إني وإياكم عبيد الله ، فاعبدوه ، ولا تعبدوا رباً سواه ، وإني أوصيكم باتباع الطريق المستقيم ، الذي أمرني به ربي ، فإن من سلكه نجا ، ومن اتبعه اهتدى ؛ لأنه دين الله الحق ، الذي أمر به أنبياءه ، وفي ذلك قوله تعالى على لسان عيسى :

﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾

مريم

ولقد كفر النصارى الذين زعموا وادعوا أن المسيح بن مريم هو الله ، فقال المسيح عليه السلام لبني إسرائيل : يا قوم اعبدوا الله ربي وربكم ، وسيدى وسيدكم ، الذي خلقني وإياكم ، وإن من يشرك بالله غيره ، فقد حرّم الله عليه الجنة أن يسكنها في الآخرة ، وحكم أن مصيره ومأواه نار جهنم ، وأن من ظلم نفسه ، وفعل غير ما أباح الله له وعبد غيره ، فليس له من أنصار ينصرونه يوم القيامة

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ

بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٤٥﴾

المائدة

وزعم فريق آخر من النصارى أن الله ثالث ثلاثة، أى واحد يعم ثلاثة أقانيم: أباً والداً غير مولود، وابناً مولوداً غير والد، وزوجاً متبعة بينهما، فرد عليهم الله مكذباً لهم فيما قالوا من ذلك :

ما من اله إلا إله واحد، أى مالكم معبود أيها الناس إلا معبود واحد، وهو الذى ليس بوالد لشيء، ولا مولود من أحد؛ بل هو خالق كل والد ومولود، فإن لم ينتهوا عن هذا القول، والادعاء من أن الله ثالث ثلاثة، ليصيبن الذين كفروا منهم بالله عذاب عظيم، وفى ذلك قوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ المائدة

ثم رجع فحذرهم من هذا الكفر، ودعاهم إلى التوبة من عقيدتهم هذه، وطلب المغفرة، ليصفح بذلك عنهم، ويعفو عما سلف من إجرامهم فقال تعالى :

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ المائدة

(م - ١٠ - نى)

ثم أخبرهم وبين لهم ، أن المسيح بن مريم ولدته أمه ولادة الأمهات
 أبناءهن ، وذلك من صفات البشر لا من صفة خالق البشر ، وإنما هو
 رسول الله كسائر رسله ، الذين كانوا قبله فمضوا وخلوا ، وأجرى على يديه
 ما شاء أن يجريه من الآيات والعبر ، حجة له على صدقه ، وعلى أنه رسول
 الله أرسله لهداية بني إسرائيل ، وأن أمه صديقة كسائر النساء الصديقات
 وأنهما كانا يأكلان كجميع الناس ، أى أنهما كانا فى حاجة إلى ما يغذيهما
 وتقوم به أبدانهما من المطاعم والمشارب كسائر البشر من بنى آدم
 وأن من كانت هذه صفته لا يكون إلها ؛ ولو كانا الهين لما لازمتهما
 الحاجات الجسدية لقوله تعالى :

﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
 وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ ﴾ المائدة

ثم يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : انظر يا محمد كيف
 نبين لهؤلاء الكفرة النصارى الآيات الدالة والحجج القاطعة على بطلان
 ما يقولون فى أنبياء الله ؟ وفى افتراءهم على الله ، وادعائهم بأن له ولدا
 وشهادتهم لبعض خلقه بأن لهم رباً وإلها ، ثم لا يرتدعون عن كذبهم
 وباطل قولهم ، ثم انظر يا محمد كيف يكذبون ، وعن طريق الهدى
 يضلون ؟

﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾

المائدة

ثم أشار إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهؤلاء الكفرة من النصارى الزاعمين أن المسيح ربهم، والقائلين إن الله ثالث ثلاثة أيصح أن تعبدوا من دون الله ما لا يستطيع أن يضركم ولا أن ينفعكم؟ والله يسمع ما تقولون، ويعلم ما تبدون وما تكتمون، وهو الذي خلقكم ورزقكم، وهو بحكمكم ويميتكم

﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا

وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ المائدة

وقد لام الله أهل الكتاب وحذرهم وقال لهم : يا أهل الكتاب (أى يا أهل الانجيل من النصارى) لا تغلوا في دينكم، فلا تتجاوزوا الحق في دينكم ففطرطوا فيه ، ولا تقولوا في عيسى غير الحق، فإن قولكم في عيسى أنه ابن الله افتراء منكم على الله؛ لأن الله لم يتخذ ولداً فكيف يكون عيسى وغيره من خلقه أبناء له ؟ ولا تقولوا على الله الا الحق، وفي ذلك قوله تعالى:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ

إِلَّا الْحَقَّ ﴾ النساء

ثم أكد بأن المسيح عيسى بن مريم هو رسول الله وكلته ألقاها
إلى مريم وروح منه فقال لهم : أيها الغالون في دينكم من أهل الكتاب
الزاعمون بأن عيسى بن الله اعلموا أن عيسى بن مريم لا نسب له غير
ذلك، وهو رسول الله أرسله بالحق إلى من أرسله إليه من خلقه

(وسماه المسيح لمسحه وتطهيره من الذنوب والأدناس التي تكون في
الآدميين كما يمسح الشيء من الدنس الذي يكون فيه فيطهر منه)

وهو كلته التي ألقاها وبشر بها مريم وأعلمها بها، وروح منه أي ونفخة
منه، لأن جبريل عليه السلام نفخ في درعها بأمر الله إياه فلذلك نسب
إليه أنه روح من الله وذلك قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِيَتْ إِلَى
مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ النساء

ثم أمر الله بالإيمان به، وبألا يقولوا أنه ثلاثة أقانيم كما يزعمون (الأب
والابن، وروح القدس) فقال لهم : فآمنوا بالله ورسله ، وصدقوا بأهل
الكتاب بوحدانية الله وربوبيته، وأنه لا ولد له، وصدقوا رسله فيما جاءهم
به من عند الله، وفيما أخبروكم به إن الله واحد لا شريك له، وليس له
صاحبة، ولا ولد له، فإنه (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد)
ولا تقولوا الأرباب ثلاثة :

ثم توعدهم وقال لهم : أيها القائلون أن الله ثالث ثلاثة انتهوا وارجعوا

عما تقولون من الزور والشرك بالله ، فإن الانتهاء عن ذلك خير لكم من الادعاء به ، الذى تنالون عليه من الله العقاب العاجل لكم ، وذلك قوله تعالى :

﴿ فَاٰمِنُوْا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُوْلُوْا ثَلَاثَةٌ اَنْتَهُمْ خَيْرًا لَّكُمْ ﴾

النساء

ثم قال لهم : اعلّموا بأن الله إله واحد ، ومن كان له ولد فليس ياله . ولكن الله الذى له الألوهية والعبادة إله واحد ، معبود لا ولد له ، ولا والد ، ولا صاحبة ، ولا شريك

ثم نزه جل ثناؤه نفسه ، وعظمها ورفعها عما قال فيه أعداؤه الكفرة فقال :
﴿ إِنَّمَا اللّٰهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُوْنَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ وَكَفَى بِاللّٰهِ وَكِيلًا ﴾ النساء

أى جل وعز وتعظم وتنزه أن يكون له ولد أو صاحبة ؛ لأن جميع ما فى السموات وما فى الأرض عبيده وملكه ، وأنه رازقهم ، وأنهم فى حاجة إليه وقال البوصيرى رحمه الله ردّا على مدعى الثلاث :

خَبَرُونَا أَهْلَ الْكِتَابِيْنَ مِنْ أَيِّ نَ اتَاكُمْ تَمْلِيْثُكُمْ وَالْبَدَاةُ ؟
مَا أَتَى بِالْعَقِيْدَتَيْنِ كِتَابٌ وَاعْتَقَادٌ لَا نَصَّ فِيْهِ ادِّعَاءُ
وَالدِّعَاوَى إِنْ لَمْ تُقِيْمُوا عَلَيْهَا بَيِّنَاتٍ أَبْنَاوْهَا أَدْعِيَاءُ
لَيْتَ شِعْرَى ذَكَرُ الثَّلَاثَةِ وَالْوَا حِدَ قَصَّ فِي عَدَمِ أَمِّ نَمَاءٍ ؟

كَيْفَ وَحَدَّثَمَ إِلَٰهًا نَفَى التَّوْحِيدَ عَنْهُ الْآبَاءُ وَالْأَبْنَاءُ؟
إِلَٰهٌ مُرَكَّبٌ مَا مَعْنَاهُ؟ بِإِلَٰهِ لِدَاتِهِ أَجْزَاءُ
المعنى — اعلّمونا أيها النصارى واليهود، ما منشأ قولكم إن الله ثالث
ثلاثة؟ الأب، والابن، وروح القدس؟ وما منشأ إدعائكم أن نسخ
التوراة بالانجيل يستلزم البداء، أى ظهور المصلحة فى الشئ لله بعد
خفائها عليه تعالى .

وفى تفسير الجلالين (إن الله ثالث ثلاثة) أى أحد آلهة ثلاثة
والاثنتان عيسى وأمه مريم

وفى شرح الهمزية للسنباطى : إنهم يريدون بالأب الوجود ،
وبالابن العلم ، وروح القدس الحياة

وفى تفسير الخازن : الأقانيم (أى الأصول) ثلاثة : أقنوم الأب
وهو ذات الله ؛ وأقنوم الابن وهو عيسى ، وأقنوم روح القدس ،
وهو الحياة الحالية فيه

ثم شرع يرد على دعوائهم فقال : ليتنى أعلم سر هذا التناقض العجيب ،
فأنتم تارة تثبتون تعدد الإله بقولكم : إن الله ثالث ثلاثة ، فتحققون
الزيادة ، وتارة تثبتون عدم تعدده بقولكم : الله واحد ، فتحققون النقص
وقد تعجب منهم بقوله : كيف وَحَدَّثَمَ إِلَٰهًا نَفَى التَّوْحِيدَ عَنْهُ ، الْآبَاءُ
وَالْأَبْنَاءُ ، الَّذِينَ أَتْبَعُوهُمَا فِى دَعْوَاهُمْ التَّثْلِيثَ ؟

فإن قالوا : هو واحد مركب من ثلاثة أجزاء كل منها إله

قلنا : ما سمعنا بإله لذاته أجزاء ، كل منها إله ؛ لأنه لو وجد لكان الإله متعددًا ، لقوله تعالى :

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَٰهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ الأنبياء

وقد أعلن الله كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ، وكفرهم في تعظيبتهم الحق ، وتركهم نفى الولد عن الله عز وجل ، وادعائهم أن المسيح هو الله فرية وكذبا عليه ، وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للنصارى الذين افتروا علىّ ، وضلوا عن سواء السبيل بقولهم إن الله هو المسيح ابن مريم ، قل لهم : مَنْ يملك ويطلق أن يدفع أمر الله إن أراد أن يهلك المسيح وأمه ومن فى الأرض جميعًا ؟ وهو المتصرف فى عباده ، وله ما فى السموات والأرض وما بينهما ، يهلك من يشاء ، ويبقى من يشاء ، لا يمنعه مانع ، ولا يدفعه دافع ، وأنه هو المعبود القادر على كل شئ ، والمالك لكل شئ .

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ المائدة

الحواريون أعوان وأنصار عيسى

فلما وجد عيسى من بنى إسرائيل الذين أرسله الله إليهم جحوداً لنبوته، وتكذيباً لقوله، وصدأ عما دعاهم إليه من أمر الله، قال : مَنْ أَنْصَارِي وَأَعْوَانِي عَلَى الْمَكْذِبِينَ بِحُجَّةِ اللَّهِ وَالْمَوْلِينَ عَنْ دِينِهِ ؟
قال الحواريون (وهم الذين آمنوا بعيسى وكان عددهم اثني عشر) :
نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ، آمَنَّا بِاللَّهِ ، وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ، وَمُصَدِّقُونَ بَنِيوتِكَ
﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ
الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

آل عمران

وزيادة في التأكيد قالوا : ربنا آمنا وصدقنا بما أنزلت على نبيك عيسى من كتابك، وصرنا أتباع عيسى على دينك الذي بعثته به، وأعوانه على الحق الذي أرسلته به إلى عبادك، فاكتمنا يا ربنا، وأثبت أسماءنا مع أسماء الذين شهدوا بالحق، وأقرؤا لك بالتوحيد والعبودية، وصدقوا رسلك، واتبعوا أمرك ونهيك، فاجعلنا يا الله في عدادهم، ومعهم فيما تمنحهم من كرامتك، ولا تجعلنا ممن كفر بك، وصدَّ عن سبيلك وحادَّ عن أمرك ونهيك

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ آل عمران

وأما الذين كفروا بـعيسى من بنى إسرائيل، وأحسَّ عيسى منهم الكفر فقد مكروا، وكان مكروهم الذى وصفهم به الله الاتفاق والمؤامرة على قتله، ولكن الله قد خيَّب ظنهم، وأحبط مكروهم، باتخاذ عيسى منهم والله خير المتصرفين فى أمورهم

﴿ وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ آل عمران
إذ قال الله لعيسى عليه السلام : يا عيسى، إني مميتك بعد استيفائك أجلك، ورافعك إلى محل كرامتى، ومطهرك ومنظفك، ومخلصك من كفر بك، وجحد ما جثتهم به من الحق من اليهود وسائر الملل
﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا الصَّلَافُ إِلَى يَدَاكَ فَإِذَا هُوَ لَدَيْكَ فَتَقَبَّلَ اللَّهُ الصَّلَاةَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُحْيَىٰ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْقِصَّةَ الْأُولَىٰ وَالثَّانِيَةَ لِقَوْمِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ لَكَ فَتَوَلَّوْا كَيْدَهُمْ فَوَقَّعْنَا فِيهِمُ الْبَلَاءَ ثُمَّ مُلْكُوا مِلًّا سَادًّا وَهَارُونَ هَدَىٰ لَهُمُ اللَّهُ ذُلًّا مَّتَّعْنَاهُ فَبِئْسَ الْفِتْنَىٰ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ آل عمران

ثم أشار الله تعالى بأنه جاعل الذين اتبعوا عيسى عليه السلام، وساروا على منهاجه، وملتة فى الاسلام، وفطرته، فوق الذين جحدوا نبوته وخالفوا بسلوكهم المعوج جميع أهل الملل، فكذبوا بما جاء به عيسى وصدوا عن الإقرار به إلى يوم القيامة، وذلك قوله تعالى :

﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ آل عمران

آراء بعض المفسرين في رفع عيسى إلى السماء

وقد اختلف المفسرون في تفسير آية الرفع ، فبعضهم قال : إن المراد بالوفاة النوم ، لأن النوم هو الميتة الصغرى ، وقد روى عن الربيع : أن الله تعالى رفع عيسى إلى السماء وهو نائم رقفاً به ، وبعضهم قال : إن المراد من الآية إني مستوف أجلك ، ومميتك حتف أنفك ، لا أسلط عليك من يقتلك ، وإن الآية كناية عن عصمته من الأعداء

والأخبار الماثورة جاءت ناطقة بأن المسيح رفع إلى السماء بجسده وروحه ، وأنه حي فيها ، وأنه ينزل في آخر الزمان ، ويقتل المسيح الدجال

الحكم بين المختلفين

ثم قال لهم : أيها المختلفون في عيسى مصيركم يوم القيامة إلى فأحكم بينكم ، وأقضى بين جميعكم في أمر عيسى بالحق فيما كنتم فيه تختلفون في أمره

﴿ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ آل عمران

فأما الذين كفروا وجحدوا نبوتك يا عيسى ، وخالفوا ملتك وكذبوا

بما جثتهم به من الحق، وقالوا فيك الباطل، فأني أعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا بالقتل والسبأ، والدلة والمسكنة؛ وأما في الآخرة فبنار جهنم خالدين فيها أبداً، وما لهم من ناصرين، ولا تقبل منهم شفاعة؛ وأما الذين آمنوا بك يا عيسى وصدقوك؛ وأقروا بنبوتك، وبما جثتهم به من الحق من عندي، ودانوا بالاسلام الذي بعثتك به، وعملوا بما فرضت من فرائض على لسانك، وشرعت من شرائع، وعملوا الصالحات، فأوفيتهم أجورهم، وأعطيتهم جزاء أعمالهم الصالحة أجراً كاملاً لا يبخسون منه شيئاً، ولا ينقصونه، فإن الله لا يحب من ظلم غيره حقاً له، أو وضع شيئاً في غير موضعه

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ آل عمران

٨ — معجزة نزول المائدة

من المعجزات العظيمة التي أتى بها عيسى عليه السلام نزول المائدة، وسبب ذلك أن الحواريين أصحاب عيسى قالوا له: يا عيسى هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء؟ فقال لهم: راقبوا الله

أيها القوم وخافوا أن ينزل بكم من الله عقوبة على قولكم هذا ، فإن الله لا يعجزه شيء ، أرادته ، وفي شككم في قدرة الله على إنزال مائدة من السماء كفر به ، فاتقوا الله أن ينزل بكم ثقله إن كنتم مؤمنين ، وفي ذلك قوله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾
المائدة

قال الحواريون : إنما قلنا ذلك ، وسألك أن تدعونا ربك ، لنا كل من المائدة ، فنعلم يقينا قدرته على كل شيء ، وتطمئن قلوبنا ، ونستقر على وحدانيته وقدرته ، ونعلم أنك لم تكذبنا في خبرك إنك رسول مرسل ونبي مبعوث ، ونكون على نزول المائدة ممن يشهد أن الله أنزلها حجة لنفسه علينا في توحيده ، وقدرته على ما يشاء ، ومعجزة لك على صدقك في نبوتك

﴿ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾
المائدة

فأجاب عيسى القوم إلى ما سألوه ، ودعا ربه وقال : اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء لنتخذ يوم نزولها عيداً نعظمه نحن ومن يحب .

بعدنا ، ونعبد ربنا ونصلي له في هذا اليوم ، كما يعمل الناس في أعيادهم ؛
ولتكون علامة وحجة منك يا رب على عبادك في وحدانيتك ، وفي
صدقى على أنى رسول اليهم بما أرسلتنى ، وأعطنا من عطائك ورزقك
فانك يا رب خير من يعطى ويرزق ، وأجود من يتفضل ويحجود

﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ
تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ
الرَّازِقِينَ ﴾ المائدة

فاستجاب الله دعاء عيسى وقال : إني منزلها عليكم أيها الحواريون
فقطعكم منها ، فمن يجحد بعد إنزالها عليكم ، وإطعامكم منها رسالتى إليه
وينكر نبوة نبيّ عيسى صلى الله عليه وسلم ، ويخالف طاعتى فيما أمرته
ونهيته ، فاني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ، غير أهل المائدة

﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي
أَعَذُّهُ عَذَابًا لَا أَعَذُّهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ المائدة

اعتراف عيسى عليه السلام بعدم اتخاذه وأمه إلهين

لما رفع الله عيسى ابن مريم إليه قالت النصارى واليهود ما قالت
وزعموا أن عيسى أمرهم باتخاذه وأمه إلهين من دون الله ، فسأله الله

عن قوله هذا وقال له : أنت قلت للناس اتخذوني وأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ؟ قَالَ عِيسَى : تَنْزِيهَا لَكَ يَا رَبِّ وَتَعْظِيمًا أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ أَوْ أَتَكَلَّمَ بِهِ ، لَيْسَ لِي أَنْ أَقُولَ ذَلِكَ ، لِأَنِّي عَبْدٌ مَخْلُوقٌ ، وَأُمِّي أُمَةٌ لَكَ ، فَهَلْ يَكُونُ لِلْعَبْدِ وَالْأُمَةِ إِدْعَاءُ رُبُوبِيَّةٍ ؟ إِنْ كُنْتَ قُلْتَهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ﴾ المائدة

ثم قال : إنك يا رب لا تخفى عليك ما أضمرت في نفسي مما لم أنطق به ولم أظهره بجوارحي ، فكيف بما قد نطقت به وأظهرته بجوارحي ؟ فلو كنت قلت للناس اتخذوني وأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، لكنت علمته لأنك تعلم ضمائر النفوس مما لم تنطق به ، فكيف بما قد نطقت به ؟ وإني لا أعلم ما أخفيته عني ، فلم تطلعني عليه ؛ لأنني إنما أعلم من الأشياء ما أعلمته ، إنك أنت العالم بخفيات الأمور ، التي لا يطلع عليها سواك ولا يعلمها غيرك

﴿ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ المائدة

ثم قال : إني ما قلت لهم إلا الذي أمرتني به من القول أن أقوله ، وهو

اعبدوا الله ربى وربكم ، وقد كنت شاهداً عليهم ، وعلى أفعالهم وأقوالهم ،
وأنا بين أظهرهم

فلما قبضتني إليك ، كنت أنت الحفيظ عليهم دوني ، وأنت تشهد
على كل شئ ؛ لأنه لا يخفى عليك شئ لقوله تعالى :

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ
وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ
الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ المائدة

وفي هذا دليل ، على أن الله تعالى إنما عرفه أفعال القوم ، ومقاتلتهم
بعد ما قبضه اليه وتوفاه

ثم قال : إن تعذب هؤلاء الذين قالوا ذلك ، وادعوا هذا الادعاء ،
فإنهم عبادك مستسلمون لك ، لا يمتنعون مما أردت بهم ، ولا يدفعون
عن أنفسهم ضرراً ولا أمراً تعاقبهم به ؛ وإن أردت أن تغفر لهم بهدايتك
إياهم إلى التوبة والاسلام ، فستر عليهم ، فإنك أنت العزيز في انتقامه
ممن أراد الانتقام منه ، لا يقدر أحد يدفعه عنه ، الحكيم في هداية من
هدى من خلقه إلى التوبة ، وتوفيق من وفق منهم لسبيل النجاة من العقاب
﴿ إِنَّ تَعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴾ المائدة

خاتمة المسيح عليه السلام

وما قيل بشأن قتله وصلبه

سبق أن ذكرنا أن الحواريين هم أنصار وأصحاب عيسى عليه السلام الذين آمنوا به ؛ أما سائر اليهود ، فانهم لم يكتفوا بعدم الايمان به بل اتفقوا وعزموا على قتله كما قتلوا يحيى وزكريا عليهما السلام من قبل . فلما استقر رأيهم على ذلك ، شكوا أمره الى الوالى الموجود وقتئذ ، وزينوا شكواهم بما يستدعى اهتمام الوالى بادعائهم عليه أنه يقول : انه ملك اليهود ، وأنهم لا يقرون بملك سوى (قيصر رومية) فأرسل الوالى جنداً للقبض على المسيح عيسى بن مريم ، فلما أتوا الى بيته ، ولم يبق إلا القبض عليه ، والمسيح قد اهتم لهذا الأمر وخشى أن ينالوه بالأذى ، أقذه الله من أيديهم وطهره منهم ، وألقى شبهه على شخص آخر ، علم فيما بعد أنه تلميذه الخائن ، وعرفته الأناجيل بأنه (يهوذا الاسخريوطى) الذى تواطأ مع الكهنة على الدلالة عليه بأجر

وصار يبحث ان كل من رآه لا يشك فى أنه يسوع ، فأخذ وصلب وقتل ونجا الله المسيح من شرهم وقد أعلم الله تعالى المسيح بما سيتم ، وشاع فى الناس أن يسوع

الناصرى قتل بعد أن صلب ، وما قتلوه وما صلبوه ؛ ولكن شبه لهم ،
وما قتلوه يقينا ؛ بل رفعه الله اليه ، وطهره من الذين كفروا ، وفي ذلك
قوله تعالى :

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا
قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي
شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ
رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ النساء

وبعد أن رفعه الله اليه أثبت الحواريون أصحابه في جهات الأرض
يدعون الناس الى دينه ، وهو توحيد الله فيما يرضيه ، إلا أن الدنيا
كانت مملوءة بالشرك والكفر ، فلم يستطيعوا أن يصدعوا بالأمر فظل
الدين العيسوي أكثر من ٣٠٠ سنة محجوبا كالأسرار ، في صدور
الأحرار ، وكان أصحابه يعبدون الله تعالى سرا في مواضع أعدوها
لذلك تحت الأرض أو في الكهوف والمغارات ؛ أما أمه مريم فقد
عاشت بعد رفعه ست سنين ، ثم توفيت وكان عمرها ٥٣ ثلاثا وخمسين
سنة ، ودفنت ببيت المقدس بالكنيسة المعروفة (بالجسمانية)
ويقال : انه حي إلى الآن ، وأنه ينزل قبل قيام الساعة ويحكم بشريعة
(م - ١١ - ني)

سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، ولا يدع كافرا حتى يسلم ، ويمكث أربعين سنة ، ثم يحج ويزور قبر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم يموت ويدفن بجواره صلى الله عليه وسلم ، ويؤيد ذلك الحديث الشريف الآتي :

حديث شريف ؛ عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الأنبياء إخوة لعلات ، وأمهاتهم شتى ، ودينهم واحد ، وإنى أولى الناس بعيسى عليه السلام ، لأنه لم يكن بينى وبينه نبي ، ويوشك أن ينزل فيكم ويحكم حكما عدلا ، وأنه نازل على أمتى ، وهو خليفتى عليكم ، فإذا رأيتموه فاعرفوه ، فإنه رجل مربع القامة ، وهو الى الحمرة والبياض ، سبط الشعر كان رأسه يقطران لم يصبه بلل ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال ، ويسكن الروحاء حاجا معتمرا ، يقاتل الناس على الاسلام حتى يهلك فى زمانه الملل كلها غير الاسلام ، وتكون السجدة واحدة لله تعالى ، ويهلك فى زمانه المسيح الدجال ، ويقتل على يديه وعلى يد أصحابه ، ويقع الأمن فى الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل ، والنمور مع البقر ، والدواب مع الغنم ، وتلعب الصبيان بالحيات لا يضر بعضهم بعضا
ثم يلبث فى الأرض ماشاء الله (وقيل أربعين سنة) ثم يتوفى فى

المدينة ويصلى عليه المسلمون، ويدفونه إلى جانب قبر عمر بن الخطاب
رضي الله عنه، فطوبى لأبي بكر وعمر يحشران بين نبين
وقد بشر عيسى عليه السلام بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إذ
قال لقومه بني إسرائيل : يا بني إسرائيل إني رسول الله اليكم مصدقا
لما بين يدي من التوراة التي أنزلت على موسى، وأبشركم برسول
يحيى من بعدى اسمه (أحمد)

ولما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالبينات ، وهي الدلالات التي
أنه الله حججاً على نبوته قالوا : هذا سحر مبين ؛ وفي ذلك قوله تعالى :
﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ
إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي
مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ
مُبِينٌ ﴾

الصف

٢٥ - محمد صلى الله عليه وسلم

(سيد المرسلين وخاتم النبيين)

خلاصة سيرته

ليس القصد بسط القول في السيرة النبوية والشمال المحمدية ، فإن لذلك كتباً كثيرة فيأضة بها ، وإنما الغرض الالام بخلاصة سيرته عليه الصلاة والسلام ، إثبات نبوته ورسالته بالآيات القرآنية ، ودحض أقوال السفهاء والمشركين والمتافقين فيما يزعمونه ، وبيان بعض معجزاته وشماله صلى الله عليه وسلم

نسبه الشريف

١ - من جهة أبيه

نبينا العربي، الهاشمي القرشي، أكرم العرب نسباً، وأشرفهم حسباً، هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب (واسمه شعبة الحمد) ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن حكيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ؛ وينتهي نسبه الشريف الى اسماعيل ابن ابراهيم أبي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ويدعى بالعرب المستعربة

وقد نظم بعضهم الجميع فقال :

«نبينا محمد قد ينتسب قطعاً لعبد الله عبد المطلب»
 «فهاشم عبد مناف قصى كذا حكيم مرة كعب لؤى»
 «فغالب فهر فمالك يلى نصر كنانة خزيمة اتقل»
 «مدركة الياس أيضاً فمضر نزارهم معد عدنان انحصر»

٢ - من جهة أمه

وأما السيدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن حكيم .
 الذى هو الجلد الخامس للنبي صلى الله عليه وسلم ؛ وهى من أشرف
 بيوت قریش

وهذا هو النسب الشريف المتفق على صحته من علماء التاريخ
 والمحدثين

وقال فى نسبه الإمام البوصيرى رحمه الله صاحب البردة والهمزية
 فى مدح خير البرية المتوفى سنة ٦٩٥ هـ بالاسكندرية وضرىحه بها
 مشهور ومعروف :

«نَسَبٌ يَحْسَبُ الْعُلَا بِحُلَاهُ قَلَدَتْهَا بُجُومُهَا الْجُوزَاهُ^(١)»

(١) الجوزاء : اسم لبرج فى السماء

« حَبْدًا عِقْدٌ ^(١) سُوْدَدٍ ^(٢) وَفَخَّارٍ أَنْتَ فِيهِ الْيَتِيمَةُ ^(٣) الْعَصْمَةُ ^(٤) »

أدوار حياته صلى الله عليه وسلم

١ - الدور الأول (من ولادته الى النبوة)

ميلاده

حملته به أمه السيدة آمنة بنت وهب في أول رجب . وبعد شهرين من حملها توفي أبوه عبد الله في المدينة عند أخواله بنى النجار وعمره ١٨ سنة عقب ذهابه الى تجارة في الشام

ولما تمت مدة الحمل ولد عليه الصلاة والسلام بمكة في دار أبي طالب في صباح يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول ، وقيل صباح اليوم التاسع من هذا الشهر الموافق ٢٠ ابريل سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح عليه السلام على ما حققه المرحوم محمود باشا الفلكي

وهذا اليوم يوافق السنة الأولى من حادثة الفيل المشهورة ، أى العام الذى حبس الله فيه الفيل عن دخول مكة لهدم الكعبة كما كان يقصد (أبرهة) قائد جيش النجاشى الحبشى فدمرهم الله أشنع تدمير وجعل كيدهم في تضليل ، إكراما لولادته عليه الصلاة والسلام

(١) العقد : الفلادة من الجوهر (٢) السودة : السيادة (٣) اليتيمة :

التي لاشبيه لها في جنسها (٤) العصاة : من العصمة وهى الحفظ والمنع

وقد جاء ذكر هذه القصة في القرآن الكريم :
 ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي
 تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ
 فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾

وقال في حمله وولادته (حسان بن ثابت) الشاعر العظيم :
 « تالله ما حملت أنثى ولا وضعت مثل الرسول نبي الأمة الهادي »
 وقال المرحوم شوقي بك في قصيدته الشهيرة بالهمزية :

« وُلِدَ الْهُدَى فَالْكَائِنَاتُ ضِيَاءٌ وَفَمِ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَثَنَاءُ »
 وقد دلت الروايات الصحيحة على اتصافه صلى الله عليه وسلم حين
 ولادته بصفات تليق ب مقامه السامي ، إذ وُلِدَ نظيفاً ليس عليه من أقدار
 الولادة شيء ، مدهوناً مكحولاً ، يعلوه النور والبهاء ، واضعاً يديه على
 الأرض ، رافعاً رأسه ، رافعاً بطرفه الى السماء
 وفي ذلك يقول البوصيري رحمه الله :

« رَافِعاً رَأْسَهُ وَفِي ذَلِكَ الرَّفْعِ إِلَى كُلِّ سُودَدٍ إِيمَاءُ »
 « رَامِقاً طَرْفُهُ السَّمَاءَ وَمَرَمَى عَيْنٍ مَنْ شَأْنُهُ الْعُلُوُّ الْعَلَاءُ »
 أى برز عليه السلام الى هذا الوجود رافعاً رأسه ، وفي ذلك الرفع
 الذى هو أول فعل وقع منه عليه السلام (إيماء) وإشارة الى كل رفعة

وسعادة . ورامقاً ببصره الى جهة العلو إيماء الى أنه لا يقصد إلا أعلى
المراتب ، إذ من شأنه العلو لا يقصد إلا جهاته

«وَتَدَلَّتْ زُهُورُ النُّجُومِ إِلَيْهِ فَاضَاءَتْ بِضَوِّهَا الْأَرْجَاءَ»

أى قد دنت الكواكب المضيئة يوم ولادته فاضاءت بأنوارها
النواحي . والدليل على ذلك أنه روى البيهقي عن فاطمة الثقفية أنها
قالت لما حضرت ولادة النبي عليه الصلاة والسلام : رأيت البيت
حين وضع قد امتلأ نوراً ، ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت أنها
ستقع على

وروى: أن أمه صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعته نوراً ظهرت به
قصور الشام فرأتها وهي في مكة ؛ وهذا معنى قول البوصيرى رحمه الله
«وَتَرَاءَتْ قُصُورُ قَيْصَرَ بِالرُّومِ مِ يَرَاهَا مِنْ دَارِهِ الْبَطْحَاءَ»

العجائب التي ظهرت يوم ولادته

وفي ليلة ولادته شاهد الكثيرون ما يدل على شرفه وعظيم قدره
من العجائب والآيات الباهرات ، فلما أشرقت أنواره عليه السلام
تتابعت بشائر الهاقين بولادته ، وثبت السرور بطلعته ، وأشرف على
السقوط (إيوان كسرى) وانشق وسقطت شرفاته ، وخمدت نار
فارس أى انطفأت النار التي كانوا يعبدونها ويوقدونها ألف سنة ، ولم

يطفأ لها لهب؛ لأنهم كانوا مجوساً، وكان ذلك غمّاً وبلاءً عليهم لخود تلك النيران العظيمة؛ وقد أدركوا أن ذلك لأمر عظيم حدث في العالم، وهو ولادة المصطفى عليه الصلاة والسلام.

وكذا ظهر في تلك الليلة جفاف عيون الفرس؛ كأن الماء الذي كان بها فاض وأطفأ نيران بيوت الفرس

وفي ذلك يقول البوصيري رحمه الله:

«لَيْلَةُ الْمَوْلِدِ الَّذِي كَانَ لِلدَّيْنِ سُرُورٌ وَيَوْمُهُ وَازْدَهَاءُ»

«وَتَوَالَتْ بُشْرَى الْهَوَاتِفِ أَنْ قَدْ وُلِدَ الْمُصْطَفَى وَحَقَّ الْهِنَاءُ»

«وَتَدَاعَى إِيْوَانُ كَسْرَى وَلَوْلَا آيَةُ مِنْكَ مَا تَدَاعَى الْبِنَاءُ»

«وَعَدَا كُلُّ بَيْتٍ نَارَ وَفِيهِ كُرْبَةُ مِنْ حُمُودِهَا وَبَلَاءُ»

«وَعُيُونُ الْفُرْسِ غَارَتْ فَهَلْ كَانَ لِنِيرَانِهِمْ بِهَا إِطْفَاءُ؟»

«مَوْلِدُكَ كَانَ مِنْهُ فِي طَالِعِ الْكُفْرِ وَبَالٌ عَلَيْهِمْ وَوَبَاءُ»

وقد أمتازت وفازت السيدة آمنة بما لم تغزبه النساء من الفخار حتى

حواء، ولذا قال البوصيري رحمه الله:

«فَهَنِيئًا بِهِ لِأَمْنَةِ الْفَضْلِ الَّذِي شَرَّفَتْ بِهِ حَوَاءُ»

«يَوْمَ نَالَتْ بَوَاضِعَهُ ابْنَةً وَهَبَ مِنْ فَيْحَارِ مَا لَمْ تَنْكَلُهُ النِّسَاءُ»

الاحتفال بمولد النبي عليه الصلاة والسلام

لم يكن في سنة العرب أن يحتفلوا بتاريخ ميلاد أحد منهم ؛ ولم
تجر بذلك سنة بين المسلمين فيما سلف ، والثابت من كتب التاريخ
وغيرها أن عادة الاحتفال بميلاد النبي عليه الصلاة والسلام من العادات
المحدثه ، ويقال : أن هذه العادة أحدثها (المظفر أبوسعيد) صاحب (اربل)
من البلاد التابعة لولاية (الموصل) وذلك في القرن السابع من الهجرة ، ثم
انتشرت هذه العادة في الأقطار ، وقد فاقت مصرنا فيها جميع الأمصار
وفي الزمن الغابر كان أهل مكة فيما رواه بعض المؤرخين - يتبركون
بزيارة الموضع الذي ولد فيه النبي عليه الصلاة والسلام في يوم ميلاده
هذا وإن الاحتفال بمولد النبي عليه الصلاة والسلام ليس بالبدعة كما
يدعى بعضهم ؛ بل هو سنة حسنة جرى عليها الخلف سنة عن السلف
الصالح

والقصد من هذا الاحتفال هو أن يجعل الناس يوماً من أيام العام
خالصاً لتذكّار محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر أبناء آدم بركة
على الإنسانية ، وأبقاهم في صحائف التاريخ أثراً بتلاوة الذكر الحكيم ،
وقصة سيد المرسلين ، وتوزيع الصدقات على الفقراء والمساكين ، ولو
أنصف المسلمون لجعلوا احتفالهم يوم ميلاد نبيهم أن يخرجوا إلى الصحراء

بين الرمال والأحجار فيستعيدوا هنالك ذكرى النبي الأئمة المؤمنين
الذي أنشأ من قبائل العرب البدوية خير أمة أخرجت للناس ، ورفع
راية القرآن المنصورة مابين زمزم والحطيم

أما العادة المتبعة في الاحتفال بولد النبي الشريف من إقامة الزينات
والسرادات ، وتسيير الموكب ، ودق الطبول والمزمار ، والاشارات ، وسماع
الأغاني والأناشيد ، والرقص في حلقات الذكر ؛ وإطلاق الصواريخ
والألعاب النارية في الهواء ، وخروج النساء المتبرجات لرؤية الاحتفال
والموكب ، واختلاط الرجال والشبان بالنساء والفتيات ؛ كل ذلك
مخالف لآداب الشريعة السمحة ، ومما يغضب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيجب الابتعاد عنه

تسميته صلى الله عليه وسلم

لما وُلد عليه الصلاة والسلام أرسلت أمه السيدة آمنة جده تبشره
فأقبل مسروراً وسمّاه

« محمداً »

ولم يكن هذا الاسم شائعاً من قبل عند العرب ، ولكن أراد الله
أن يحقق ما ذكره في الكتب التي جاءت بها الأنبياء ، كالتوراة والإنجيل
فألمه جده أن يسميه بذلك انفاذاً لأمره

رَضَاعُهُ وَفِطَامُهُ وَمَا حَصَلَ فِيهِمَا مِنَ الْمَعْجَزَاتِ

أَرْضَعَتْهُ أُمُّهُ السَّيِّدَةُ آمَنَةُ نَحْوَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ثُمَّ (ثَوِيَّةُ) مَوْلَاةُ عَمِّهِ أَبِي لَهَبٍ ، ثُمَّ (حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ) الَّتِي اخْتَارَهَا جَدُّهُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَرْضُوعَةً لَهُ ، وَهِيَ مِنْ قَبِيلَةِ هَوَازِنَ الْمَشْهُورَةِ فِي الْعَرَبِ بِالْعِرَاقَةِ وَكَمَالِ الشَّرَفِ ، وَاسْمُ زَوْجِهَا (أَبُو كَبْشَةَ) وَهُوَ الَّذِي كَانَتْ قَرِيشٌ تَنْسِبُ لَهُ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ يَرِيدُونَ الْإِسْتِزَاءَ بِهِ فَيَقُولُونَ : « هَذَا ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ » يَكْلِمُ مِنَ السَّمَاءِ ، فَأَخَذَتْهُ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ وَرَجَعَتْ بِهِ إِلَى قَبِيلَتِهَا وَبَقِيَ عِنْدَهَا إِلَى الْفِطَامِ وَبَعْدَهُ بَسْنَتَيْنِ أَيْضًا وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْبُوصَيْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

« وَإِذَا سَخَّرَ الْإِلَهُ أَنْاسًا لِسَعِيدٍ فَإِنَّهُمْ سُعْدَاءُ »

وَقَدْ ظَهَرَتْ فِي زَمَانِ رَضَاعِهِ أَشْيَاءُ شَبِيهَةٌ بِالْمَعْجَزَاتِ لَا يَسْتَطَاعُ إِخْفَاؤُهَا وَكَمَانُهَا عَنِ الْأَبْصَارِ ، إِذَا امْتَنَعَتْ عَنْ رَضَاعِهِ الْمَرْضَعَاتُ وَأَعْرَضْنَ عَنْهُ لِيَتِمَّهُ وَقَان : إِنَّمَا تَرَكْنَاهُ لِأَنَّا نَبْغِي الْمَعْرُوفَ وَالْخَيْرَ مِنْ آبَاءِ الرُّضْعَاءِ ، وَأَمَّا الْأُمُّ وَالْجَدُّ فَلَيْسَا كَذَلِكَ . وَقَدْ أَتَتْهُ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ وَكَانَتْ فَقِيرَةً ، وَلَا يَرْضَى أَحَدٌ مِنَ الْأَهْلِ أَنْ يُعْطِيَهَا ابْنَهِ لِارِضَاعِهِ لِأَنَّ الْفَقْرَ يَسْتَلْزِمُ قِلَّةَ الْأَكْلِ وَهُوَ يَسْتَلْزِمُ قِلَّةَ اللَّبَنِ الْمَضْرُوعِ بِالرُّضِيعِ عَادَةً ، فَأَرْضَعَتْ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِبَانِهَا ، وَبَسَبَبَ هَذَا الْارِضَاعَ لِهَذَا الْمَوْلُودِ

السعيد المحمود ، درَّ عليها وبنها الشياه من الغنم ألبانها وكانوا قد
أشرفوا على الهلاك من الجوع ، وبعد أن كانت هذه الشياه هزيلات
لالبين فيها أصلاً ، فببركته عليه السلام استحالت حالها في أقرب وقت
وليس بها هزال ، وكثر مرعى الدواب عند حليلة بعد ييس الأرض من
الكلاء والزرع ، وذلك بسبب أنها ترضع النبي عليه السلام بلبنها ، ولأن
البركة والرحمة تحلان حيث يكون الرسول صلى الله عليه وسلم
وفي ذلك يقول الامام البوصيرى رحمه الله :

«وَبَدَتْ فِي رِضَاعِهِ مُعْجَزَاتٌ لَيْسَ فِيهَا عَنِ الْعِيُونِ خَفَاءٌ»

«إِذْ أَبَتْهُ لَيْتِمُهُ مُرَضِعَاتٌ قَلْنَ مَا فِي الْيَتِيمِ عَنَّا غِنَاءٌ»

«فَأَنْتَهُ مِنْ آلِ سَعْدٍ فَتَاةٌ قَدْ أَبَتْهَا لِفَقْرِهَا الرُّضَاعُ»

«أَرْضَعَتْهُ لِبَانُهَا فَسَقَمَتْهَا وَبَنَيْهَا أَلْبَانُهُنَّ الشَّاءُ»

«أَصْبَحَتْ شَوْلاً عَجَافًا وَأَمْسَتْ مَامَهَا سَائِلٌ وَلَا عَجْفَاءُ»

«أَخْضَبَ الْعَيْشُ عِنْدَهَا بَدَحْلٍ إِذْ غَدَاَ لِلنَّبِيِّ مِنْهَا غِذَاءُ»

وبعد أن انتهت مدة رضاعه لبلوغه سنتين أتت به جده عبدالمطلب
وقد أصابها من أجل فطامه التألم الشديد لما شاهدت من توالى الخيرات
وتتابع البركات بسبب إقامته عندها

«وَأَتَتْ جَدَّهَ وَقَدْ فَصَّاتَهُ وَبِهَا مِنْ فَصَالِهِ الْبُرْحَاءُ»

حادثة شق الصدر

وحصل له عليه الصلاة والسلام حادثة مهمة وهي شق الصدر وإخراج حظ الشيطان منه ، فأحدث ذلك عند حليلة خوفا فردته الى أمه وجده وحدثتهما قائلة :

بينما هو عليه الصلاة والسلام وإخوته (أولادها) في بهم لنا خلف بيوتنا إذ أتى أخوه يعدو فقال لي ولأبيه : ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعا فشقا بطنه فهما يسوطانه (يحركانه بسوط) فخرجت أنا وأبوه فوجدناه ممتعا لونه فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا له : مالك يا بني ؟ فقال : جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فقال أحدهما لصاحبه : أهو هذا ؟ قال : نعم . فأقبلا يبتدراني فاضجعاني فشقا بطني فالتسافيه شيئا فأخذاه وطرحاه ولا أدري ماهو ؟

وفي ذلك يقول البوصيري رحمه الله :

« إِذْ أَحَاطَتْ بِهِ مَلَائِكَةُ اللَّهِ فَظَنَّتْ بِأَنَّهُمْ قُرْنَاهُ »

« وَرَأَى وَجَدَهَا بِهِ وَمِنْ الْوَجْدِ لَيْسَبُ تُصَلِّي بِهِ الْأَخْشَاءُ »

« فَأَرْقَمَهُ كُرْهًا وَكَانَ لَدَيْهَا ثَاوِيًّا لَا يَمْلُ مِنْهُ الثَّوَاءُ »

« شَقَّ عَنْ قَلْبِهِ وَأَخْرَجَ مِنْهُ مُضْغَةً عِنْدَ غَسَلِهِ سَوْدَاءُ »

وقد أعاد جبريل عليه السلام ذلك الشق الى ماكان عليه بامرار
يده على محله فالتأم ، ثم أودع فيه من الايمان والحكمة والأسرار ما لم
ينشر وما لم تحط به أخبار ؛ لأنه لا يعلمه إلا الله تعالى ؛ ثم وضع الخاتم
بين كتفيه ، ولم يكن الخاتم لنبي قبله

وفي ذلك قول البوصيرى رحمه الله :

«خَتَمَتَهُ يَمْنَى الْأَمِينِ وَقَدْ أَوْدَعَ مَالِمٌ تَدْعُ لَهُ أَنْبَاءُ»

«صَانَ أَسْرَارَهُ الْخِتَامُ فَلَا الْفَسْخُ مِلْمٌ بِهِ وَلَا الْإِفْضَاءُ»

وفاة والدته وكفالة جده وعمه له

لما بلغ محمد صلى الله عليه وسلم أربع سنين قامت والدته بمحضاته
ثم أخذته وتوجهت به الى المدينة لزيارة أحوال أبيه بنى عدى بن النجار .
وبينا هي عائدة أدركتها الوفاة فى الطريق فماتت (بالأبواء) وهى
أقرب الى المدينة ، فحضنته (أم أيمن) وهى جارية ورثها عن أبيه تسمى
(بركة الحبشية) وكفله جده عبد المطلب فكان يرق له ، ويعطف
عليه أكثر من أولاده لما كان يظهر عليه من علامات النجاة الدالة
على أنه سيكون له شأن عظيم فى المستقبل ، ولذا كان يكرمه غاية
الإكرام ، ولكن لم يلبث عبد المطلب أن توفى بعد ثمانى سنوات من
عمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكفله عمه أبو طالب شقيق أبيه

أحسن كفالة ، وكان شهماً كريماً سمحاً جواداً ، لكنه كان فقيراً
لا يملك كفاف أهله ، فحسنت حاله وصلاح رزقه ، وكانت كفالته لابن
أخيه خيراً وبركةً عليه وعلى أولاده

ولقد اعتنى بآبن أخيه محمد صلى الله عليه وسلم عناية كبرى حتى
قدمه على أولاده في كل شيء عملاً بوصية أبيه عبد المطلب له حيث
قال فيها :

« أوصى أباطالب بعدى بذى رحم (محمد) وهو في الناس محمود »
« فاحذر عليه شرار الناس كلهم والحاسدين فإن الخير محسود »
ولذا كان به رحيماً وعليه غيوراً لأنه رآه بعيداً عن كل شائبة نقص
ولهوما تميل إليه الأطفال عادة

وكان محمد صلى الله عليه وسلم في مدة كفالة عمه مثال القناعه
والبعد عن السفاسف وصغار الأمور التي يشتغل بها الأطفال فكان اذا
حضر الأكل أقبل عليه الأولاد يختطفونه وهو قانع بما يسره الله له
نشأته وكسبه من يده وثمره عمله

نشأ صلى الله عليه وسلم في قومه يتيماً فقيراً ومات والده في سن الشباب
ولم يترك له مالا سوى خمسة جمال وبضع نعاج وكان صلى الله عليه وسلم
قد ألف رعى الغنم مع إخوته في الرضاع فصار يرعى لأهل مكة

غَنَمَهُمْ فَيَتَوَافَرُ لِكَافِلِهِ أَبِي طَالِبٍ مَا يَأْخُذُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ أَجْرٍ ؛ وَلَئِنْ كَانَ
مِثَالُ الزَّهْدِ وَالْقَنَاعَةِ وَالرَّافَةِ وَالرَّحْمَةِ

وَلَمَّا شَبَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَتَجَرَّعُ مَعَ شَرِيكَ لَهُ يَدْعَى (السَّائِبَ)
وَبِأَكْلِ مَنْ ثَمَرَةِ عَمَلِهِ وَكُسْبِهِ، وَقَدْ اشتهر بالصدق والأمانة في تجارته
وَالِإِخْلَاصِ فِي عَمَلِهِ

تَأْدِيبُ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَسَنَ خَلْقِهِ

قَدْ أَدَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَدَبًا لَمْ يَفْزَ بِهِ غَيْرُهُ مِنَ الْيَتَامَى الَّذِينَ قَلَّ مَا لَهُمْ
وَمَالُ الْقَوَّامِ عَلَيْهِمْ ، مَعَ كَوْنِهِ بَيْنَ أَرَابٍ مِنْ نَبْتِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَعُشْرَاءَ
مِنْ حُلَفَاءِ الْوَثْنِيَّةِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَسَازٌ يَهْذِبُهُ ، وَلَا مُتَقَفٌّ يُوَدِّدُهُ ، وَإِنَّمَا هِيَ
عَنَايَةُ اللَّهِ تَحْفَظُهُ وَتَرْعَاهُ ؛ وَقَدْ حَدَّثَ عَنْ نَفْسِهِ قَائِلًا :

« أَدَبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي »

فَاكْتَهَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى أَمِّ مَاتَنَزَكَ بِهِ رُوحٌ ، وَأَكْمَلَ
مَاتَنَحَلَى بِهِ نَفْسٌ ، مِنْ جَمِيلِ الصِّفَاتِ ، وَحَمِيدِ الْخُصَالِ ، وَقَدْ قَالَ فِي
شَأْنِهِ الْبُوصَيْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

« كَمَا فَكَّ بِالْعِلْمِ فِي الْأُمِّيِّ مُعْجَزَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ فِي الْيَتِيمِ »

رَحَلَتْهُ الْأَوَّلَى إِلَى الشَّامِ

لَمَّا بَلَغَ سِنُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً أَرَادَ عَمَّهُ وَكَفِيلُهُ أَبُو

(م - ١٢ - ن)

طالب السفر بتجارة الى الشام فاستعظم الرسول صلى الله عليه وسلم
فراقه فَرَقَ له وأخذه معه (وهذه هي الرحلة الأولى) ولم يكتشوا فيها
إلا قليلا وكان معهما أبو بكر الصديق رضى الله عنه

وقد أشرف على رجال القافلة وهم بقرب (بُصْرَى) قرية على الحدود
بين بلاد الشام وبلاد العرب (بحيرا الراهب) فسألهم عما رأه في كتبهم
المقدسة ، من بعث نبي من العرب في هذا الزمن ؟ فقالوا : انه لم
يظهر للآن

وهذه العبارة كثيراً ما كان يلهج بها أهل الكتاب من يهود
ونصارى قبل مبعث الرسول
ويقول الله تعالى في ذلك :

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾
البقرة

وقد عرفه (بحيرا) بعلامات النبوة وتحققها وقال : سيكون لهذا الغلام
شأن عظيم وسيبعثه الله رحمة للعالمين ، وناشد عمه أن يرده الى مكة
خوفاً عليه من اليهود والنصارى ، فرجع ورجع معه أبو بكر وزودهم
(بحيرا) شيئاً من الزبيب والكعك

حرب الفجار

لما بلغ سنه عليه السلام عشرين سنة حضر حرب الفجار ، وهي حرب كانت بين قريش وحلفائها ، وبين قيس وحلفائها ، في موضع يسمى (نخلة) بين مكة والطائف ، وكان يجمع السهام لأنعامه فيها ويرمي معهم ، فكلل الله عملهم بالنصر على أعدائهم الذين انتهكوا إذ ذاك حرمت البيت المعظم عند جميع العرب . ولوقوعه في الشهر الحرام ولما استحل فيه من حرمت مكة التي كانت مقدسة عند العرب سمي (يوم الفجار) وكانت الدائرة تدور على قيس حتى انهزم بعض قبائلها وانتهت بالصلح ، وألف الله بين قلوبهم وأزاح عنهم الضلالات بانتشار نور الاسلام بينهم بعد

رحلته الثانية الى الشام

لما بلغ سنه عليه السلام خمسا وعشرين سنة سافر الى الشام للمرة الثانية وذلك أن خديجة بنت خويلد الأسدية (من بنى أسد بن عبد العزى ابن قصي) كانت سيدة تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها ، وتضاربهم فيه

فلما سمعت عن محمد صلى الله عليه وسلم من الأمانة ، وصدق الحديث ، ما لم تعرفه في غيره ، حتى سمّاه قومه الأمين ، استأجرته ليخرج في ما لها الى الشام تاجراً وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره فسافر على بركة الله مع غلامها (ميسرة) وكانت تظله الغمامة في اليوم الصائف ، لا يشترك معه أحد من القافلة ، كما روى ذلك (ميسرة) فعرفه الراهب (نسطورا) وقال : هذا خاتم النبيين ، ليتنى أدركه حين يؤمر بالخروج

ثم حضروا سوق (بُصْرَى) وباعوا واشتروا ، فربحوا ربحاً عظيماً وحقق الله ما امتن به عليه بقوله :

﴿ اَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيْمًا فَاَوَىٰ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ الضحى

زواجه من خديجة

لما عاد عليه السلام مع (ميسرة) من الشام وقدا مكة ورأت السيدة خديجة ربحها العظيم وتحققت أمانته وصدقه ، وشاهدت بعض علامات النبوة عليه ، وأخبرها غلامها (ميسرة) بكلام الراهب وبما رآه بنفسه من ظلة الغمامة له ، بعثها ذلك الى التزوج به

وفى ذلك يقول البوصيرى رحمه الله :

«وَرَأَيْتُهُ خَدِيجَةً وَالتَّقَى وَالزُّهُدُ هُدًى فِيهِ سَجِيَّةٌ وَالْحَيَاءُ

«وَأَتَاهَا أَنَّ الْغَمَامَةَ وَالسَّرَّ حَاحَ أَظْلَمَتْهُ مِنْهُمَا أَفْيَاءُ»

«وَأَحَادِيثُ أَنَّ وَعَدَ رَسُولُ اللَّهِ بِالْبَعْثِ حَانَ مِنْهُ الْوَفَاءُ»

«فَدَعَتْهُ إِلَى الزَّوْجِ وَمَا أَحْسَنَ مَا يَبْلُغُ الْمُنَى الْأَذْكِيَاءُ»

وأرسلت إليه تخطبه لنفسها ، وكان سنها نحو الأربعين ، وسنه خمساً وعشرين سنة ، وكانت من أفضل قريش حسباً ونسباً ، وأوسعهم مالاً وثروةً ، وكَم من عظيم خطبها وبذل لها الأموال الطائلة فأبت ؛ ولكن لما خطبها أبوطالب لمحمد صلى الله عليه وسلم أجابت ، لما توصمته فيه من التقوى والزهد والحياء والخير والبركة ، فتزوجها عليه الصلاة والسلام بعد (أبى هاله) المتوفى عنها وعن ولدها (هند) الذى هو ربيب المصطفى ؛ ولم يتزوج غيرها حتى توفيت ، فتزوج بعدها عائشة أم المؤمنين

وكان عليه الصلاة والسلام يذكرها طول عمره بكل خير حتى كانت السيدة عائشة تغار منها ولم ترها ، قالت من حديث لها : فذكرها يوماً من الأيام فأخذتنى الغيرة ، فقلت له صلى الله عليه وسلم : هل كانت إلاَّ عجوزاً قد أبدلك الله خيراً منها ؟ فغضب رسول الله عليه الصلاة والسلام وقال :

« لا والله ما أبدلني خيراً منها : آمنت بي إذ كفر الناس ، وصدقتني
إذ كذبتني الناس ، وواستني في مالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله منها
الولد دون غيرها من النساء » رواه مسلم

بناء البيت الحرام

لما بلغ عليه الصلاة والسلام خمسا وثلاثين سنة جاء سيل جارف
فصدع جذران الكعبة بعد توهينها من حريق كان أصابها من قبل
فشرعت قريش في بناء الكعبة

وأعدوا لذلك النفقة اللازمة وجعل الأشراف من قريش يحملون
الحجارة على أعناقهم ، وكان العباس ورسول الله محمد عليه الصلاة
والسلام فيمن يحمل الحجارة من أشراف مكة

وعندما أرادوا وضع الحجر الأسود موضعه اختلفوا وتنافسوا
تنافساً شديداً كاد تكون عاقبته الحرب لولا أن (أبا أمية بن المغيرة المخزومي)
عم خالد بن الوليد الذي كان أكبرهم سنّاً قال : لا تختلفوا ، وحكموا بينكم
من ترضون بحكمه

فقالوا : نكل الأمر لأول داخل من باب (بني شيبه)

فكان هذا الداخل هو الأمين المأمون عليه الصلاة والسلام فاطمأن

الجميع له لما يعهدون فيه من الأمانة ، وصدق الحديث ، وقالوا :
هَذَا الْأَمِينُ رَضِينَاهُ ، هَذَا مُحَمَّدٌ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَحَاكُمُونَ إِلَيْهِ إِذْ كَانَ

لَا يَدَارِي وَلَا يَمَارِي

فلما أخبروه الخبر بسط رداءه وقال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من
الثوب ؛ ثم وضع فيه الحجر وأمرهم برفعه حتى انتهوا الى موضعه ،
فأخذوه عليه السلام ووضعوه فيه بيده الشريفة ، وهكذا انتهت هذه
المشكلة التي كثيراً ما يكون أمثالها سبباً في انتشار حروب هائلة طاحنة
بين العرب

ولا يستغرب من قريش تنافسهم هذا ، لأن البيت الحرام قبلة
العرب ، وكعبتهم التي يحجون اليها ، فكل عمل فيه يعظم به الفخر
والسيادة ، ومن المعلوم أنه أول بيت وضع للعبادة بشهادة القرآن
الكريم ؛ قال تعالى :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ
فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ آل عمران
ولقد امتن الله عليهم بذلك في تنزيله بقوله :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾

العنكبوت

سيرته في قومه قبل البعثة

كان عليه السلام أحسن قومه خُلُقًا ، وأصدقهم حديثًا ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم عن الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال ، حتى كان أفضل قومه مروة ، وأكرمهم مخالطة ، وخيرهم جوارًا ، وأكثرهم حلمًا ، حتى شهد له بذلك ألد أعدائه (النضر بن الحارث) من بني عبد الدار حيث يقول :

قد كان محمد فيكم غلامًا حدثًا ، أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثًا ،
وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم
قلتم ساحر ، لا والله ما هو بساحر

بُغضه للوثنية من أول حياته

قد حفظه الله في صغره من أعمال الجاهلية ، وبُغِضت إليه الأوثان
بغضًا شديدًا حتى ما كان يحضر لها احتفالًا ولا عيدًا مما يقوم به عباده ،
ولم يسجد للأصنام ، وكان يقول عليه السلام :

لما نشأت بُغِضت إلى الأوثان ، وبُغِضت إلى الشعر ، ولم أهتم
بشيء مما كانت الجاهلية تفعله

وكان عليه السلام لا يأكل مما كان يذبح على النصب (وهي

حجارة تنصب تصب عليها دماء الذبائح وتعبد) وحرّم على نفسه
شرب الخمر مع شيوعه في قومه شيوعاً عظيماً
وذلك كله من الصفات التي يحلّي بها الله أنبياءه، ليكونوا على تمام
الاستعداد لتلقى وحيه ، فهم معصومون من الأذناس والأرجاس، قبل
النبوة وبعدها

تعبده صلى الله عليه وسلم

لما بلغ عليه السلام ثمانياً وثلاثين سنة كان « صلى الله عليه وسلم »
يرى الضوء والنور ، ويسمع صوت النداء ولا يرى أحداً ، وجب اليه
الخلاء للعبادة والتفكير

فكان صلى الله عليه وسلم معتاداً العبادة، والابتعاد عن الناس ،
وذلك شأن الكرام الذين لا يأنفون إلا ما يناسب كرمهم ، فكان يخلو
بغار (حراء) جبل قريب من مكة فيتعبّد فيه الليالي ذوات العدد ،
فثارة عشر ليال ، وثارة أكثر ، يأخذ لذلك زاده فاذا فرغ رجع الى
بيته فترود لمثلها

وكأن الله سبحانه وتعالى قد ألهمه ذلك لتصفو نفسه، ويتوجه روحه
الشريف الى عالم غير عالم المادة ، ويستعد لما سيكرمه الله به من تلقى
وحيه ، واقتاد خلقه مما كان فيه مثل قومه من الشرور والآثام وعبادة
الأصنام

وفي ذلك يقول البوصيري رحمه الله :

«أَلِفَ النُّسْكِ وَالْعِبَادَةِ وَالْخُلُوعِ طِفْلاً وَهَكَذَا النُّجْبَاءُ»
«وَإِذَا حَلَّتْ الْهَدَايَةُ قَلْباً نَشِطَتْ فِي الْعِبَادَةِ الْأَعْضَاءُ»

١ — تبشير التوراة بمحمد صلى الله عليه وسلم

أنزل الله التوراة على موسى محتوية على الشرائع التي تناسب أهل ذلك الزمن، ونوّه فيها بذكر كثير من الأنبياء الذين علم الله أنه سيرسلهم، فها جاء فيها تبشيراً برسول الله الكريم محمد عليه الصلاة والسلام خطاباً لسيدنا موسى عليه السلام :

« وسوف أقيم لهم نبياً مثلك من بين إخوانهم وأجعل كلامي في فمه، ويكلمهم بكل شيء أمره به: ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم به باسمي فأنا الذي أنتقم منه ، فأما النبي الذي يجترى عليّ بالكبرياء ويتكلم باسمي بما لم أمره به أو باسم آلهة أخرى فليقتل ، وإذا أحببت أن تميز بين النبي الصادق والكاذب فهذه علامتك ، ان ما قاله ذلك النبي باسم الرب ولم يحدث فهو كاذب يريد تعظيم نفسه ولذلك لا تختصاه »

٢ — تبشير الانجيل بمحمد صلى الله عليه وسلم

بشر عيسى عليه السلام قومه في الانجيل (بالفار قليط) ومعناه

قريب من محمد أو أحمد ويصدقه في القرآن قوله تعالى في سورة الصف :
﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ
إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي
مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ وسبق ذكرها في ختام قصة سيدنا عيسى

وقد وصف المسيح عليه السلام هذا (الفار قليط) بأوصاف لا تنطبق
إلا على نبينا عليه الصلاة والسلام فقال : انه يوبخ العالم على خطيئته ،
ويعلمهم جميع الحق ، لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل
ما يسمع ؛ وهذا ماورد في القرآن الكريم في قوله تعالى :
﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ النجم

٢ — الدور الثاني (من النبوة الى الهجرة)

نزول الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم

وبدء النبوة

لما بلغ عليه السلام سن الكمال وهو أربعون سنة أرسله الله للعالمين
بشيراً ونذيراً ليخرجهم من ظلمات الجهالة الى نور العلم والعرفان ، وكان
ذلك في أول فبراير سنة ٦١٠ من ميلاد المسيح عليه السلام كما أوضحه
المرحوم محمود باشا الفلكي ونزل عليه الوحي كما سيأتي :

كيف كان بدء الوحي ؟ (كما ذكر في البخاري)

سأل الحرث بن هشام رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحياناً يأتينى مثل صلصلة

الجرس وهو أشدُّه على فيفصم عنى ، وقد وعيتُ عنه ما قال : وأحياناً

يتمثل لى الملك رجلاً فيكلمنى فأعنى مايقول

قالت عائشة رضى الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي فى اليوم

الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً

وقالت عائشة أم المؤمنين : أول ما بدىء به رسول الله صلى الله

عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا

جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب اليه الخلاء ، وكان يخلو بغار (حراء)

فيتحنّث فيه ، وهو التعبّد الليلى ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله

وكان يتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو

فى غار (حراء)

فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال : ما أنا بقارىء . قال : فأخذنى فغطنى

حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارىء .

فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ . فقلت

ما أنا بقارىء ، فأخذنى فغطني الثالثة ثم أرسلى فقال :

﴿ أَوْفِرْأُ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ (١)

فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على
(خديجة بنت خويلد) رضى الله عنها فقال : زمولنى ، زمولنى ، فزملوه
حتى ذهب عنه الرّوع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على
نفسى . فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل
الرّحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين
على نوائب الحق

فانطلقت به خديجة حتى أتت به (ورقة بن نوفل بن أسد بن
عبد العزى) ابن عم خديجة ، وكان امرأ تنصر فى الجاهلية ، وكان
يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الانجيل بالعبرانية ماشاء الله أن يكتب ،
وكان شيخاً كبيراً قد عمى ، فقالت له خديجة : يا بن عم اسمع من ابن
أخيك ، فقال له ورقة : يا بن أخى ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى

(١) وحدث التاريخ بأن مجىء الملك اليه صلى الله عليه وسلم كان فى يوم الاثنين
لسبع عشرة خلت من رمضان من السنة الحادية والأربعين من مولده ، وكذلك فى
مثل هذا اليوم وقعة بدر وسمى يوم الفرقان ، إقرأ : « وما أنزلنا على عبدنا يوم
الفرقان يوم التقي الجمعان » فأذكر فى التاريخ استنبطه بعض أهل العلم من هذه الآية

الله عليه وسلم خبر مارأى . فقال له ورقة : هذا الناموس (الشريعة)
الذى أنزل الله على موسى ياليتنى فيها جذعاً (شاباً جلدأ) ياليتنى أكون
حيّاً إذ يُخرجك قومك

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مُخرجي هم ؟ قال : نعم .
لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركنى يومك
أنصرك نصراً مؤزراً ، ثم لم ينشب ورقة أن توفي

فترة الوحي

فتر الوحي مدة لم يتفق عليها المؤرخون وأرجح أقوالهم فيها أربعون
يوماً ليستد شوق الرسول للوحي ، وقد كان ، فان الحال اشتدت به عليه
السلام حتى صار كلما أتى ذروة جبل بداله أن يرمى نفسه منها حذراً من
قطيعة الله بعد أن أراه نعمته الكبرى وهي اختياره لأن يكون واسطة
بينه وبين خلقه ، فيتبدى له الملك قائلاً : أنت رسول الله حقاً ليطمئن
خاطره ، ويرجع عما عزم عليه ، حتى أراد الله أن يظهر للوجود نور الدين
فعاد اليه الوحي

عود الوحي

عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال فى حديثه : بينما أنا أمشى إذ
سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصرى فاذا الملك الذى جاءنى بجراء

جالس على كرسي بين السماء والأرض فرُعبتُ منه فرَجَعْتُ قُلْتُ :
زملوني ؛ فأنزل الله تعالى

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ أى حذر الناس من عذاب الله ان
لم يرجعوا عن غيهم وما كان بعد آبائهم ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ أى
لا تشرك مع ربك فى ذلك غيره ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ لتكون مستعداً
للوقوف بين يدى الله ، إذ لا يليق بالمؤمن أن يكون نجساً مستقذراً
﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ أى اهجر أسباب الرجز وهو العذاب بأن تطيع
الله وتنفذ أمره ﴿ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴾ أى لا تهب أحداً هبة وأنت
تطمع أن تستعيض من الموهوب له أكثر مما وهبك ، فهذا ليس من
شأن الكرام ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ أى اصبر على ما سيلحقك من أذى
قومك حينما ندعوهم إلى توحيد الله ، فخمى الوحي وتتابع

الرد على منكر الوحي مناماً

وقد قال المرحوم البوصيرى لمن ينكر الوحي :

«لَا تُنْكِرُوا الْوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاہُ إِنَّ لَهُ
«وَذَاكَ حِينَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ
«تَبَارَكَ اللَّهُ مَا وَحَى بِكَ تَسَبُّ
«وَلَا نَبِيٌّ عَلَى غَيْبٍ بِمَتَّهِمْ
«قَلْبًا إِذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَزَمْ
«فَلَيْسَ يُنْكِرُ فِيهِ حَالٌ مُحْتَلَمٍ

أى لا تنكر أيها المعاند وقوع الوحي اليه صلى الله عليه وسلم في منامه فإنه إذا نامت عيناه فلا ينام قلبه ، كما صح في حديث الصحيحين عنه أنه قال : إن عيني تنامان ولا ينام قلبي

ورؤياه الوحي وقت وصوله الى النبوة ، وذلك على رأس أربعين سنة من مولده صلى الله عليه وسلم ، وهذا الزمان لا تنكر فيه رؤيا محتمل الوحي في قومه

وليس الوحي مكتسباً لنبي من الأنبياء ، وليس نبي بمتهم فيما يخبر به عن غيب ، فان جميع الأنبياء (صلوات الله عليهم) معصومون من الزلل

إثبات الوحي المحمدي

مما يؤيد ويثبت نزول الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم في بدء نبوته ما جاء في القرآن الكريم وهو القول الفصل القطعي الذي لا ينهض لمعارضته أحد ، قوله تعالى :

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ . وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ

لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿الشورى

أى ما كان لانسان أن يكلمه الله كما يكلم بعضكم بعضا بكلام
مسموع من طريق التموجات الهوائية ، بل يكلمه وحيا ، أى من طريق
الوحي ، بأن يلقى فى قلبه ما يشاء القاء اليه ، أو أن يكلمه من وراء حجاب
أو يرسل له ملكا يبلغه مراده ، لأنه متعال عن صفات المخلوقين ، حكيم يفعل
بمقتضى الحكمة ، فيؤدى مراده على أحكم الأساليب ، وكذلك فعلنا
معك يا محمد فأوحينا اليك قرآنا من أمرنا هو بمثابة الروح تحيا به القلوب
ما كنت تدري يا محمد ما الكتاب ؟ وما الايمان ؟ ولكن جعلناه نورا
نهدي به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدي الى طريق قويم ، طريق الله
الذى له كل ما فى الوجود ، يتصرف فيه بما تقتضيه حكمته العالية ثم اليه
ترجع أمور العالم بارتفاع الوسائط والتعلقات

ثم قال فى سورة أخرى :

﴿ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ
فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ
أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَأَذْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ القصص

أى ما كنت ترجو ولا تؤمل يا محمد أن يلقي اليك الكتاب من
وحى ربك فتكون نبياً رسولاً؛ ولكنه ألقى اليك رحمة من ربك وفضلاً
عليك وعلى عباده، فلا تكونن معيناً للكافرين، ولا يمنعك الكفار
يا محمد من تلاوة آيات الله، والعمل بها بعد إذ أنزلت اليك، وادع إلى
عبادة ربك وتوحيده، ولا تكونن من المشركين به

بيان أن الوحي لم يكن قاصراً على محمد، بل كان للأنبياء عامةً

يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد : يا محمد، إنا أوحينا اليك، أى أنزلنا
اليك بالنبوة، كما أوحينا إلى النبيين الذين تقدموك، وهم نوح، وإبراهيم
واسماعيل، وإسحق، ويعقوب، والأسباط، وعيسى، وأيوب، ويونس
وهارون، وسليمان، وآتيننا داود الكتاب (المسمى زبوراً)

وقد أرسلنا إلى الأمم رسلاً آخرين غير من ذكرنا، منهم من أخبرناك
عنهم، ومنهم من لم نخبرك عنهم، وكلم الله موسى تكليماً أى وخاطب
الله موسى بكلامه خطاباً

وجميع هؤلاء الرسل جاءوا مبشرين للذين آمنوا بالله ورسله بالجنة،
ومنذرين للكافرين بالله ورسله بالنار، لئلا يكون للناس على الله حجة
فيقولون : لو كنت أرسلت الينا رسلاً لآمنّا؛ وكان الله عزيزاً حكيماً،
أى لم يزل ذاعرة في انتقامه ممن خالفه وعصاه، حكيماً في تدبير أموره

وذلك قوله تعالى :

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ
وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا
وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ تَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ
وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ
لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾

النساء

الآيات الدالة على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم وإثبات رسالته
ودعوته للناس عامة

إن الأدلة القاطعة، والحجج البالغة، على صدق نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم، وإثبات رسالته، ودعوته عامة للناس، هي واضحة جلية في القرآن
الكريم، وهي كثيرة جداً ويكفي أن نذكر منها بعض الآيات الآتية
مع شرح كل آية منها :

١ - ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ
وَحَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ الأحزاب

يقول الله تعالى ذكره : أيها الناس ، ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكنه رسول الله ، وخاتم النبيين ، الذي ختم النبوة به ، فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة ، وكان الله بكل شيء من أعمالكم ذا علم لا يخفى عليه شيء منها

٢ - ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ سبأ

يقول الله تعالى ذكره : وما أرسلناك يا محمد إلى هؤلاء المشركين بالله من قومك (قريش) خاصة ؛ ولكننا أرسلناك للناس عامة ، العرب منهم والعجم ، والأحر والأحرار ، بشيراً تبشر بالثواب وحسن الجزاء من أطاعك ، ونذيراً تنذر بالعقاب وسوء العذاب من كذبتك ؛ ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الله أرسلك كذلك إلى جميع البشر

٣ - ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا تَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَزَّزُوا وَتُؤَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ الفتح

يقول الله تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : إنا أرسلناك يا محمد شاهداً على أمتك بما أجابوك ، فيما دعوتهم إليه مما أرسلتك به إليهم من شريعة ، ومبشر آلهم بالجنة إذا أجابوك إلى ما دعوتهم

إليه من الدين القيم ، ونذيراً لهم تنذره بعذاب الله إن هم أعرضوا وتولوا عما جئتم به من عند ربك ؛ وأنتم أيها الناس قد أرسلنا إليكم هذا الرسول الكريم لتؤمنوا بالله ورسوله ، ولتطيعوا الله ، وتوقروه وتعظموه وتصلوا له بالغدوات والعشيات ، أى فى الصباح والمساء

٤ - ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ الأحزاب

يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد إنا أرسلناك شاهداً على أمتك ، ببلاغك إياهم ما أرسلناك به من الشريعة والدين ، ومبشراً لهم بالجنة إن هم صدقوك وعملوا بما جئتهم به من عند ربك ، ونذيراً لهم بالنار أن يدخلوها فيعذبوا بها إن هم كذبوك وخالفوا ما جئتهم به من عند الله ، وداعياً إلى توحيد الله ، وإقرار الألوهية له ، وإخلاص الطاعة لوجهه ، دون كل من سواه من الآلهة والأوثان ، كل ذلك بأمره إياك ، وسراجاً منيراً ، وضياء خلقه يستضيئون بالنور الذى آتيتهم به من عند الله

و بشر يا محمد أهل الإيمان بالله بأن لهم من الله ثواباً عظيماً وفضلاً

كبيراً على طاعتهم إياه، ولا تطع قول كافر ولا منافق، قسمع منه دعاءه
إياك إلى التقصير في تبليغ رسالات الله إلى من أرسلك بها إليه من خلقه،
وأعرض عن أذاهم لك، واصبر عليه، ولا يمنعك ذلك عن القيام بأمر الله
في عبادته، والتعود لما كلفك به، وفوض إلى الله أمورك، وثق بأنه يكفيك
جميع من دونه، حتى يأتيك أمره وقضاؤه، وحسبك بالله وكيلاً وقيماً
بأمورك، وحافظاً لك من أذى أعدائك

هـ - ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى
الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ
عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ
اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي
التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ
فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الفتح
يقول الله تعالى ذكره : هو الذي أرسل رسوله محمداً صلى الله عليه
وسلم بالبيان الواضح، ودين الحق، وهو الاسلام الذي أرسله داعياً خلقه
إليه ليظهره على سائر الأديان، ليبطل به الملل كلها، حتى لا يكون دين
سواه، وذلك كان كذلك حتى ينزل عيسى بن مريم ليقتل المسيح

الدجال، فينثذ يبطل الأديان كلها، غير دين الله الذي بعث به محمداً صلى الله عليه وسلم، ويظهر الاسلام على الأديان كلها، وأشهدك يا محمد على ذلك وحسبك بالله شاهداً

ويقول الله تعالى ذكره: محمد صلى الله عليه وسلم واتباعه من أصحابه الذين هم معه على دينه أشداء على الكفار، غليظة عليهم قلوبهم، قليلة بهم رحمتهم، رفيقة قلوبهم بعضهم لبعض، لينة أنفسهم، هينة عليهم، تراهم ركعاً أحياناً لله في صلاتهم، سجداً أحياناً، يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، فيدخلهم جنته، وعلامتهم في وجوههم من أثر السجود في صلاتهم

وهذه الصفة التي وصف بها أتباع محمد صلى الله عليه وسلم الذين معه، وهي أيضاً صفتهم في التوراة وفي الانجيل، صفة زرع أخرج نباته ثم يكثرون وينمو، فهم كذلك حينما دخلوا في الإسلام كانوا قليلى العدد، ثم أخذوا يتزايدون، ويدخلون في دين الله أفواجا، جماعة بعد جماعة، حتى كثر عددهم، ليغيب الله بهم الكفار، كما أن الزرع يبتدىء قليلاً ضعيفاً ثم يقوى ويفلظ، ويستقيم في عوده، فيعجب الزارع وهذا مثل ضربه الله لمحمد صلى الله عليه وسلم فيه يقول:

بعث النبي صلى الله عليه وسلم وحده، ثم اجتمع إليه ناس قليلون يؤمنون به، ثم يكون القليل بعد ذلك كثيراً، ويستغلظون ليغيب بهم الكفار

وقد وعد الله الذين آمنوا ، وصدقوا الله ورسوله ، وعملوا بما أمرهم به الله من فرائضه التي أوجبها عليهم ، عفواً ومغفرة عما مضى من سالف ذنوبهم ، وسى أعمالهم ، ووعدهم ثواباً جزيلاً ، وذلك هو الجنة

الأمر بتبليغ الرسالة واتباع كتاب الله

أمر الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأبلاغ قومه واليهود والنصارى من أهل الكتاب ما أنزل إليه من ربه قائلًا له : يا محمد بلغ ما أنزل إليك من ربك ، فإن تركت ذلك ولم تفعل وكتمت شيئاً من الرسالة كنت كائنك لم تبلغها

ثم آمنه وطمأنه على حياته وقال له : لا تخف على حياتك من مواجهة هؤلاء القوم بما ينكرونه ، فإن الله حافظك وعاصمك من إيذائهم ، وإن الله لا يوفق للرشد من حاد عن طريق الحق ، وجحد ما جئته به من عند الله ، ولم ينته إلى أمر الله وطاعته ، وذلك قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ المائدة

ثم قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واتبع يا محمد ما أنزل

إليك من كتاب ربك ، واستمر على تلاوته ، واتباع ما فيه من أمر الله ونهيه ، والعمل بحلاله وترك حرامه ، واعلم بأنه لا مغير ولا مبدل لكلماته التي أنزلها عليك ، وأنت يا محمد لن تجد من دون الله ملجأ؛ لأن قدرة الله محيطه بك ، وبجميع خلقه ، لا يقدر أحد على الهرب من أمر ربه وذلك قوله تعالى :

﴿ وَأَنْزَلُ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ الكهف

ثم أمره بالتقوى والطاعة ، بأداء فرائضه وواجب حقوقه ، والابتغاء عن محارمه ، وعدم مجاوزة حدوده ، وعدم إطاعة الكافرين والمنافقين الذين يظهرون الإيمان بالله وهم أشد أعداء الله ، وأعداء رسوله ، والله عليم بما تكنه نفوسهم ، وما تنطوى عليه أخلاقهم ، حكيم في تدبير أمره على جميع خلقه

كما أنه أمره باتباع ما أوحاه إليه من القرآن ، والعمل بما فيه من الأوامر والنواهي ، والله خبير بأمور عباده لا يخفى عليه شيء منها ، وهو مجازيهم عليها بما وعدهم من الثواب والعقاب ؛ وذلك قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ أَتَقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا وَاتَّبِعْ مَا وَحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ

كَانَ يَمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٠٠﴾ الأَحْزَابُ

قيامه بتبليغ الرسالة والدعوة

قام عليه الصلاة والسلام بأعباء الرسالة والتبليغ إمثالاً لأمر ربه يدعو الناس إلى عبادة الله وتوحيده ، وترك عبادة الأصنام ، وحيداً فريداً ، لا جند ينصره ، ولا معين يؤازره ، وما هو إلا وحى الله تعالى يُمِدُّهُ ، وتوفيقه يسدده ، وعنايته تؤيده ، والحال أن في أهل الكفر قوة تامة ، وتعبصاً عليه ، وامتناعاً عن اتباعه ، ومع ذلك كان لا يخاف في الله لومة لائم ، وفي ذلك يقول البوصيري رحمه الله :

« ثم قام النبيُّ يدعو الى الله وفي الكفر نجدة وإبائه »

« أمماً أُشْرِبَتْ قُلُوبُهُمُ الْكُفْرَ فداء الضلال فيهم عيائه »

أى أخذ عليه السلام يدعو أقواماً تمكن من قلوبهم حب الكفر ، حتى صاروا لا يقبلون غيره ، فصاروا كالداء العضال الذي لا يرجى شفاؤه ، أخذ يدعو أقواماً فيهم جفاء وغلظة ، اتبعوا ما كان عليه آبائهم من عبادة الأوثان ، وامتنعوا عن عبادة الرحمن

الدعوة سرّاً ، وأول من أسلم

قام عليه الصلاة والسلام في أول أمره يدعو الناس سرّاً حذراً

من مفاجأة العرب بأمر شديد كهذا فيصعب استسلامهم اليه فأخذ يدعو الى عبادة ربه ، ويرشدهم الى النور الذي جاء به ، وترك عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر ، وترك المعاصي التي كانوا يفعلونها من شرب الخمر ، وقتل الأولاد ، والكذب والخيانة ، وغير ذلك من الأخلاق الذميمة التي تسبب الخلاف والنفور والحروب ، فأجاب دعوته ذوو العقول السليمة منهم وبادروا بتصديقه

وكان أول من سطع نور الاسلام على قلبه (السيدة خديجة بنت خويلد) زوجة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وعلى بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ونفر ممن كانوا يحبون الحق ولم يداخلهم الحقد والحسد ، ولم يصددهم عناد ولا استكبار كزيد بن حارثة وغيره من السابقين الأولين

فكان أبو بكر الصديق صديق الرسول ، يدعو الاسلام من يثق به من رجال قریش ، فأجابه جمع منهم : عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو عبيدة ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو ذر الغفارى ، وغيرهم من أشرف قریش . ولم يكن مع رسول الله سيف يضرب به أعناقهم حتى يطيعوه صاغرين ، وليس معه ما يرغب فيه حتى يترك هؤلاء العطاء آبائهم ، وذوى الثروة منهم ، ويتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولسان حالهم يقول

ماقاله البوصيرى رحمه الله فى قصيدته :
« وَرَأَيْنَا آيَاتِهِ فَاهْتَدَيْنَا وَإِذَا الْحَقُّ جَاءَ زَالَ الْمِرَاءُ »

الدعوة جهراً

وبعد ثلاث سنين من رسالته عليه الصلاة والسلام أمره الله سبحانه وتعالى أن يجهر بالدعوة ، فأنزل عليه قوله تعالى :

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ الحجر

أى بلغ يا محمد قومك ما أرسلت به ، وكف عن حرب المشركين بالله وقتالهم ، وذلك كان قبل أن يفرض الله عليه جهادهم ومحاربتهم ، ثم نسخ فيما بعد بقوله تعالى :

﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ التوبة

فصدع عليه الصلاة والسلام بالأمر ، وبدل الدعوة سرّاً بالدعوة جهراً ، ممثلاً أمر ربه واثقاً بوعده ونصره ، فصعد على جبل الصفا ، وجعل ينادى : يا بنى فهر ، يا بنى عدى ، لبطون قريش ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر الخبر ، فجاء أبو لهب بن عبد المطلب وقريش ؛ فقال عليه الصلاة والسلام :

« أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِى تَرِيدُ أَنْ تَغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِينَ ؟ »

قالوا : نعم ما جربنا عليك كذبا

قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد

فقال أبو لهب : تباً لك ألهذا اجتمعنا ؟ فأنزل الله في شأنه :

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَىٰ

نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾

المسد

ثم نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى :

﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ الشعراء

أي أنذر يا محمد عشيرتك من قومك الأقربين اليك وحذرهم من

عذاب الله

فلما نزلت هذه الآية قام رسول الله صلى الله عليه وسلم (بالأبطح)

وقال : يا بني عبد المطلب ، يا بني عبد مناف ، يا بني قصي ، ثم أخذ

يدعو قريشا قبيلة قبيلة حتى أتى على آخرهم وقال لهم :

إني أدعوكم الى الله ، وأنذركم عذابه

ولما بدأ بأهل بيته وعشيرته ، شقَّ ذلك على المسلمين ، فأنزل

الله تعالى عليه :

﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الشعراء

أى أُنْ جانِبِك وكلامك لمن اتبعك من المؤمنين
ثم أنزل عليه قوله تعالى :

﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ
الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ الشعراء

أى إن عصيتك يا محمد عشيرتك الأقربون الذين أمرتك بانذارهم
وأبوا إلا الإقامة على عبادة الأوثان ، والإشراك بالرحيم الرحمن ، فقل
لهم : إني بَرِيء مما تعملون من عبادة الأصنام ، ومعصية بارئ الأنام ،
وتوكل على الله العزيز فى نعمته من أعدائه ، الرحيم بمن أناب إليه
وتاب عن معاصيه ، الذى يراك حين تقوم الى صلاتك تركع وتسجد ،
وإنه سميع لتلاوتك ، وذكرك فى صلاتك ، عليم بما تعمل فيها

فجمعهم عليه السلام وقال لهم : إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو
كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم ،
والله الذى لا إله إلا هو إني لرسول الله اليكم خاصة ، وإلى الناس كافة ،
والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن كما تعملون ،
ولتجزون بالاحسان إحساناً ، وبالسوء سوءاً ، وانها الجنة أبداً أو النار
أبداً . فتكلم القوم كلاماً لنا غير عمه أبى لهب الذى كان خصماً لدوداً

فانه قال: خذوا على يديه قبل أن تجتمع العرب، فان أسلمتموه إذا ذلتم وإن منعتوه قتلتم؛ فقال أبو طالب: والله لمنعه مابقينا، ثم انصرف الجمع

ثم نزل عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾
يوسف

يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد هذه الدعوة التي أدعو اليها، والطريقة المثلى التي أنا عليها من الدعاء الى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان، والانتهاى الى طاعته وترك معصيته، هي سبيلي، وطريقتي، ودعوتي، أدعو الى الله وحده لا شريك له، وأنا على بصيرة ونور من ذلك، ويقين وعلم منى به، أنا ومن صدقنى وآمن بى

وقل - تنزيهاً لله وتعظيماً له - : حاشا أن يكون له شريك فى ملكه، أو معبود سواه فى سلطانه، وأنا برىء من أهل الشرك ولست منهم وليسوا هم منى

دعوته صلى الله عليه وسلم سَامِيَّةٌ

أساسها الدليل والبرهان

كانت دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام الى الدين سلمية أساسها الدليل والبرهان وصحة ما يدعوا اليه لقوله تعالى :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآ مَنَ مِّنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ يونس

يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولو شاء ربك يا محمد لجعل الناس جميعاً مؤمنين ، فيصدقون أنك لى رسول وأن ما جئتكم به ، وما تدعوهم اليه من توحيد الله واخلاص العبودية له حق ؛ ولكن لا يشاء ذلك ؛ لأنه قد سبق فى قضاء الله قبل أن يبعثك رسولا أنه لا يؤمن بك ولا يتبعك فيصدقك بما بعثك الله به من الهدى والنور إلاً من سبقت له السعادة فى الكتاب الأول قبل أن يخلق السموات والأرض وما فيهن

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص على أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى أخبره الله تعالى أنه لا يؤمن من قومه إلاً من قد سبق له من الله السعادة فى الكتاب الأول، ولا يضل إلاً من سبق له من الله الشقاء ؛ ثم يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم :

أنه لن يؤمن بك، ويصدقك يا محمد، ولن يتبعك ويقر بما جئت به، إلا من شاء ربك أن يصدقك، لا باكراهك إياه، ولا بحرصك على ذلك . أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين بك ، مصدقين بما جئتهم به من عند ربك ؟

ولذا قال الله تعالى له في تبليغ الرسالة : ﴿ فَأُصَدِّعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأُعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ الحجر

ثم قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ يونس

يقول الله تعالى لنبيه : وما كان لنفس خالقها من سبيل الى تصديقك يا محمد، إلا بان آذن لها في ذلك ، فلا تجهدن نفسك في طلب هداها وبلغها وعيد الله، وعرفها ما أمرك ربك أن تعرفها ، ثم خلها فان هداها بيد خالقها ، ويجعل الرجس (وهو العذاب وغضب الله) على الذين لا يعقلون حجج الله، ومواعظه وآياته ، التي دل بها جل ثناؤه على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وحقيقة مادعاهم اليه من توحيد الله وترك عبادة الأصنام والأوثان

ثم قال الله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ البقرة

نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار من بنى سالم بن عوف
يقال له الحصين ، كان له ابنان نصرانيان ، وكان هو رجلاً مسلماً ،
فقال للنبي صلى الله عليه وسلم : ألا أستكرهما فانهما قد أيا إلا النصرانية
فأنزل الله فيه هذه الآية

والمعنى - بما أنه قد وضع الحق من الباطل ، واستبان لطالب الحق
والرشاد وجه مطلبه ، فتميز من الضلالة والغواية ، فلا تكررهما من أهل
الكتابين ، ومن أبحث لكم أخذ الجزية منه على دينكم ، دين الحق ،
فإن حاد عن الرشاد بعد استباته له ، فإلى ربه أمره وهو ولي عقوبته
في معاده ، ثم قال الله تعالى :

﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ
الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا ﴾ البقرة

المعنى - من يمجّد ربوبية كل معبود من دون الله فيكفر
بالطاغوت (كل ذى طغيان على الله يعبد من دونه) ويؤمن ويصدق
بالله أنه إلهه وربّه ومعبوده فقد تمسك بأوثق ما يمسك به من طلب
الخلاص لنفسه من عذاب الله وعقابه

معارضة العرب لقبول دعوته ومعاداتهم له وحقدهم عليه

لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة كما أمره ربه سخرت منه قريش ، واستهزأوا به في مجالسهم ، فكان إذا مرَّ عليهم يقولون : هذا ابن أبي كبشة يكلم من السماء ، وهذا غلام عبد المطلب يكلم من السماء ، لا يزيدون على ذلك

فلما عاب آلهتهم ، وسفه عقولهم ، وقال لهم : يا قوم لقد خالفتم دين أبيكم إبراهيم ، ثارت في نفوسهم حمية الجاهلية ، غيرة على تلك الآلهة التي كان يعبدونها آبائهم ، فذهبوا إلى عمه (أبي طالب) سيد بني هاشم الذي أخذ على نفسه حمايته من أيدي أعدائه ، فطلبوا منه أن يخلى بينهم وبينه ، أو يكفه عما يقول ، فردَّهم ردًّا جميلاً ، فانصرفوا عنه . ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يريد من الدعوة ، لا يصدده عن مراده شيء ، فتزايد الأمر ، وأضمرت قريش الحقد والعداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحثَّ بعضهم بعضاً على ذلك ، ثم توجهوا إلى أبي طالب مرة أخرى وقالوا له :

إن لك سنًا وشرقًا ومنزلة منا ، وإنا قد طلبنا منك أن تنهى ابن أخيك فلم ينته ، وإنا لا نصبر على هذا ، من شتم آبائنا ، وتسفيه عقولنا ، وعيب آلهتنا

وكان عليه الصلاة والسلام اذا احتجوا بالتقليد فى استمرارهم على عدم اتباع الحق ، ذمهم لعدم استعمال عقولهم فيما خلقت له ، وذكر لهم قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفِينَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾

البقرة

وقول الله تعالى أيضاً :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ المائدة

وقوله تعالى أيضاً :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ لقمان

وقوله تعالى فى بيان حجتهم الداحضة :

﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾

الزخرف

ولما شبههم بمن قبلهم من الأمم في هذه الأقوال والمعارضة الدالة
عل التعصب والعناد تلا عليهم قوله تعالى :

﴿ قَالَ أُولَؤْ هَئِئْتُمْ بِآهْدَىٰ يَمَا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءُكُمْ قَالُوا
إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ الزخرف

فلما تمسكوا بحجة التقليد لآبائهم جرّ ذلك الى وصف آبائهم بعدم
العقل ، وعدم الهداية ، فهاج ذلك غضبهم وزاد في أضعافهم ، وقالوا
لأبي طالب : إما أن تكفه ، أو ننازله القتال وإياك في ذلك حتى
يهلك أحد الفريقين ؛ ثم انصرفوا

فعظم على أبي طالب فراق قومه ، ولم يطب نفساً بخذلان ابن أخيه
فقال له : يا ابن أخى ، إن القوم جاءونى فقالوا كذا ، فأبق على نفسك ،
ولا تحملى من الأمر مالا أطيق
فظن الرسول أن عمه خاذله فقال :

« والله ياعم لو وضعوا الشمس في يمينى ، والقمر في يسارى ، على أن
أترك هذا الأمر ما فعلت ، حتى يظهره الله أو أهلك دونه »

ثم بكى وولى ، فقال أبو طالب : يا ابن أخى ، فأقبل عليه
فقال : إذهب فقل ما أحيت ، والله لأأسلمك .

ثم أخذ الكافرون يدعون الدعوات الباطلة ويعارضونه فيما جاء به

ويقول الله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ
 افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا وَقَالُوا
 أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي
 يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ الفرقان
 أى وقال الكافرون : إن هذا القرآن اختلاق افتراه محمد ، وأعانه
 عليه اليهود أو غيرهم ، بقراءتهم عليه ماسطره الأقدمون صباحًا ومساءً ،
 وهو ينقلها بلسانه ، ويكسبها الطلاوة ببيانه ، فما أجهل هؤلاء الكفار !
 لقد ارتكبوا بقولهم هذا ظلمًا وزورًا

فقل لهم يا محمد : قد أنزل القرآن عالم الخفيات في السموات والأرض
 إنه كان غفوراً رحيمًا ، فلذلك لم يعجل لكم العقوبة على ما تقولون
 ويقول الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ
 وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ
 يُنْفِثُ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ
 إِنَّ تَنْبِئُوهُمْ إِلَّا رَجُلًا مَسْجُورًا ﴾ الفرقان

أى قالوا : ما لهذا الرسول يأكل كما نأكل ، ويمشي في الأسواق ؟
 هلا أنزل اليه ملك يعينه على مهمته ، أو يعطى له كنز فينفق منه على

سعة ، أو تكون له جنة يأكل منها بلا كد ولا نصب ؟
وقال هؤلاء الكفار الظالمون : ماتبعون إلا رجلاً اختل عقله
بسبب سحر أصابه

ويقول الله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ
وَالْفَوَ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تُغْلِبُونَ فَلَنذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ فصلت

أى وقال الذين كفروا بالله ورسوله من مشركى قريش : لا تسمعوا
لهذا القرآن ، ولا تصغوا له ، ولا تتبعوا ما فيه ، والغطوا بالباطل من القول
إذا سمعتم قارئه ، واجحدوا به وانكروه ، وتحدثوا وصيحوكم لا تسمعوا
لعلكم بفعلكم ذلك تصدون من أراد استماعه عن استماعه فلا يسمعه ،
وإذا لم يسمعه ولم يفهمه لم يتبعه ، فتغلبون بفعلكم هذا محمداً

ثم قال الله جل ثناؤه : « فلنذيقن الذين كفروا » بالله من مشركى
قريش الذين قالوا هذا القول « عذاباً شديداً » فى الآخرة ، ولنجزينهم على
فعلهم هذا وغيره من أفعالهم بأقبح جزاء نظير أعمالهم التى عملوها فى الدنيا
ويقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ
وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ
تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فصلت

أى يقول الذين جحدوا بهذا القرآن وكذبوا به لما جاءهم : إن هذا القرآن لكتاب عزيز باعزاز الله ، وحفظه من كل من أراد له تبديلاً أو تحريفاً أو تغييراً من إنس و جن و شيطان مارد ، فانه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، أى ان الشيطان لا يستطيع أن ينقص منه حقاً ، ولا يزيد فيه باطلاً ، ولا يستطيع ذو باطل بكيدته تغيير أو تبديل شئ من معانيه عما هو به ، فهو تنزيل من عند الحكيم ذى الحكمة بتدبير عباده ، وصرفهم فيما فيه مصالحهم ، المحمود على نعمه عليهم

مجادلة العرب ومحاجتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم

لما قام محمد صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى عبادة الله وتوحيده و ينهاهم عن عوائد وأخلاق قبيحة مضرّة بمصالحهم ، ورثوها عن آبائهم أوزينها لهم الشيطان ، وأقبح منها عادة عبادة الأوثان والنيران والأحجار والأشجار ، وأمرهم بتوحيد الله ، واعتقاد اتصافه بصفات الكمال ، وتنزهه عن صفات النقص

فعندما سمع منه العرب هذه الدعوى العظيمة نفروا من قبول دعوته ، وعادوه أشد المعاداة ، وهجره منهم الأهل والخلان ، وكذبه الشيوخ والشبان ؛ ثم أخذوا فى مجادلته ومحاولته ، وجرّهم ذلك الى طلب

الحجة منه ، وصار كل منهم يطلب برهاناً على صدق دعواه ، ويحتج
في التعجيز له في كل ما يراه ، وهو صلى الله عليه وسلم يقيم لهم الأدلة
الصادقة ، والحجج القوية ، ويجيب على مقترحات كل سائل

ومن أعظم الحجج التي استند عليها في إثبات دعواه ، وجعل
معظم اعتماده عليها ، ما تلاه عليهم من كتاب الله العزيز ، المشتمل على
التصريح بأنه رسول الله تعالى حقاً الى الناس كافة ، وأنه صادق في كل
ما يبلغ عنه ، وهو متكفل ببيان الشريعة التي شرعها الله تعالى لهم ؛
فأخذ يتلو عليهم قوله تعالى :

﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ
إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ الأحقاف

أى قل لهم يا محمد : ما كنت بدعاً من الرسل ، أى لست أنا أول
رسول في العالم ، أو لم يسبقني غيري من الرسل حتى تستغربوا رسالتي ؟
ولست أدري ماذا يفعل الله بي وبكم ، وما أتبع إلا ما يوحى إلي من
ربي ، وما أنا إلا منذر لكم ، أخوفكم من تماديكم في ضلالكم بلسان
عربي مبين ، ثم تلا عليهم قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ
أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ

مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ
يَقْضُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿١﴾ الْأَنْعَامُ

يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد
لهؤلاء المشركين بربهم من قومك، إن الله نهاني أن أعبد الذين تدعون
من دونه، فلن أتبعكم على ما تدعونني اليه من ذلك ، ولا أوافقكم عليه،
ولا أعطيكم محبتكم وهوأكم فيه ، فان فعلت ذلك فقد تركت محبة
الحق، وسلكت على غير هدى ، ولصرت ضالاً مثلكم على غير استقامة
وقل لهم أيضا يا محمد : إني على ثقة من ربي ، وعلى بيان وبرهان ،
قد وضح لي من ربي من توحيده، وما أنا عليه من إخلاص في عبوديته ،
من غير إشراك شيء به ؛ أما أنتم فقد كفرتم بربكم ، وليس عندي
ما تستعجلون به من نعم الله وعذابه ، ولست بقادر على ذلك، وان
الذي يقضى الحق فيكم ، ويفصل بيني وبينكم، هو الله الذي يبين المحق
من المبطل ، وهو خير الحاكمين ، الفاصلين بين الحق والباطل
ثم تلا عليهم قوله تعالى :

﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا
أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي
الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ الْأَنْعَامُ

يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء الجاحدين بنبوتك ، المعاندين لدعوتك : لست أقول لكم إني أنا الرب الذي له خزائن السموات والأرض ، وإنى أعلم الأشياء الخفية التي لا يعلمها إلاّ علام الغيوب ، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، فتكذبونني فيما أقول من ذلك ؛ لأنه لا ينبغي أن يكون ربّاً إلاّ من له ملك كل شيء ، ويده كل شيء ، ولا يخفى عليه شيء ، وذلك هو الله الذي لا إله غيره

وإني لا أقول لكم إني ملك ؛ لأنه لا ينبغي لملك أن يكون ظاهراً بصورته لأبصار البشر في الدنيا ، فتبصروا فيما أقول لكم من ذلك وما أنا إلاّ بشر ، أتبع فيما أقوله لكم وأدعوكم إليه وحى الله الذي يوحى إلىّ ، وتنزله الذي ينزله علىّ ، فأمضى لوحيه ، وأمر بأمره ، وقد أتيتكم بالحجج القاطعة من الله على صحة قولي

وهل يستوى الأعمى عن الحق والبصير به ؟ (والأعمى هو الكافر الذي قد عمى عن حجج الله فلا يتبعها ، والبصير المؤمن الذي قد أبصر آيات الله وحججه فاقتدى بها واستضاء بنورها)

أفلا تتفكرون أيها القوم فيما أحتج به عليكم من هذه الحجج ؟ فتعلموا صحة ما أقوله لكم ، وأدعوكم إليه من فساد ما أتم عليه من الكفر ، واتباعكم ما كان عليه آبائكم الأولون

فلم يعباوا بقوله، ولم يصبخوا لدعوته، وقالوا: إنها نزعاة من نزعات الجنون،
فرد الله عليهم بقوله :

﴿ نَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ
لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ
بِآيَاتِكُمُ الْمَفْتُونُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ
أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ ن

يقسم الله تعالى بالقلم الذى خلقه، فأمره فجرى بكتابة جميع ما هو كائن
الى يوم القيامة ، وهو أول ما خلق الله تعالى لكتابة القضاء والقدر ،
ويقسم بما يسطرون ، أى بالكتاب الكريم (القرآن) بأنك يا محمد
ما أنت بنعمة ربك بمجنون ، مكذباً بذلك مشركى قريش الذين قالوا
له إنك لمجنون ، ويقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإن
لك يا محمد لأجراً غير ممنون ، أى إن لك ثواباً من الله عظيماً على صبرك
على أذى المشركين إياك، غير منقوص ولا مقطوع ، وإنك يا محمد لعلی
أدب راق، وذلك أدب القرآن الذى أدبك الله به ، وهو الاسلام
وشرائعه ، وسأترى يا محمد، ويرى مشركو قومك الذين يصفونك
بالمجنون، أيكم المجنون؟ فإن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله كضلال
كفار قريش عن دين الله وطريق الهدى ، وهو أعلم بمن اهتدى فاتبع

طريق الحق والهدى كما اهتديت أنت يا محمد فاتبعت الحق

الاحتجاج على المشركين

وتحدى رسول الله صلى الله عليه وسلم العرب بالقرآن

نزل القرآن الكريم تأييداً لدعوته ، وشاهداً بصدق رسالته ، كما مرَّ ذكره ، فلما رأى شدة العناء والمجادلة من العرب ، وكان فيهم الخطباء والشعراء يعقدون للقول المجامع ، ويقيمون الأسواق فيفاخرون ويناضلون ، وكانوا ذوى ألفة وغيرة واستكبار ، يأبون الضيم ، وينفرون من الصغار ، وكانوا يحرسون كل الحرص على التغلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وابطال دعواه ، ومع ذلك دعاهم بأمر الله تعالى الى المعارضة ، وأغراهم بالمناهضة ، فتلا عليهم قول الله تعالى :

﴿ وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ البقرة

هذا احتجاج من الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على

مشركى قومه من العرب ومتأفقيهم ، وكفار أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، فيقول الله تعالى لهؤلاء المشركين : إن كنتم أيها المشركون من العرب والكفار من أهل الكتاب فى شك مما نزلنا على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم من النور والبرهان وآيات الفرقان إنه من عندى ، وإنى أنا الذى أنزلته اليه فلم تؤمنوا به ، ولم تصدقوه فيما يقول ، فأتوا بحجة تدفع حجته ، وأتوا بسورة من مثله ، يعنى من مثل هذا القرآن حقاً وصدقاً ، لا باطل فيه ولا كذب ، من كلامكم أيها العرب كما أتى به محمد صلى الله عليه وسلم بلغتمكم ، وادعوا أعوانكم على ما أنتم عليه ، إن كنتم صادقين فى زعمكم ، فإن لم تأتوا بسورة من مثله ، ولن تقدروا على الاتيان بها ، فاتقوا عذاب النار بتكذيبكم رسولى بما جاءكم به من عندى ، تلك النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر

ولقد كان لهم أن يجمعوا من البلغاء والفصحاء من شاءوا كما كانوا يجتمعون للمباهاة والمباراة بالقول ، فيأتوا بشيء من مثل ما أتى به محمد صلى الله عليه وسلم ليبطلوا حجته ، وليبرئوا أنفسهم من عار الغاب ويصونوا دماءهم التى سفكها عنادهم واستكبارهم لو كانوا يستطيعون ثم لما قالوا : إن محمداً صلى الله عليه وسلم افترى هذا القرآن ، أمر الله محمداً أن يقول لهم :

« إن كنت افتريته وتخرجه على الله كذباً، فلا تقدروا أن تدفعوا
عني إن عاقبني الله على افترائي إياه ، وربي أعلم بما تقولون بينكم في هذا
القرآن ، وكفى بالله شهيداً علىّ وعليكم ، بما تقولون من تكذيبكم لي فيما
جئتمكم به من عند الله ، الذي يغفر الذنب لمن تاب ، ويرحم من أناب
وفي ذلك قوله تعالى :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ
شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ الأحقاف

ثم خاطب العرب الذين قالوا إن محمداً صلى الله عليه وسلم افترى
هذا القرآن ، فقال تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ
تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ
الْعَالَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ
أَسْطَظَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ يونس

أى ان هذا القرآن ليس مما يمكن أن يفترى افتراء من الخلق ،
ولكن الله أنزله تصديقاً لما تقدم من الكتب ، وتفصيلاً لما تقرر
من العقائد والأحكام ، لاشك فيه أنه تنزيل من رب العالمين

ويقول لهم الله : إن صح زعمكم إن هذا الكتاب مما يمكن
افتراؤه ، فأتوا بسورة مثله ، واستعينوا بكل من تشاءون من أهل
الفصاحة والحكمة إن كنتم صادقين في زعمكم

عجز العرب عن معارضة القرآن

لم يستطع أحد من العرب الاتيان بسورة من مثله ، فتحقق عندهم
عجزهم عن معارضته ولو بأقصر سورة منه ، فأقروا بعجزهم بلسان
الحال ، بل بعجز الإنس والجن ، وبأن ذلك دليل واضح على أنه من
عند الله ، أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم معجزة له تدل على تصديقه
وذلك قوله تعالى :

﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا
الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ الاسراء
يقول الله تعالى ذكره : قل يا محمد للذين قالوا انك تأتي بمثل هذا
القرآن : لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لا يأتون أبداً بمثله
ولو كان بعضهم لبعض عوناً وظهيراً ؛ لأن ذلك يعجزهم فلا يقدر
عليه ، وقال تعالى :

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

الحشر

يقول الله جل ثناؤه : لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيتَه خاشعاً متذللاً متصدعاً من خشية الله على قسوته ، حذراً من ألاَّ يؤدى حق الله المقترض عليه فى تعظيم القرآن

وقد أنزل على ابن آدم وهو بحقه مستخف ، وعنه وعما فيه من العبر والذكر معرض ، كأن لم يسمعها ، وكأن فى أذنيه قرأ

ويضرب الله هذا مثلاً من الأمثال للناس ، ليعرفهم أن الجبال أشد تعظيماً لحقه منهم ، مع صلابتها وقسوتها ، ليتفكروا فيها فينقادوا للحق فعند ذلك صدقوا جميعاً دعوى محمد عليه السلام بإرساله ، واتبعوه فيما جاء به من عند الله ، وفى ذلك يقول البوصيرى رحمه الله فى قصيدته :

«وتحمدى فارتاب كل مُريب أو يبق مع السيول الغشاء»

«وهو يدعو إلى الإله وإن شقَّ عليه كفرٌ به وازدراء»

«ويدلُّ الورى على الله بالتو حيد وهو المحجة البيضاء»

أى أنه عليه السلام طلب من كفار مكة أن يعارضوا ما جاء به شاهداً على نبوته وصدقه بابداء نظيره ، وإلاَّ كانوا كاذبين مدحوظين
(م - ١٥ - نى)

فمجزوا عن المعارضة وانقطعوا
تخدام وهو لا ينفي في الدعاء إلى الإله المعبود بحق ، وإن شق عليه
الكفر بالله ، والاستخفاف به ، ويدل الخلق على العلم بذاته وأسمائه
وصفاته ، ويحملهم على الإقرار بوحدانيته وهو الطريق النيرة المضئية
التي لا يضل سالكها أبداً

الأذى

« مَا لَقِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَذَى فِي سَبِيلِ نَشْرِ الدَّعْوَةِ »

لما رأى الكفار أن المسلمين يزداد عددهم كل يوم أخذوا يسيئون
إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ويسلطون عليه الأشرار منهم لاهاته
وإيذائه هو ومن آمن معه حتى أصابهم من ذلك شيء كثير فمن ذلك :
١ - أن أحد كفار قريش وعظماهم واسمه (أبو جهل) أخذ مرة
حجراً كبيراً ليلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقتله ، فترقبه
حتى دخل المسجد وشرع في الصلاة ، فلما سجد هم أبو جهل بإلقاء الحجر
عليه ، فأنزل الله الرعب والخوف في قلب أبي جهل ، فرجع مضطرباً متع
اللون والتي الحجر من يده

٢ - أمر أبو جهل رجلاً أن يحضر فرث جزور (ما يخرج من بطن
الجل إذا ذبح) فأحضره فألقاه على النبي وهو ساجد ، فلم يجسر أحد
من المسلمين أن يرفعه عنه ، فلقتهم وخوفهم من كفار قريش ، حتى أتت

السيدة فاطمة (بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم) ورفعته عن أيها
 ٣ - ومن جماعة المستهزئين برسول الله (أبو لهب بن عبد المطلب)
 عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أشد عليه من الأباعد فكان
 يرمى القذر على بابه؛ لأنه كان جاراً له، فكان الرسول يطرحه ويقول :
 يا بني عبد مناف أي جوار هذا ؟ وكانت تشاركه في قبيح عمله زوجه
 (أم جميل بنت حرب بن أمية) فكانت كثيراً ما تسب الرسول
 وتكلم فيه بالثائم، وخصوصاً بعد ما أنزل الله في قبيح فعلها وتوعدها
 بالعذاب الشديد قوله تعالى :

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ
 سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ
 مَّسَدٍ ﴾ المسد

٤ - جاء رجل آخر يدعى (عقبة بن أبي معيط) فوضع ثوبه في
 عنق الرسول صلى الله عليه وسلم فخنقه بثوبه وهو يصلي حتى جاء
 سيدنا أبو بكر فدافع عنه وخلصه ودفعه عن النبي وقال : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا
 أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ غافر
 ٥ - لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة إيذاء قريش له
 واستهانتهم به خرج إلى قبيلة تسمى (ثقيف) يرجو منهم أن ينصروه

على قریش فردوه ردأ سیئاً ، فأرسلوا خلفه سفهاءهم وخدمهم یرمونه بالحجارة حتی أدموا عقبه ، وكذلك كانوا یفعلون مع أصحابه فمن أودى إیداء شديداً من المسلمین :

١ - (بلال) مؤذن النبی علیه الصلاة والسلام كان مملوكاً لرجل من عظمائهم ، فكان یجمل فی عنقه حبلاً ویدفعه للصبيان یجرونه وكان یخرج به وقت الظهيرة إلى الرمل الشدید الحرارة الذی لو وضعت علیه قطعة من اللحم لنضجت ، ثم یضع علی صدره صخرة عظيمة ویقول له :

لا تزال هكذا حتی تکفر ب محمد ، فیکول بلال : الله أحد ، ولم یکفر ، ثم اشتراه أبو بکر وأعتقه

٢ - (عمار بن یاسر) وأبوه وأمه وأخوه كانوا یعذبون بالنار ویلبسون دروع الحديد المحماة فی اليوم القائف ، فما كان یزیدهم هذا العذاب إلا تمسکاً بالدين ، وكان الرسول یقول لهم : صبراً آل یاسر وبشرهم بالجنة

وقد عذب کثیرون غیر هؤلاء بأنواع العذاب ؛ ولكنهم صبروا وثبتوا علی دینهم ، فنصرهم الله علی أعدائهم نصراً مؤیداً
وقد أخذت قریش تسخر منه وتؤذیه وتضيق علیه ، وهو مع قلة رجاله وماله لا یصدده عن الدعوة إلى الاسلام شیء

وقد لقي رسول الله صلوات الله وسلامه عليه من الاهانة والايذاء
مالقيه قبله الانبياء والمرسلون والهداة المصلحون، وهو مع ذلك ماضٍ
لشأنه، يدعو قومه، ويتلو عليهم ما يوحى إليه من ربه، مبشراً من آمن
به واتبع سبيله، ومنذراً من خالفه وكذبه، لا يثنيه إيذاء ولا يرهبه
وعيد

وكان الله سبحانه وتعالى ينزل عليه من الآيات، ما يقويه به على
تحمل الصبر أمام ما كان يلاقه من أذى قريش، ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ﴾

الاحقاف

حماية عمه أبي طالب له ، والسيدة خديجة زوجته

وكان عمه أبو طالب يدافع عنه ، ويحميه من غوائلهم ، ويميل إلى
ما جاء به من الدين ، فلم يمنعه من إظهار الاسلام إلا الحياء من قومه
ولذا قال :

«ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية ديناً»
«لولا الملامة أو حذارى سبة لوجدتني سمحاً بذلك مينا»
«والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا»
ثم ازداد الحقد والعداء حين أسلم عمه حمزة وعمر بن الخطاب رضي

الله عنهما ، وكانا أشد المعارضين له ، فأعزَّ الله بهما الاسلام ، وحمى بهما رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فاعْتَظَلَتْ قريش ، وصارت تعذب كل من آمن به أشدَّ العذاب

وكانت زوجته السيدة خديجة رضى الله عنها أعظم مشجع له ، ومواس يعطف عليه ، ويثبته ويخفف عنه دفع ما يلاقى من الأذى من أعدائه

مكثه صلى الله عليه وسلم على هذه الحال

بمكة عشر سنوات

مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة على هذه الحال يدعو إلى الله تعالى غير مبال بما يناله من أذى السفهاء من قومه وتكذيبهم له ، وعلى الرغم من ذلك كان المسلمون من قريش ومن غيرهم من العرب في ازدياد يدخلون في دين الله أفواجا

مطالب كفار قريش

ولما رأى كفار قريش أن ذلك الأذى لم يجدهم نفعا؛ بل كلما زادوا المسلمين أذىً ازداد يقينهم، اجتمعوا للشورى فيما بينهم، فقال لهم (عتبة ابن ربيعة العشمي من بنى عبد شمس بن عبد مناف) وكان سيداً مطاعاً في قومه : يا معشر قريش، ألا أقوم لمحمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً

عَلَّه يَقْبَلُ بَعْضُهَا فَنُعْطِيهِ إِيَّاهُ وَيَكْفِ عَنَّا ؟

فَقَالُوا : يَا أَبَا الْوَلِيدِ قُمْ إِلَيْهِ فَكَلِمُهُ . فَذَهَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَصِلُ فِي الْمَسْجِدِ وَقَالَ : يَا بَنَ أَخِي ، إِنَّكَ مَنَا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ مِنْ خِيَارِنَا حَسِبًا وَنَسِبًا ، وَإِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ قَوْمَكَ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ ، فَفَرَقْتَ بِهِ جَمَاعَتَهُمْ ، وَسَفَهْتَ أَحْلَامَهُمْ ، وَعَبْتَ آلِهَتَهُمْ وَدِينَهُمْ ، وَكَفَرْتَ مِنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ ، فَاسْمَعْ مِنِّي أَعْرَضَ عَلَيْكَ أُمُورًا تَنْظُرُ فِيهَا لَعَلَّكَ تَقْبَلُ مِنْهَا بَعْضُهَا

فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ أَسْمِعْ ، فَقَالَ : يَا بَنَ أَخِي ، إِنْ كُنْتَ تَرِيدُ بَمَا جِئْتُ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَالًا جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا ، وَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ شَرْفًا سَوَدْنَاكَ عَلَيْنَا حَتَّى لَا تَقْطَعَ أَمْرًا دُونَكَ ، وَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ مَلَكًا مَلَكْنَاكَ عَلَيْنَا ، وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رَئِيًا مِنَ الْجَنِّ لَا تَسْتَطِيعُ رُدَّهُ عَنْ نَفْسِكَ طَلَبْنَا لَكَ الطَّيِّبَ ، وَبَذَلْنَا فِيهِ أَمْوَالِنَا حَتَّى نَبْرُثَكَ مِنْهُ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : لَقَدْ فَرِغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَاسْمَعْ مِنِّي ، فَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حَمْدُ تَنْزِيلٍ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (إِلَى أَنْ قَالَ) : فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿ فَصَلَّتْ

فَأَمْسَكَ (عْتَبَهُ) بِفِيهِ وَنَاشَدَهُ الرَّحْمَ أَنْ يَكْفَ عَنْ ذَلِكَ
 فَلَمَّا رَجَعَ (عْتَبَهُ) سَأَلُوهُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلًا مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ
 قَطْ ، وَاللَّهُ مَا هُوَ بِالشَّعْرِ ، وَلَا بِالسَّحَرِ ، يَامَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَطِيعُونِي فَاجْعَلُونَهَا
 لِي خُلُوعًا بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ . فَاعْتَزَلُوهُ وَقَالُوا : لَقَدْ سَحَرَكُمُ مُحَمَّدٌ
 فَقَالَ : هَذَا رَأْيِي

ثُمَّ عَرَضُوا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَشَارَكَهُمْ فِي عِبَادَتِهِمْ
 وَيَشَارِكُوهُ فِي عِبَادَتِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ
 مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ
 دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ ﴾ الْكَافِرُونَ

فَقَالَ لَهُمْ : لَا تَتَوَهَّمُوا أَنِّي أَجِيبُكُمْ إِلَى طَلِبِكُمْ مِنَ الْإِشْرَاقِ بِاللَّهِ
 فَلَمَّا يَسْأَلُونَهُ مِنْهُ طَلِبُوا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَنْزِعَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا يَغِيظُهُمْ مِنْ
 ذِمِّ الْأَوْثَانِ ، وَالْوَعِيدِ الشَّدِيدِ ، فَيَأْتِيَ بِقُرْآنٍ غَيْرِهِ أَوْ يَبْدِلَهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ
 جَوَابًا لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا
 مَا يُوْحَى إِلَيَّ ﴾ يُونُسُ

وَلَمَّا رَأَى الْمُشْرِكُونَ أَنَّ هَذِهِ الْمَطَالِبَ الَّتِي يَرَفُضُونَهَا لَا تَقْبَلُ مِنْهُمْ

أرادوا أن يدخلوا من باب آخر، وهو باب تعجيز الرسول عليه الصلاة والسلام، وقالوا: نحن نطلب من محمد (عليه الصلاة والسلام) الاتيان بأمور تكون خارقة للعادة المطردة في هذا الكون، فان جاء بها يكون صادقاً في دعواه، فاجتمعوا وقالوا: يا محمد إن كنت صادقاً فأرنا آية نطلبها منك، وهى أن تشق لنا القمر شقين، فأعطاه الله هذه الجزة وأنشق القمر فرقتين، وراه رأى العين حاضرم وغائبهم ممن رأوه فى أمكنة بعيدة، متحدة الأفق مع مكان الحاضرين، فأخبر بأنه رأى انشقاقه مثل ما رأى الحاضرون

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشهدوا

وقد ورد ذكر هذه الحادثة فى القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأُنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ القمر

فحينما رأى المعاندون هذه الآية الكبرى قال لهم: لقد سحركم ابن

أبى كبشة

فأنزل الله فيهم :

﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ القمر

ثم سألوا الرسول بعد ذلك آيات لا يقصدون بها إلا التعتت والعناد

والتعجيز، فمنها أنهم قالوا له : لن نصدقك حتى تفجر لنا من أرضنا

هذه عينا تتبع لنا لا ينضب ماؤها ، أو يكون لك بستان من نخيل
وعنب فتجرى الأنهار خلالها ، أو تسقط السماء علينا كما زعمت قطعاً ،
أو تأتي بالله والملائكة يشهدون على صحة ما نقول لنا ، أو يكون لك
بيت من ذهب ، أو ترقى في معارج السماء ؛ ولا نؤمن ونصدق أنك
صعدت إليها حتى تنزل علينا كتاباً تقرأه ، يشهد لك بصدق نبوتك ،
وفي ذلك قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا إِنَّا نُؤْمِنُ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ
تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا فَتَجِيرًا أَوْ
تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا
أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ
حَتَّى تُنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَأُهُ ﴾ الإسراء

فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء
المشركين من قومك ، الطالبين منك هذه الطلبات ؛ قل لهم : (هل
كنتُ إلا بشراً رسولاً) أى هل أنا إلا عبد من عبيد الله من بنى آدم ،
فكيف أقدر أن أفعل ما سألتموني من هذه الأمور ؟ وإنما يقدر عليها
خالقي وخالقكم ، وما أنا إلا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم
وفي ذلك قوله تعالى :

﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ الإسراء

ثم قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لو أنزلت يا محمد عليك الكتاب ، أى الوحي الذى أنزلته مع رسولى فى قرطاس يشاهدونه ويلمسونه بأيديهم ، وينظرون إليه ، ويقرءونه معلقاً بين السماء والأرض بحقيقة ما تدعوهم إليه ، وصحة ما تأتيهم به من توحيدى وعبادتى لقالوا : (ان هذا إلا سحر ظاهر) أى الذى جئنا به ما هو إلا سحر سحرت به أعيننا ليست له حقيقة ولا صحة ، وفى ذلك قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ زَلَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ الأنعام

وقال هؤلاء المكذبون لرسول الله صلى الله عليه وسلم : هلاً أنزل الله معك ملكاً من السماء يخبرنا أنك نبي ، ويصدقك على ما جئنا به ، ويشهد لك بحقيقة ما تدعى من أن الله أرسلك إلينا ؟

وذلك قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾ الأنعام

فأجابهم الله على ذلك بقوله : ولو أنزلنا إليهم ملكاً فشاهدوه لقضى الله أمره فيهم باهلاً بهم ، ولو جعلنا رسولنا إلى هؤلاء المشركين ملكاً لجعلناه فى صورة إنسان من البشر ؛ لأنهم لا يقدر أن يروا

الملك في صورته الروحية، ولحصل لهم التباس في أمره، فلم يدروا ملك هو أم إنس؟ فلم يوقنوا به، وفي ذلك قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًَا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًَا أَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴾ الأنعام

استهزاء المشركين به

ثم قال الله لنبيه : هوّن عليك يا محمد ما أنت لاق من هؤلاء المستهزئين بك ، المستخفين بحقك ، وامض لما أمرتك به من الدعاء إلى توحيدى ، فقد استهزأت أمم من قبلك برسل أرسلتهم إليهم بمثل الذى أرسلتك به إلى قومك ، وفعلوا مثل فعل قومك بك ، فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون من العذاب الأليم ما لا قبل لهم به وفي ذلك قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرِسْلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَعَقَّ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ الأنعام

وقال تعالى :

﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ الحجر

يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : **إِنَّا يَا مُحَمَّدُ كَفِينَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ** ، الذين يستهزئون بك ، ويسخرون منك ، فاصدع بأمر الله ، ولا تَخَفْ شيئاً سوى الله ، فإن الله كافيك ومانع عنك من ناصبك العداء ، وآذاك كما كافاك المستهزئين

وكان رؤساء المستهزئين قوماً من قريش معروفين وهم : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، وأبو زمعة ، والأ سود بن عبد يغوث ، والحارث بن عطيلة وقال الله تعالى :

﴿ يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ يس

يقول الله تعالى ذكره : يا حسرة العباد على أنفسهم ، على ماضيهم من أمر الله ، وفرطوا في جنب الله ، ما يأتهم من رسول من الله إلا كانوا به يستهزئون ، فكان استهزاؤهم برسول الله حسرة عليهم ، وويلاً لهم وفي ذلك يقول البوصيري رحمه الله :

« وكفاه المستهزئين وكم ساء نبياً من قومه استهزاء »

« ورماهم بدعوة من فناء البيت فيها للظالمين فناء »

الهجرة الأولى إلى الحبشة

لما رأى عليه السلام شدة الأذى على أصحابه في السنة الخامسة من

النبوة، أمر الرسول أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، فهاجر أناس منهم لم يكن لهم عشيرة تحميهم ، أو قبيلة ترد كيد أعدائهم ، فراراً بدينهم من أن يفتنوا فيه ، وهي أول هجرة وقعت في الإسلام بعد الرسالة وعدة أصحابها عشرة رجال ، وخمس نسوة ، منهم سيدنا عثمان ، وزوجه رقية (بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم) وأبو سلمة وزوجه أم سلمة ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن مظعون ، والزبير بن العوام ، وكلهم من قريش ؛ ثم رجعوا بعد ثلاثة أشهر

أما النبي صلى الله عليه وسلم والكبار من الصحابة ، فبقوا بمكة ينشرون دين الله ، متحملين بقلب ثابت ، وصبر جميل ، ما كان يحل بهم من الأذى والضرر

وفي ذلك الوقت أسلم (حمزة) عم الرسول ، (وعمر بن الخطاب) الشهم الهام العدوى القرشي ، بعد ما كان عليه من كراهية المسلمين وشدة أذاهم ، وكان المسلمون إذ ذاك بضعة وأربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة ، وقال صلى الله عليه وسلم : اللهم أعز الإسلام بعمر ؛ وكان إسلامه في دار الأرقم التي كان المسلمون يجتمعون فيها

الهجرة الثانية إلى الحبشة

في السنة السابعة أمر رسول الله أصحابه بالهجرة إلى الحبشة للمرة

الثانية، وعدة أصحابها نحو ثلاثة وثمانين رجلاً وثمانى عشرة امرأة، وكان
من هاجر فى هذه الدفعة جعفر بن أبى طالب وزوجه أسماء وعبد الله
ابن مسعود

فلما رأت قريش استقرار المهاجرين فى الحبشة أرسلوا الى ملكها
النجاشى رسولين يهدايا وتحف أن يرد من هاجر الى بلاده من المسلمين
فأبى وردهما خائبين

ثم أسلم النجاشى ومن معه من القسيسين والرهبان ستة سبع من
الهجرة، لما سمعوا سورة مريم، ثم مات النجاشى مسلماً وصلى عليه رسول
الله لما أعلمه جبريل بوفاة

وهذه هى أصل صلاة الجنائز على الغائب

أما الذين بقوا بمكة من الصحابة فقد نالهم من الأذى ما لا يمكن
احتماله إلا لمن تمكن الإسلام من قلبه، واختلط بدمه ولحمه، وهكذا كان
الصحابة رضوان الله عليهم

وفد نجران

فى السنة العاشرة من رسالته وفد على الرسول بعد الخروج من
الشعب وفد من نصارى نجران، بلغهم خبره من مهاجرى الحبشة
فسارعوا بالقدوم عليه، حتى يروا صفاته مع ما ذكر منها فى كتبهم، وكانوا

عشرين رجلاً أو قريباً من ذلك، فقرأ عليهم القرآن فأمنوا كلهم، فقال لهم أبو جهل :

ما رأينا ربك أحق منكم ، أرسلكم قومكم تعلمون خبر هذا الرجل فصباكم (أى خرجتم من دينكم)

فقالوا : سلام عليكم لانجأه لكم ، لكم ما أنتم عليه ، ولنا ما اخترناه ، فأنزل الله فى ذلك قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾

القصص

وقد كان أهل مكة حينما عجزوا عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يتمكنوا من مقارعة الحجة بالحجة رموه بالسحر مرة ، وبالكذب أخرى ، وبالجنون طوراً ، وبالكهانة مرة ، كل ذلك شأن العاجز المعاند الذى لا يستحي لمزيد عناده أن يقول :

﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أُنْتِنَا بَعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ الأَنْفَال
 وفاة زوجه السيدة خديجة وعمه أبي طالب

وفي السنة العاشرة المذكورة من رسالته صلى الله عليه وسلم أصيب بمصاب عظيم ، وهو وفاة زوجه السيدة خديجة ، وعمه أبي طالب فحزن عليهما حزناً شديداً ، حتى سمي عام وفاتهما (عام الحزن) وقد اشتد إيذاء كفار قريش له ولأصحابه بعد وفاة عمه ، ونالوا منهم ما لم ينالوا في حياته ؛ ومع ذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في هذه المحنة الشديدة ، لا يخاطب الكفار إلا بالحسن ، ولا يعاملهم إلا باللين ولا يغلظ في القول لهم ، بل كان حليماً ، يدعوهم بالهداية والتوفيق ، ويقول : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

وكان لا يقابل الإساءة بثلاث ؛ بل يصفح عن المسيء ، ولا يحتقر أحداً من أصحابه فقيراً كان أو صغيراً ؛ بل كانوا عنده على السواء ، وكان منهم بمنزلة الوالد من أولاده ، ولذا تحملوا في سبيله كل عذاب

هجرة الطائف

لما رأى عليه السلام إستهانة قريش به ، وزيادة طغيانهم وعدوانهم
 (م - ١٦ - ن)

خرج من مكة ومعه غلامه (زيد بن حارثة) إلى الطائف مستنجداً بأهلها (قبائل ثقيف) لأن له بهم قرابة، فعرض عليهم الإسلام، وطلب منهم نصرته ، حتى يتم أمر ربه ، ويبلغ رسالته ، فلم يجيبوا ؛ بل أخرجوه ، وسلطوا عليه الغلمان والسفهاء يؤذونه ويَرْمُونَهُ بالحجارة ، حتى أدموا وجهه ، وشجوا رأسه ، مع أن زيداً بن حارثة كان يدافع عنه ويقيه بنفسه

فلما وصل إلى شجرة هناك قعد يستظل تحتها، فرآه (ابنا ريعة) على تلك الحال ، وهما في بستانهما فرقا له مع أنهما كانا من ألد أعدائه ، وأرسلا له قطفا من عنب مع غلام لهما نصراني اسمه (عدّاس)

فلما شرع يأكل منه قال عليه الصلاة والسلام: بسم الله الرحمن الرحيم فقال الغلام: هذا الكلام ما يقوله أهل هذه الجهة

فقال النبي عليه السلام: من أى البلاد أنت وما دينك ؟

فقال: نصراني من نينوى (بلد في حدود العراق)

فقال عليه السلام: قرية الرجل الصالح (يونس بن متى) ؛

فقال الغلام: ومن أعلمك يونس بن متى ؟

فقال النبي عليه السلام: ذاك أخى ونبيّ مثلى ، ثم قرأ الآيات التى

فيها قصة يونس فى (الصافات) السابق ذكرها فى الجزء الأول

فما سمع الغلام القرآن حتى أسلم
ثم نزل جبريل عليه السلام وقال: يا محمد إن الله أمرني أن أطيعك
بما تأمر في قومك لما صنعوه معك
فقال عليه السلام: أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله
(اللهم إهد قومي فانهم لا يعلمون)

فقال جبريل عليه السلام: صدق من سمّاك الرؤوف الرحيم
ولما كان بنخلة وفد عليه نفر من الجن يستمعون القرآن ، فلما سمعوه
أنصتوا له ، ورجعوا إلى قومهم منذرين ، وأبلغوا خبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وفيهم نزلت الآية الآتية :

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا
حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا
إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى
الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ
لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ الأحقاف

وقد قصَّ الله قصة الجن بعبارة أطول في سورة سميت باسمهم أولها :
﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا
عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَانْشَرِكْ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ الجن

الإسراء والمعراج وفرض الصلوات الخمس

في السنة الحادية عشرة من الرسالة

لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتين وخمسين سنة أسرى به ليلة السابع والعشرين من رجب، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى (بيت المقدس) بجسمه وروحه الطاهرين كما اتفق عليه الصحابة والعلماء

وصلى فيه بالأنبياء وعرج (صعد) به إلى السموات العلى، فرأى ما رأى من آيات ربه الكبرى، وفرض الله عليه وعلى أمته خمس صلوات في اليوم والليلة، ثم رجع من ليلته، وأصبح يخبر قومه بما رأى وشاهد، فصدقه بعض قريش، وكذبه آخرون، فأيده الله بالمعجزات التي طلبوها منه منها: وصفه بيت المقدس على ما كان عليه وصفاً حقيقياً مع أنه لم يره من قبل؛ ومنها إخباره عن حالة العير (الابل التي تحمل التجارة) التي كانت لهم بالشام، وعن عدد إبلها وقال لهم: سنقدم عليكم مع غروب شمس يوم كذا يقدمها جمل أورق (لونه بين البياض والسواد) فظالوا ينتظرونها حتى جاءت كما وصف، فلم يزدادوا إلا كفرًا وعنادًا وقالوا: هذا سحر مبين

وبالإسراء والمعراج أكمل الله لرسوله الشرف على جميع أهل السموات والأرض، وبلغ غاية الكمالات، وارتقى أسنى الدرجات

وفي هذه القصة يقول الله تعالى في سورة الإسراء :

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الإسراء

وقال البوصيري رحمه الله في قصيدته الهمزية :

- ١ « فَطَوَى الْأَرْضَ سَائِرًا وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى فَوْقَهَا لَهُ إِسْرَاءُ »
- ٢ « فَصِيفَ اللَّيْلَةَ الَّتِي كَانَ لِلْمَخْطَارِ فِيهَا عَلَى الْبُرَاقِ اسْتِوَاءُ »
- ٣ « وَتَرَقَى بِهِ إِلَى قَابِ قَوْسَيْنِ وَتِلْكَ السِّيَادَةُ الْقَعَسَاءُ »
- ٤ « رَتَبَ تَسْقُطَ الْأُمَانِي حَسْرَى دُونَهَا مَا وَرَاءَهُنَّ وَرَاءُ »
- ٥ « ثُمَّ وَافَى يَحْدُثُ النَّاسُ شُكْرًا إِذْ أَتَتْهُ مِنْ رَبِّهِ النَّمَاءُ »

عرض نفسه على القبائل القادمين الى مكة

في موسم الحج

لما رأى عليه الصلاة والسلام أن قريشاً تمنعه من تأدية رسالة ربه عرض نفسه على القادمين الى مكة في موسم الحج من قبائل العرب ، وأخذ يقرأ عليهم القرآن الكريم ، ويطلب اليهم أن يسلموا ويمنعوا عنه أذى قومه، فلم يستجيبوا له وقد أجابه صلى الله عليه وسلم ستة نفر من الخزرج الى الاسلام ،

وهم من عرب يثرب (عرب المدينة) ووعده أن يبلغوا قومهم وقالوا له : انا تركنا قومنا بينهم من العداوة ما بينهم، فان جمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ، ووعده المقاتلة في الموسم المقبل وهذا هو بدء الاسلام لعرب يثرب وهم (الأوس والخزرج)

فلما رجعوا ذكروا لقومهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعوه الى الاسلام، فانتشر الاسلام بينهم ، ولم يبق دار في المدينة إلا وفيها ذكره صلى الله عليه وسلم

ولما كثر المسلمون من الأوس والخزرج في المدينة بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه رجلا يدعى (مصعب بن عمير بن هاشم القرشي) يقرئهم القرآن، ويعلمهم أمر دينهم، ويؤمهم في صلواتهم وقد دخل أهل المدينة في الاسلام أفواجا بعد إسلام (سعد بن معاذ) (وأسيد بن حضير) وهما سيدان من ساداتهم

قدوم كثير من أهل المدينة الى مكة للحج

ومعاهدتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم

ولما كانت السنة الثالثة عشرة من البعثة قدم الى مكة من أهل المدينة عدد كثير يريدون الحج، فاجتمعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلاً خارج مكة ، وكان عددهم ثلاثة وسبعين رجلاً وأمرأة

فأسلموا جميعاً ، وبايعوه عند العقبة ، وعاهدوه إن هو هاجر إليهم على أن يدافعوا عنه ، ويمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأهليهم ، فكانوا أنصاره صلى الله عليه وسلم على أعدائه ، وفي هؤلاء الأنصار يقول الله تعالى بعد ذكر المهاجرين :

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ . وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ الحشر

الدور الثالث - من الهجرة الى الوفاة

هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة

لما بلغ عليه الصلاة والسلام ثلاثا وخمسين سنة ، وأخذ الاسلام ينمو في بعض القبائل ، واشتد إيذاء الكفار له ولأصحابه ، حتى رأى مالم يره في سابق حياته ، أمره الله تعالى بالهجرة من مكة الى المدينة التي كان أسلم غالب أهلها ، فصدع بالأمر ، وأذن للمسلمين بالمهاجرة اليها ، فهاجر خلق كثير من منهم سيدنا عمر وأخوه زيد ، وعمار بن ياسر ، وبلال ، وسعد بن أبي وقاص ، وعثمان بن عفان حتى لم يبق بمكة مع الرسول وأهل بيته إلا القليل من المستضعفين ومعهم سيدنا علي ابن أبي طالب وأبو بكر الصديق رضي الله عنهما

تأمر المشركين على قتله

فلما أحس كفار قريش بأن الرسول سيهاجر أيضاً تأمروا على قتله (بدار الندوة) قبل أن يهاجر ، فأطلعه الله على سرهم ، ونجاه من مكرمهم وكيدهم ، وورده في نحرهم ؛ وفي ذلك قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ

يُخْرِجُوكَ وَيَمَكِّرُونَ وَيَمَكِّرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿١﴾ الْأَنْفَالُ

فاتفق مع أبي بكر على أن يتجهز للخروج من مكة الى المدينة

هجرته مع أبي بكر الصديق رضى الله عنه

جهز سيدنا أبو بكر للسفر راحلتين واشترى الرسول إحداها ، ثم أودعها عند رجل استأجره دليلًا لها الى المدينة ، ووعداه (غار ثور)

جحر في جبل بينه وبين مكة نحو ميلين بعد ثلاث ليال

ثم اتفق النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر على المقابلة ليلاً خارج مكة ، وكانت تلك الليلة موعد تنفيذ قريش مآثموا عليه من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعوا حول البيت الذى بات فيه الرسول وصاروا يرددون النظر من شقوق الباب ، حتى اذا نام دخلوا عليه ليقتلوه

فلما أراد الخروج أمر سيدنا علياً بأن ينام مكانه ، فنام وغطاه ببردته ليخفى الأمر على القوم ، ثم تحصن بالله وخرج عليهم ناثراً التراب على رؤسهم وهو يقرأ قوله تعالى :

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ يَسْ

فالتقى الله عليهم النوم ، ولم يشعر به أحد ، فقابله أبو بكر فى الموعدة وسارا حتى وصلا الغار ليلاً وكنا فيه

فلما همّ القوم بالقتل ، دخلوا البيت فوجدوا النائم على بن أبي طالب ، لا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، فاغتاطوا غيظاً شديداً ، واقتفوا الاثر الذى انقطع عند الغار ، فتحيروا فى أمرهم ولم يهتدوا ، حيث أعمى الله بصرهم عن النظر فى الغار بنسج العنكبوت وتعشيش الحمامتين على فمه ، فرجعوا خائبين ، وجعلوا مكافأة كبيرة لمن يدل عليهما خرج النبي صلى الله عليه وسلم حين أمر بالهجرة إلى المدينة المنورة ومعه أبو بكر فأقاما ثلاثة أيام فى الغار

وروى أنه لما انطلق أبو بكر رضى الله عنه إلى الغار جعل يمشى ساعة بين يدى الرسول وساعة خلفه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالك يا أبا بكر ؟ فقال أذكر الطلب فأمشى خلفك ، ثم أذكر الرصد فأمشى بين يديك

فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر : مكانك يا رسول الله حتى أستبرى الغار فدخل فاستبرأه ثم قال : انزل يا رسول الله ، فنزل

وروى عن أبى بكر الصديق أنه حدثهم فقال : نظرت إلى أقدام المشركين فوق رؤوسنا ونحن فى الغار ، فقلت : يا رسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا

فقال : يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟

وحادثة الغار مشهورة ومشار إليها في القرآن الكريم بقوله تعالى :
﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا
ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْهُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ
مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ
الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾
التوبة

ويروى عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لأبي بكر : أنت صاحبى فى الغار ، وأنت صاحبى على الحوض
قال الحسين بن الفضل : مَنْ قال ان أبا بكر لم يكن صاحب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى الغار فقد كفر بنص القرآن ، وسائر الصحابة
إذا أنكرهم يكون مبتدعاً، والمعوّل عليه تكفير من أنكر صحبة المجمع
على صحبته منهم

فلما جاء الدليل بالراحتين فى الميعاد ركبا وسارا فالحق بهما (سراقه
ابن مالك) الذى طمع فى أخذ المكافأة من قریش، وأراد أن يتعرض
لهما، ففاصت يدا فرسه فى الأرض الصماء، فاستجار بالنبي ، فأجاره على أن
يرجع فرجع ؛ ولكن حدثه نفسه بالمكافأة فكررّ عليهما ثانيًا، ففاصت
قوائم الفرس الأربع إلى الركبتين ، فطلب منهما الأمان، وتعهّد بأن يرد

عنهما جيش العدوان، فعمّا عنه الرسول، وأشار إلى الفرس فتهضت فركبها ورجع كما جاء

وفي ذلك يقول البوصيري رحمه الله :

« وَنَحَا المصطفى المدينة واشتا قَت إليه من مكة الانحاء »
 « وَتَغَنَّتْ بمدحه الجنُّ حتى أطرب الإنسَ منه ذاك الغناء »
 « واقتنى إثره سُراقَة فاستهوّته في الأرض صافنٌ جرداء »
 « ثم ناداه بعد ما سيمت الخسَفَ وقد يُنجد الغريق النداء »
 من هذه الحادثة تعلم مقدار حماية الله لرسوله، وخيبة أعدائه، ومحبة سيدنا على له حيث عرض نفسه لغدائه ؛ وتعلم أيضاً مقدار حلم الرسول على قومه ، وصبره على الأذى ، وحسن معاملته لطالب العذر منه ، حيث عفا عنه مع قدرته إذ ذاك على الانتقام منه ؛ وتعلم أيضاً مقدار صدق أبي بكر، وحسن صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم

الوصول الى المدينة المنورة

ثم سار النبي عليه السلام وصاحبه أبو بكر في أمان حتى قربا من المدينة بعد ستة أيام، وكان أهلها ينتظرونه لعامهم بقدمه، فإذا يهودى ينادى بأعلى صوته : يامعشر العرب ، هذا حظكم الذى تنتظرونه ، فتقلدوا أسلحتهم وتلقوا الرسول مهللين مكبرين، فعدل بهم ذات اليمين ونزل

(بقاء) موضع بجوار المدينة على بنى عمرو بن عوف في اليوم الثامن من ربيع الأول الموافق ٣٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ م كما حققه المرحوم محمود باشا الفلكي وأسس مسجد قباء الذي وصفه الله بقوله :

﴿ لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ التوبة

وقد صلى فيه الرسول بين معه من المهاجرين والأنصار الجمعة، وكانوا مائة رجل ، وهذه أول جمعة صلاها

وكانت المساجد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في غاية من

البساطة

ثم توجه بعد الجمعة إلى المدينة والأنصار شاهرو السلاح، محيطون به إحاطة الهالة بالقمر، فما فرح أهل المدينة بشيء فرحهم برسول الله عليه الصلاة والسلام ، وقد خرج لملاقاته فيمن خرج النساء والصبيان والولائد ينشدن :

« طلع البدر علينا من ثنَيَّاتِ الوداع »

« وجب الشكر علينا ما دعا لله داع »

« أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع »

وكان كل واحد يود نزول الرسول بفنائها ، ويأخذ بزمام ناقته ،

فقال لهم عليه الصلاة والسلام : (خلّوا عنها فإنها مأمورة)

فلما وصلت إلى فناء بنى النجار (أحوال أبيه) بركت أمام دار أبي
أيوب الأنصارى، فأخذ أهل المدينة فى الترحيب بالرسول عليه الصلاة
والسلام، والمبالغة فى إكرامه وإكرام المهاجرين، ووازره ونصروه
(فسموا بالأنصار) ومن وفدوا عليهم (سموا بالمهاجرين)

المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين

ولما استقر بالرسول المقام بالمدينة، وبنى مسجده وداره قريبا من دار
أبي أيوب الأنصارى، أخذ يواخى بين المهاجرين والأنصار، حتى صار
كل واحد يفضل أخاه على نفسه، فقويت بذلك عصبته، وهابهم
القريب والبعيد، فعاش المهاجرون فى هناء وصفاء، وأحبوا المدينة
أكثر من محبتهم لوطنهم، ببركة دعائه عليه الصلاة والسلام
وقد أعز الله تعالى الاسلام، وأعلى مناره، وقوى رسوله بالأنصار
والمهاجرين، وبن دخل فى دين الله تعالى من قبائل العرب، وفى ذلك
يقول الله تعالى :

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ

عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ التوبة

مبدأ التاريخ الاسلامى

لما كان لهجرته عليه السلام وتركه بلده وعشيرته شأن عظيم، وبها

ظهر الإسلام ظهور الشمس في رابعة النهار ، بعد أن كانت في خفاء واستتار ، اختار سيدنا عمر بن الخطاب في أيام خلافته أن يكون عام الهجرة مبدأ للتاريخ الاسلامي . وفي السنة المذكورة بنى عليه السلام مسجده بالمدينة وفيها شرع الله الأذان لجمع المسلمين للصلاة

يهود المدينة

قد ابتلى الله المسلمين في المدينة بيهودها ، كما ابتلاه في مكة بمشركي قريش وبالمناققين ، وهم قوم أظهروا الإسلام وأضرموا الكفر ، فان اليهود قد أظهروا العداوة والبغضاء حسداً من عند أنفسهم ، واستكباراً من أن تكون النبوة في ولد إسماعيل ، فكفروا بما أنزل الله بغياً ، مع أنهم علموا بأن رسول الله محمداً لم يأت إلاّ مصداقاً لما بين يديه من كتب الله التي أنزلها على من سبقه من المرسلين

ولذا أمر الله تعالى محمداً أن يدعو يهود بني إسرائيل ، الذين كانوا في المدينة إلى توحيد الله فقال له والمؤمنين به : قل يا محمد لأهل الكتاب ، وهم أهل التوراة والانجيل ، هلموا إلى كلمة سواء ، أي عدل بيننا وبينكم ، وهي أن نعبد الله ، ولا نعبد سواه ، ونهراً من كل معبود غيره : فلا نشرك به شيئاً ، ولا نتخذ بعضنا بعضاً آرباباً ، أي لا يدين بعضنا لبعض بالطاعة فيما أمر به من معاصي الله ، ويعظمه بالسجود له كما يسجد لربه ، فإن

أعرضوا عما دعوتهم إليه، من هذه الكلمة العدل التي أمرتك بدعائهم إليها، ولم يجيبوك إليها، فقولوا أنتم أيها المؤمنون للمعرضين عن ذلك :
اشهدوا بأننا مسلمون ، وفي ذلك قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران
فأصروا على عنادهم ، وأرادوا تعجيزه ، فسألوه أن يأتي بمعجزة ،
تدل على صدق نبوته ودعوته، فطلبوا منه أن ينزل عليهم كتابا من السماء
وفي ذلك يقول الله تعالى :

﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾
النساء

فأجابهم الله توبيخاً لهم وتقريراً بقوله : يا محمد لا يعظم عليك
مسألتهم ذلك، فقد سألوا موسى أعظم مما سألك، حيث قالوا له : أرنا الله
جبهة نظار إليه، فصعقوا بظلمهم أنفسهم ، وفي ذلك يقول الله تعالى :
﴿ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾
فَأَخَذَهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴿ النساء

ثم يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إن كفر

بالذى أوحينا إليك يا محمد اليهود الذين سألوك أن تنزل عليهم كتاباً من السماء ، وقالوا لك : ما أنزل الله على بشر من شئ ، فقد كذبوا ؛ ولكن الله يشهد بتنزيل ما أنزله من كتابه ووحيه إليك ، يعلم منه بأنك خيرته من خلقه ، وصفيه من عباده ، ويشهد بذلك ملائكته ، فلا يحزنك تكذيب من كذبك ، وحسبك بالله شاهداً على صدقك ، دون ماسواه من خلقه ؛ وفي ذلك يقول الله تعالى :

﴿ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ النساء

ثم يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَى وَلَئِنْ آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ البقرة

يقول الله تعالى ذكره : إنا أرسلناك يا محمد مؤيداً بالحق ، مبشراً للمؤمنين ، ومنذراً للكافرين ، ولست بمسؤول عن الذين يستحقون النار المتأججة ؛ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تميل إلى

(م - ١٧ ثانی)

دينهم وتببع ملتهم ، فقل لهم : إن هدى الله ، أى الاسلام ، هو الهدى الصحيح ليس ما أنتم عليه من عناد وإنكار بغياً وحسداً ، ثم حذره الله وقال له : لئن اتبعت يا محمد أضاليلهم بعد الذى نزل عليك من الوحي مالك من الله من محب ولا ناصر يدفع عنك عقابه وقد حجَّهم القرآن الشريف بما يدل على أنهم يعلمون من نفوسهم البعد عن الحق فقال الله تعالى :

﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ البقرة
ثم ختم جل ذكره عدم إجابتهم بقوله :

﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾

البقرة

فلو كانوا يعلمون من أنفسهم أنهم على الحق لما تأخروا عما طلب منهم ، مع سهولته وحرصهم على تكذيب الصادق الأمين محمد صلى الله عليه وسلم

وقد تبين الهدى لأحد رؤساء وعلماء اليهود (عبد الله بن سلام) فترك هواه وأسلم بعد أن سمع القرآن كما أسلم أيضاً (كعب الأحبار) وغيرهما من أحبار اليهود وساداتهم

المنافقون المستهزون

وكان يساعد اليهود على مقاصدهم وكفرهم جماعة من عرب المدينة
أعصى الله بصائرهم، فأخفوا كفرهم حرصاً على حياتهم، وهؤلاء هم المنافقون
وكان يرأسهم (عبد الله بن أبيّ ابن سلول الخزرجي) الذي كان مرشحاً
نفسه لرئاسة أهل المدينة قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم

ويقول الله فيهم : هؤلاء المنافقون إذا قابلوا المؤمنين قالوا لهم : إنا
أما كما آمنتم، فإذا خلوا إلى إخوانهم في الكفر واجتمعوا بهم قالوا لهم :
هوتوا على أنفسكم ، إنا لانزال على ملتكم ، إنما نحن في تظاهرننا بالإيمان
نستهزيء بالمؤمنين

ولكن الله يستهزيء ويستخر بهم للنعمة منهم ، ويزيدهم طغياناً
ليزدادوا حيرةً وضلالاً

وفي ذلك قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا لقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ
قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي
طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ البقرة

وهؤلاء المنافقون هم الذين باعوا الهدى ، واشتروا به الضلالة ، فما كسبت تجارتهم ، وما اهدوا ، وفي ذلك قوله تعالى :

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَّحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ البقرة

ولا شك أن ضرر المنافقين أشد من ضرر الكفار ؛ لأن أولئك يدخلون بين المسلمين يتعلمون أسرارهم ، ويشيعونها بين الأعداء من اليهود وغيرهم ؛ ولذا كان رسول الله عليه الصلاة والسلام لا يركن لهم ولا يأمنهم في عمل ما ، وكثيراً ما كان يتغيب عن المدينة ويولى عليها بعض الأنصار ، ولم يعهد أنه ولى رجلاً من المنافقين ، وقد حذره الله منهم بقوله : إذا جاءك المنافقون يا محمد قالوا لك بالسنتم : نشهد أنك لرسول الله ، والله يعلم أنك لرسوله ، وكفى به شهيداً ، والله يشهد أن المنافقين لكاذبون في أخبارهم ، وقد اتخذوا أقسامهم وحلفهم وقاية وسِتراً ، فيمنعون بها أنفسهم وذراريهم وأموالهم ، ويدفعون بها عنها ، فأعرضوا عن دين الله الذي بعث به نبيه صلى الله عليه وسلم ، وانهم لقد ساء ما كانوا يعملون ، ذلك بأنهم آمنوا ظاهراً ، ثم كفروا سراً فأغلقت قلوبهم ، فهم لا يفقهون صواباً من خطأً وحقاً من باطل

فاذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ، وإذا خاطبوك تعجبك أقوالهم ولكنهم يقولون بالسنتم ما ليس بقلوبهم ، فهم أعداء كاذبون : قاتلهم الله

وفي ذلك قوله تعالى :

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ
جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَمَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَأَنَّهُمْ لَا يَفْقَهُونَ وَإِذَا
رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ
خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ
قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ المنافقون

معاهدة اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم

لما رأت اليهود أن قدم الاسلام قد رسخت في المدينة ، هاجتهم
العداوة والبغضاء ، فتحزبوا على المسلمين ، ففقد رسول الله صلى الله عليه
وسلم مع أولئك اليهود عقداً مقتضاه ترك الحرب والأذى ، فلا يحاربهم
ولا يؤذيهم ، ولا يعينون عليه أحداً ، وإن دهمه عدو ينصرونه وأقرهم
على دينهم

الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمة الدين

ومشروعية القتال

مكث الرسول عليه الصلاة والسلام ثلاث عشرة سنة من بعثته إلى هجرته يدعو الناس إلى الاسلام باللين والعرف، مبشراً ونذيراً، وصابراً على الأذى، متوكلاً على الله، كما قال الله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا وَلَا تَطْغِعَ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ الأحزاب

ولما اشتد طغيان أهل مكة تأمروا على قتله، وأخرجوه من داره وبدأوا بالعداء والغدر، وأصرّوا على العناد، فأمره الله بالقتال لمنع الاعتداء، وحماية الدعوة ممن يصد الناس عن الدخول في الاسلام، أو يفتنهم، أو يعذبهم اذا دخلوا فيه، بقوله تعالى : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْ يُقَاتِلُوا وَإِنْ لَمْ يُجِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَالْحُجَّةُ

وقوله تعالى : ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا

تَعْتَدُوا﴾ البقرة

وقوله تعالى : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ الأنفال

وقوله تعالى : ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ التوبة

فقام بغزو ويجاهد في سبيل الله ، لاعلاء كلمة الدين ، وهداية الناس إلى الطريق القويم ، لاطمئنان في ملك ، ولا حجاب في رياسة أو مال ، ولا عَرَض من أعراض الدنيا ، وصار الجهاد عاما

ولذا قال عليه الصلاة والسلام : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله »

غزواته صلى الله عليه وسلم

وغزا بنفسه سبعا وعشرين غزوة ، لم يبدأ فيها أحدا بالعداء ؛ بل كان لا يقاتلهم إلا بعد الانذار والتبشير فتبدو منهم الغلظة والجفاء وحمية الجاهلية ، ولذا أيده الله بالنصر ، ونال منهم ما لم ينل أحد ، مع قلة العدد والعدد ، وكثرة الأعداء وقوتهم ، وهزمهم في عدة مواقع وأهم الغزوات (تلك الغزوة التي فتح فيها مكة) وكان ذلك في

السنة الثامنة من الهجرة ، ودخلها فائزا ، فخاف أهلها أن ينتقم منهم بسبب إيذائهم وخروبهم له ولأصحابه ؛ ولكنه عفا عنهم فأمن به خلق

كثير، ودخلوا في دين الله أفواجا، وصاروا له أولياء ناصرين بعد أن كانوا أعداء مبغضين، وبذلك قضى على الوثنية في جزيرة العرب

وما زال صلى الله عليه وسلم ينشر دين الاسلام هو وأصحابه حتى عمّ بلاد العرب، وخضعت له القبائل كلها، وأرسلت إليه وفوداً تقدم الطاعة والخضوع لأوامر الله، بعد أن ملأ الاسلام قلوبهم، وتمكن من نفوسهم وكان ذلك في السنة العاشرة من الهجرة

فكان عليه الصلاة والسلام يقابلهم بالبشاشة، ويعلمهم أحكام الدين ويثبت فيهم مكارم الأخلاق تأييداً لقوله :

« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »

دعوته الملوك إلى الاسلام

لم يقتصر النبي صلى الله عليه وسلم على جهاده، وانتشار دينه ؛ بل أرسل إلى جميع الملوك المجاورين لبلاد العرب، يدعوهم إلى الدخول في الاسلام

فمنهم من آمن وحسن حاله ؛ ومنهم من ردّ ردّاً حسناً ؛ ومنهم من رفض، فخاربه النبي صلى الله عليه وسلم وانتصر عليه وهلك صورة الكتاب الذي أرسله إلى المقوقس :

١ - بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط

سلام على من اتبع الهدى . أما بعد ، فاني أدعوك بدعاية الاسلام
إسلم تسلم ، يؤتلك الله أجرك مرتين ، وإن توليت فانما عليك إثم القبط
﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ الآية

٢ - وكتب مثله الى قيصر عظيم الروم

٣ - أما الكتاب الذي وجهه الى كسرى ملك الفرس فهذا صورته:
بسم الله الرحمن الرحيم (من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس)
سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وأشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، أدعوك بدعاية
الله ، فاني أنا رسول الله الى الناس كافة ، لأنذر من كان حياً ويحق
القول على الكافرين ، أسلم تسلم ، فإن أبيت فانما عليك إثم المجوس
فلما وصله الكتاب مزقه استكباراً ؛ ولما بلغه عليه السلام ذلك قال:
(مزق الله ملكه كل تمزيق) وقد فعل ، فكانت مملكته أقرب الممالك
سقوطاً وانحطاطاً

٤ - أما الكتاب الذي وجهه الى النجاشي ملك الحبشة فهذا صورته:

بسم الله الرحمن الرحيم (من محمد رسول الله الى النجاشي عظيم الحبشة)
أما بعد ، فاني أحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو ، الملك القدوس
السلام ، المؤمن ، المهيمن ، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله ، وكلته

ألقاها الى مريم البتول ، الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى من روحه
ونفخه كما خلق آدم بيده

وإني أدعوك الى الله وحده لا شريك له ، والموالاته على طاعته ، وأن
تتبعني وتوثق بالذي جاءني ، فإني رسول الله ، وإني أدعوك وجنودك
الى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت ، فاقبلوا نصيحتي والسلام على
من اتبع الهدى

فلما وصله الكتاب احترامه غاية الاحترام ، وقال لحامله : (عمرو بن
أمية) انى أعلم والله أن عيسى بَشَرٌ به ، ولكن أعوانى بالحشبه قليل
عددهم ، فانظرنى حتى أكثر الأعوان ، وألين القلوب

حجة الوداع

فى السنة العاشرة من الهجرة حيث انتشر الاسلام ، واتسعت دائرته
وعلت كلمته ، وأمنت بالجهات ، خرج الرسول فى يوم السبت لخمس
بقيين من ذى الحجة فى جموع كثيرة لأداء فريضة الحج ، فدخل مكة
وأدى نسكه ، ثم خطب يوم النحر (يوم العيد) بمبنى خطبته التى
بين فيها الدين ، وأوضح معالمه ، وأكثر فيها من قوله : ألا هل
بلغت ؟ ليلغ الشاهد منكم الغائب اللهم اشهد ، ثم ودع فيها الناس ،
فلذلك سميت تلك الحجة (بحجة الوداع) ثم عاد عليه السلام الى المدينة

نزول ختام القرآن الكريم

وقد نزل ختام القرآن يوم عرفة، في تلك الحجة، وهو قوله تعالى :
﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ المائدة
وبذلك أكمل الرسول شعائر الإسلام، وأتم رسالته على أكمل
وجه، ثم عاد إلى المدينة
فلا غرابة أن اتخذها المسلمون عيداً، ويوماً سعيداً، يظهرون فيه شكراً
لله على هذه النعمة الكبرى

مرض الرسول عليه الصلاة والسلام

في أواخر صفر من السنة الحادية عشرة من الهجرة
بعد أن عاد الرسول من الحج إلى المدينة مرض ثلاثة أيام، ولما
اشتد عليه المرض استأذن نساءه أن يُمرَّض في بيت إحداهن، فأذن
له ببيت عائشة الصديقة رضي الله عنها
ولما تعذر عليه الخروج إلى الصلاة قال : مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فليصل
بالناس ؛ ثم خرج عليه السلام متوكئاً على عليّ والفضل ، وتقديم العباس
أمامهم ، والنبي عليه الصلاة والسلام معصوب يخط برجليه حتى جلس

في أسفل مرقاة المنبر ، فثار الناس اليه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
أيها الناس ، بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم ، هل خلد نبي قبلي
فيمن بعث فأخلد فيكم ؟ ألا واني لاحق بربي ، ألا وأنكم لاحقون بي
فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً ، وأوصي المهاجرين فيما بينهم
فإن الله تعالى يقول :

﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ العصر
وان الأمور تجري بإذن الله ، الى أن قال : وأوصيكم بالأنصار
خيراً ، فانهم الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلكم الى آخر خطبته
وفاته صلى الله عليه وسلم

في السنة الحادية عشرة من الهجرة أراد النبي غزو الروم ، فجهز جيشاً
كبيراً ، وأمر عليه أسامة بن زيد ، وفي أثناء الاستعداد طرأ المرض
الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم تتم تلك الغزوة في
حياته ، وأتمها بعد وفاته أبو بكر الصديق خليفته ، فانه عليه الصلاة والسلام
بقي مريضاً حتى فارق الدنيا ، فاختره مولاه ، ولحق بالرفيق الأعلى ،
وذلك في يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الأول من تلك السنة (٨ يونية
سنة ٦٣٢ م) المتممة له ثلاثاً وستين سنة ، ودفن حيث قبض في

حجرة عائشة بالمدينة المنورة ، ومدفنه هناك يسمى (بالحرم المدني)
والحجرة التي بها قبره تسمى (بالروضة النبوية الشريفة) ولا يزال
قبره الشريف موضع احترام المسلمين وتعظيمهم ، يزوره الحجاج في كل
عام عليه أفضل الصلاة وأتم السلام !

وبوفاته حزنت النفوس حزناً شديداً على فراقه ، فاللهم آت سيدنا
محمد الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة ، وأبعثه المقام المحمود الذي
وعده إنك لا تخلف الميعاد

وقد نعاه الى أصحابه أبو بكر رضى الله عنه وقال لهم وهم مجتمعون ،
وقد استولت عليهم الدهشة وتملكهم الحزن والأسى :

أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد
الله فإن الله حي لا يموت ، ثم تلا عليهم قوله تعالى :

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ الزمر

ثم تلا قوله تعالى :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ
أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ
شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ آل عمران

لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بربه ، بعد أن بلغ الرسالة وأدى

الأمانة كما أمر وعمره عليه السلام ٦٣ سنة قمرية وثلاثة أيام ، وترك للمسلمين ما إن اتبعوه لم يضرهم شيء ، كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وترك أصحابه الكرام البررة يوضحون الدين ، ويتممون فتح البلاد ، ويظهرون في الدنيا شمس الدين الاسلامي القويم

زوجاته عليه الصلاة والسلام

المشهورات من نسائه إحدى عشرة امرأة (متفق عليهن) وهن :

١ - خديجة ٢ - عائشة ٣ - سودة ٤ - زينب بنت جحش ٥ - هند وهي أم سلمة ٦ - حفصة ٧ - رمة وهي أم حبيبة ٨ - جويرة ٩ - صفية ١٠ - ميمونة ١١ - زينب بنت خزيمة أم المساكين

وتوفي رسول الله عليه الصلاة والسلام عن تسع زوجات وقد نظمهن بعضهم فقال :

«توفي رسول الله عن تسع نسوة اليهن تعزى المكرمات وتنسب»
 «فعائشة ، ميمونة ، وصفية وحفصة، تتلوهن هند، وزينب»
 «جويرة ، مع رمة ، ثم سودة ثلاث وست كلهن مهذب»
 وماتت في حياته خديجة وزينب بنت خزيمة رضي الله عنهما :

وكلهن أمهات المؤمنين ، فاضلات طيبات ، طاهرات صالحات ،

وأفضلهن عائشة بنت أبي بكر الصديق، التي لم يتزوج بكراً غيرها، وتوفي عنها وعمرها ١٨ سنة وعاشت بعده ٤٠ سنة

سراريه عليه الصلاة والسلام

أما سراريه ثلاث : مارية القبطية - ريحانة - جميلة

أولاده عليه الصلاة والسلام

أولاده سبعة : ثلاث ذكور ، وأربع إناث ، منظومة في قول بعضهم :

« قاسمُ إبراهيمُ عبد الله هم الذكور للنبي الأواه »
« ثم الاناث زينب فاطمة فأمُّ كلثوم كذا رقية »
وكلهم من خديجة ، إلا إبراهيمَ فإنه من مارية القبطية ، وتوفي في السنة العاشرة من الهجرة

وأما القاسم ، وعبد الله ، فانهما ماتا قبل البعثة
وأما الاناث فكلهن أدركن الاسلام وأسلمن ، ولم يعيش منهن بعد وفاته عليه الصلاة والسلام إلا فاطمة الزهراء فانها ماتت بعده ستة أشهر وقيل بشهرين ونصف

معجزاته عليه الصلاة والسلام

المعجزة هي الأمر الخارق للعادة الذي يظهر على يد نبي أو رسول برهاناً على صدق دعواه ، وإن محمداً صلى الله عليه وسلم من يوم ولادته الى مبعثه كانت أحواله وأقواله وأفعاله كلها كرامات تجل عن الحصر؛ ومن مبعثه الى وفاته كلها معجزات باهرات، وآيات بينات، دالة على أنه رسول الله حقاً وصدقاً

ومعجزاته صلى الله عليه وسلم تنقسم الى قسمين : معجزة علمية عقلية ، ومعجزات كونية

المعجزة العلمية الكبرى الخالدة التي فاقت كل المعجزات

تلك المعجزة هي (القرآن الكريم) وهو كتاب الله الحكيم وآيته الكبرى ، وهدايته العظمى ، ونوره المبين ، وصراطه المستقيم ، أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج به الناس من الظلمات الى النور ؛ ويهديهم إلى صراط العزيز الحميد ، فانه والحق يقال - رغم أنف المعاندين والمكابرين (معجزة كبرى فاقت كل المعجزات) لبلاغته التي أعجزت الفصحاء ، وأفحمت الخصماء ، مع أن سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام كان أمياً لم يقرأ سِفرًا ، ولم يكتب سطرًا ، ولم يختلف الى معلم ، ولم يعكف على درس

وهذا القرآن الكريم، هو كلام الله المكتوب في المصاحف، المحفوظ في صدور الملايين من المسلمين، من يوم نزوله على النبي العظيم الى يومنا هذا، وهو مشتمل على أخبار الأنبياء الماضين مع أممهم، وعلى القوانين العادلة الموافقة لمصالح العالم، وعلى الحكم والأمثال، والأخلاق والآداب التي تخشع لها القلوب، وتهش لاستقبالها العقول، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحض على الاتحاد والائتلاف وحسن المعاملة، وصلة الأرحام؛ وعلى الإخبار بغييات حصلت، كل ذلك بألفاظ عذبة سهلة، وعبارات هي غاية في الفصاحة والبلاغة، وأساليب عجز عن مجادلتها البلغاء، وكبار الكتاب

هذا وقد ابتدأ نزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ليلة السابع عشر من رمضان للسنة الحادية والأربعين من ميلاده صلى الله عليه وسلم، وتم نزوله في اليوم التاسع من ذى الحجة يوم الحج الأكبر للسنة العاشرة من الهجرة، والسنة الثالثة والستين من ميلاده عليه الصلاة والسلام، فالمدّة بين مبدأ نزوله وختمه اثنان وعشرون سنة وشهران واثنان وعشرون يوماً كما جاء في كتاب هداية القرآن لحضرة الأستاذ الشيخ حسين سامي من علماء الأزهر الشريف والليلة التي أنزل فيها القرآن هي ليلة القدر لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ القدر

ولا نزاع في أن هذه الليلة كانت في شهر رمضان لقوله تعالى :
 ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ أَوْ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ
 مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ البقرة

وأما يوم الحتام فهو يوم الجمعة، يوم عرفة، من العام الذي حج فيه النبي
 صلى الله عليه وسلم حجة الوداع، وكانت آية الحتام قوله تعالى :
 ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
 وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ المائدة

ولم ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شيء من
 الفرائض، ولا تحليل شيء، ولا تحريمه، ولم يعش عليه الصلاة والسلام بعد
 نزول هذه الآية إلا إحدى وثمانين ليلة

وإليك بعض الآيات التي جاءت في نزول القرآن على محمد صلى الله

عليه وسلم ، ليكون في ذكرها دليل قاطع على أن القرآن من كلام الله
 وليس من كلام البشر، قال الله تعالى في كتابه العزيز :

١ - ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ

عِوَجًا قِيمًا ﴾ الكهف

يقول الله تعالى ذكره : الحمد لله الذي خصَّ برسالاته محمداً وانتخبه
 لا يبالغها عنه ، فبعثه إلى خلقه نبياً مرسلًا، وأنزل عليه كتابه ، كتاباً قيماً

معتدلاً مستقيماً لا اعوجاج ولا اختلاف فيه

٢ - ﴿وَإِنَّهُ لَنَزْلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ الشعراء

يقول الله تعالى ذكره : وإن هذا القرآن لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين (جبريل) عليك يا محمد، حتى وعيته بقلبك لتكون من رسل الله الذين يندرون من أرسلوا إليه من قومهم، فتندر بهذا القرآن قومك المكذبين بآيات الله ، وقد أنزله الله بلسان عربي مبين ليبين لمن سمعه أنه عربي ، وأنه بلسان العرب أنزل

٣ - ﴿ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾

آل عمران

يقول الله تعالى ذكره : يا محمد إن ربك ورب عيسى ورب كل شيء هو الرب الذي أنزل عليك الكتاب (القرآن) بالصدق فيما اختلف فيه أهل التوراة والانجيل، وفيما خالفك فيه محاجوك من نصارى أهل نجران وسائر أهل الشرك غيرهم، مصدقاً هذا القرآن لما كان قبله من كتب الله الذي أنزلها على أنبيائه ورسله ، ومحققاً ما جاءت به رسل الله من عنده، لأن منزل جميع ذلك واحد، فلا يكون فيه اختلاف ولو كان من عند غير الله لكان فيه اختلاف كثير

وأنزل التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، من قبل الكتاب
الذي نزله عليك ، بياناً للناس من الله فيما اختلفوا فيه من توحيد الله
وتصديق رسله ، ومفيداً يا محمد أنك نبي ورسولي

وأنزل الفرقان (آى الفارق والفاصل بين الحق والباطل) فيما اختلفت
فيه الأحزاب وأهل الملل فى أمر عيسى وغيره

والخلاصة أنه نزل الفرقان وهو القرآن على محمد، وفرقه بين الحق
والباطل ، فأحلَّ فيه حلاله ، وحرَّم فيه حرامه ، وشرع فيه شرائعه ،
وحدَّ فيه حدوده ، وفرض فيه فرائضه ، وبين فيه بيانه ، وأمر بطاعته
ونهى عن معصيته

٤- ﴿كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ

لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الأعراف

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد هذا القرآن
كتاب أنزله الله إليك فلا يضقْ صدرك من الإنذار به من أرسلتك
لإنذاره به ، وإبلاغه من أمرتك بإبلاغه إياه ، ولا تشك فى أنه من عندى
وإصبر بالمضى لأمر الله تعالى ، واتباع طاعته فيما كفئك وحملك من عب
أقال النبوة ، كما صبر أولو العزم من الرسل ، فإن الله معك .
وهذا الكتاب ذكرى للمؤمنين أى لتذكرك به المؤمنين

وقد قام المعاندون وعارضوا فيه، فطلب منهم أن يأتوا بسورة من مثله، فعجزوا ورجعوا بالخيبة والفشل كما مرَّ ذكره
وفي ذلك يقول البوصيري رحمه الله متعجباً من الكفار الذين شاهدوا هذه المعجزة، ولم يعترفوا بها، ولم يزدادوا إلا ضلالاً :

« عجباً للكفار زادوا ضلالاً بالذي فيه للعقول اهتداء »
« والذى يسألون منه كتاب منزل قد أتاهم وارتقاء »
« أو لم يكفهم من الله ذكر فيه للناس رحمة وشفاء »
ثم وصف القرآن بقوله :

« أعجز الإنس آية منه والجنَّ فهاً تأتي بها البُلغاء ؟ »
« كلَّ يوم تهدي إلى سامعيه معجزاتٍ من لفظه القراء »
« تتحلى به المسامع والأفواه فهو الحليُّ والحلواء »

الشرح : أي عجباً لبقاء الكفار على كفرهم، مع مشاهدة معجزاته صلى الله عليه وسلم ؛ بل من ازدياد كفرهم مع مشاهدتهم من الآيات والمعجزات ما يرشد العقول إلى الحق، لولا المعاندة والمكابرة . وأخذ يوبخهم بما حكاه عنهم، حتى أنهم سألوه أن يرقى في السماء، ويأتيهم بكتاب منزل عليه ، ولم يكفهم ما أنزل عليه من الكتاب العزيز الذي هو رحمة للذين آمنوا وشفاء للمؤمنين (قُلْ هُوَ الَّذِي آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً) فصلت ووصف لهم هذا الكتاب بأنه أعجز الانس والجن على أن يأتوا بسورة

من مثله، وأنه في كل وقت تهدي القراء إلى سامعيه معجزات من لفظه
لعذوبته وانسجامه وجزالته وغاية إيجازه مع غاية فصاحته وبلاغته، وأنه
جدير بأن تزدان به السامع، ويحلو مذاقه في الأفواه
ثم أخذ يشرح لهم مافي هذا الكتاب العرّيز من العلوم والمعارف
قائلاً :

« كم أبانت آياته من علوم عن حروف أبان عنها الهجاء »
« فهي كالحب والنوى أعجب الزرع منه سنابل وزكاء »
« فأطالوا فيه التردد والرياء » فقالوا : سحروا : افتراء »
« وإذا الينات لم تكن شيئاً فالتماس الهدى بهن عناء »
« وإذا ضلّت العقول على عما هم فإذا قوله النصحاء »

الشرح : أي أن آيات القرآن الكريم أوضحت من العلوم
والمعارف ما لا يُحَدِّد بحروف قليلة بالنسبة لها وهي حروف الهجاء، ولا غرابة
فإن المتناهي قد يحصل منه ما لا يتناهي، ألا ترى أن الحب الذي يليقه
الزراع في الأرض قد ينشأ عنه من السنابل والحبوب ما لا يكاد يحصى
والنوى الذي يليقه الغراس في الأرض قد ينشأ عنه من التمر كذلك
ومع ذلك فإن الكفار أطالوا فيه (أي في القرآن) التردد والريب
فقالوا : سحروا كما حكاها الله عنهم ؛ وقالوا : افتراء ، وقالوا : أساطير
الآولين ، فكذبهم الله بقوله :

﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ البروج
وقوله ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ
مِّنْ حَكِيمٍ مَّحِيدٍ ﴾ فصلت

وإذا كانت هذه الحجج القطعية البرهان، الواضحة البيان، لم تهدم
إلى سواء السبيل، فالتماس الهدى بهن تعب وعناء، وإذا ضلت العقول
عن طريق الحق مع العلم بها فأى قول تقوله النصحاء؟ قال تعالى :
﴿ وَمَا تَنْفِي الْآيَاتِ وَالْتَذِيرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ يونس
﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى
سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴾ الجاثية

هذه المعجزة العلمية الكبرى فاقت معجزات الرسل قبله . وذلك
أن المعجزات التي أيد الله بها الرسل السابقين كانت كلها حوادث كونية
تنتهي بوقوعها أو بموت الرسول المؤيد بها

كانفلاق البحر لموسى ، وقلب العصاة حية تسعى ، وإبراء عيسى
بعض الأمراض التي استعصى على الطب علاجها

أما معجزة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (وهى القرآن الكريم)
فتلك هى المعجزة العلمية الباقية بدوام الدهر، المنقولة بالتواتر، المحفوظة من

التحريف والتبديل، لقول الله تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر

ولا يزال كتاب الله ناطقاً بصدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته، ودليلاً ناهضاً على بقاء شريعته، وأنها آخر الشرائع، وأنها ناسخة لكل شريعة قبلها

وفي ذلك يقول البوصيرى رحمه الله في قصيدة البردة :

« آيَاتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثَةٌ قَدِيمَةُ صِفَةِ الْمُوصُوفِ بِالْقَدَمِ »
 « لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمَانٍ وَهِيَ تَخْبِرُنَا عَنْ الْمَعَادِ وَعَنْ عَادِوَعِنِ أَرَمِ »
 « دَامَتْ لَدَيْنَا فِجَاقُ كُلِّ مُعْجِزَةٍ مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمِ »

المعجزات الكونية

المعجزات الكونية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة جداً، نذكر

بعضها وهي :

١ - انشقاق القمر حين طلبت قريش منه ذلك فنزل قوله تعالى :

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ القمر

كما ثبت في صحيح البخارى عن ابن مسعود قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين، فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

اشهدوا . وقال بعضهم : وفي انشقاق القمر له مناسبة لشق قلبه حين شقه الملكان ، وفي ذلك يقول البوصيرى رحمه الله :

« أقسمت بالقمر المنشق إن له من قلبه نسبة مبرورة القسم »
ومعنى البيت : أقسمت برب القمر يمينا مبرورة ، إن للقمر المنشق شبيهاً بقلبه صلى الله عليه وسلم في انشقاق كل منهما مرتين ؛ ووجه الشبه بين الانشقاكين جريهما على خلاف العادة في الانشقاق والالتئام من غير تأثير ولا اختلاف

٢ - احتباس الشمس ، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم أخبر قريشاً بقدم غيرهم من الشام في يوم من الأيام فولى النهار ولم تجيء فدعا فزيد له في ساعة وحجبت عليه الشمس

ومن ذلك ما روت أسماء بنت عميس أنه صلى الله عليه وسلم أوحى إليه ورأسه في حجر على وفوت على صلاة العصر لمراعاته ؛ فلما أفاق صلى الله عليه وسلم قال :

« اللهم إنه كان في طاعتك ، وطاعة رسولاك ، فاردد عليه الشمس »
قالت أسماء : فرأيتها غربت ، ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ، ووقفت على الجبال والأرض وذلك بالصبياء في خيبر

٣ - نسيج العنكبوت وتعشيش الحمامتين على فم الغار لما دخله هو

وأبو بكر استنارَ عن أعين المشركين يوم الهجرة النبوية كما تقدم ذكرها
وفي ذلك يقول البوصيري :

« وما حوى الغار من خير ومن كرم وكلُّ طرف من الكفار عنه عَمَى »
« فالصدق في الغار والصديق لم يرَ ما وهم يقولون ما بالغار من أَرَم »
والمعنى : أنه لما دخل صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر في الغار هرباً
من الكفار ، فطلبوهما حتى وقفوا على فم الغار ، فأعماه الله تعالى عنهما
ببركة النبي صلى الله عليه وسلم

وأنهما لم يبرحا الغار والكفار لا ينظرونهما ويقولون ليس أحد
في الغار

« ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحم »
ولما رأى الكفار أن الحمام حامت حول الغار ، والعنكبوت نسجت
خيوطها عليه في ساعة واحدة ، ظنوا أن خير البرية وصاحبه ليسا في الغار
لظنهم استبعاد حوم الحمام حول الغار ، ونسج العنكبوت عليه في وقت
لا يتسع لذلك

« وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عالٍ من الأطم »
وقد حفظهما الله من العدو بهذا الغار ، لما فيه من الكفاية والاستغناء
عن الدروع الكثيرة ، وعن الحصون العالية ، كل ذلك ببركته صلى الله
عليه وسلم

٤ - إبراء المَرَضَى وذوى العاهات بمجرد المس والنفث وفى ذلك

يقول البوصيرى :

« كم أبرأت وصباً بالمس راحته وأطلقت أرباً من ربة اللم »
 أى أنه صلى الله عليه وسلم مامسح براحته الشريفة على مريض إلا
 عوفى، ولا على من علق به داء إلا خلصه الله تعالى منه
 فمن الأول ما روى: أنه صلى الله عليه وسلم نفل فى عيني على كرم الله
 وجهه يوم خيبر وبه رمد شديد فبرأ من حينه ، وأنه مسح على عين
 قتادة بعدما عميت فردها الله تعالى عليه، فكانت أحسن عينيه وأحدّها
 نظراً، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى

ومنها أنه عليه الصلاة والسلام أمرها على عيون رُمد فقوى أبصارها
 حتى أصبحت ترى ما لم تره (الزرقاء) التى كانت ترى من مسيرة ثلاثة أيام
 وفى ذلك يقول البوصيرى رحمه الله :

« وأزالت يَلَسَها كُلُّ داءٍ أَكْبَرته أَطِبة وإساء »
 « وعيون مَرَّت بها وهى رُمد فأرتها ما لم تر الزرقاء »
 « وأعادت على قتادة عيناً فهى حتى مماته النَّجلاء »
 ومن الثانى ما روى: أن امرأة أتت بصبي لها به عاهة فمسح على رأسه

فشفاه الله تعالى

وما روى: أن رجلاً سقط من علو فأنكسرت رجله فمسحها صلى الله عليه وسلم فكان أنه لم يشك قط

وهكذا من خوارق العادات التي جرت على يديه صلى الله عليه وسلم عند ما طلبت منه ، قد ونقلت بالتواتر والأخبار الصحيحة التي جاء بها الشهود العدول

فلما وجد القوم أنه صلى الله عليه وسلم قد جاء بما طلب منه من تلك المعجزات ، وخلاف النواميس الطبيعية الكونية التي لا يقدر على خرقها إلا الله تعالى ، أيقنوا بتصديق الله له بأجرائها على يديه عند طلبها منه ، فأمنوا به وصدقوه ، واعتقدوا بعثته ورسالته صلى الله عليه وسلم أما أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فهي كثيرة جداً ولها كتب خاصة بها في فن الحديث

شمائله

عليه الصلاة والسلام

١ - كرم خلقه - كان صلى الله عليه وسلم على أكمل الأخلاق الكريمة وأتمها ولذا وصفه الله تعالى بذلك فقال تعالى :

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم

وقال تعالى : ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾

آل عمران

وقال عليه الصلاة والسلام « إنما بعثت لأتم مكارم الأخلاق » ولا يتمها إلا من كان كاملاً فيها. ولقد فاق جميع الأنبياء في الخلقة والسجية ولم يقاربه في العلم ، ولا في السكرم ، وفي ذلك يقول البوصيري رحمه الله :

« فاق النبيين في خلق وفي خلق ولم يدانوه في علم ولا كرم »

« وكلهم من رسول الله ملتصق غرقاً من البحر أورشاف من الدميم »

٢ - أمانته وصدقه : عُرف صلى الله عليه وسلم منذ نشأ بالأمانة

والصدق ، وهما من أخص صفات الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، فلم يقع منه في ذلك هفوة ، ولم تحفظ عنه زلة ، حتى اشتهر في قومه وهو

في ريعان شبابه (بالأمين) وكانوا يودعونهم ودائعهم ، ويستحفظونه
أماناتهم

ولما اختلف قريش عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر الأسود
حكموا أول داخل وذلك قبل النبوة

فقالوا : هذا محمد (هذا الأمين) قد رضيناه حكماً
وقد لقي رجل أبا جهل (وهو من ألد أعداء الرسول) بعد رسالته
فقال له الرجل : يا أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا
فخبرني عن محمد صادق أم كاذب ؟

فقال أبو جهل : والله إن محمداً لصادق ، وما كذب محمد قط
ومع ذلك لم يؤمن به أبو جهل عناداً واستكباراً ، ومات مشركاً في
غزوة بدر

وسأل (هرقل ملك الروم) عنه أبا سفيان قبل أن يسلم ؛ فقال :
هل كنتم تتهمون محمداً بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال : لا
وقال (النضر بن الحارث) لقريش المكذبين لمحمد صلى الله عليه وسلم :
قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً ، أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثاً ؛
وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به
قلتم ساحر ؟ قالوا : لا والله ، ما هو ساحر

فهذه شهادة ثلاثة من أعظم قريش ، اتفقوا على صدقه وأمانته ، ولم

يكونوا مؤمنين به وقت هذه الشهادة كبيراً وأثقةً، والفضل ما شهدت به الأعداء

٣ - تواضعه - كان عليه الصلاة والسلام أشد الناس تواضعاً وأبعدهم من كبر، يعود المساكين ويجالس الفقراء، ويتفقد أحوالهم، ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم حينما انتهى به المجلس جلس

روى أنه خرج على أصحابه يوماً فقاموا له، فقال لهم: لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً، وقال: إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد، وكان يقضى حاجات بيته بنفسه ويحملها بيده الشريفة إلى أهله ويقول: صاحب الشيء أحق بحمله

ودخل عليه رجل فأصابته من هيئته رعدة، فقال له: هوّن عليك فاني لست بملك؛ إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد (الاحم المجفف)

٤ - وقاره - كان صلى الله عليه وسلم أوقر الناس في مجلسه، لا يتكلم في غير حاجة، ويعرض عن يتكلم بغير جميل، وكان ضحكه تبسماً، وكلامه قصداً، لا فضول فيه، وكان ضحك أصحابه عنده التبسم توقيراً له واقتداء به، مجلسه مجلس علم وحياء، وخير وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تنتهك فيه الحرمات

وكان إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فمه، وخفض صوته، وحمد

ربه ، ما ثواب قط ، ويكره الثاؤب من غيره

٥ - جوده وسخاؤه

كان صلى الله عليه وسلم يعجل بالإحسان والصدقة والمعروف ،
ولذلك كان أوسع الخلق صدراً ، وأطيبهم نفساً ، وكان على الأهم ،
واسع الجود والكرم ، يعين على النوائب ، ويحجب سؤال السائل ،
ويكسب المعدوم ، ولا يدخر شيئاً من يومه لغده ، وكان يجود بكل موجود ،
ولذلك لما توفي كانت درعه مرهونة عند يهودى على مقدار من شعير
لطعام أهله ، مع أنه قد ملك جزيرة العرب ، وحاز ملكاً كبيراً ؛
ولكنه لم يقن ديناراً ولا درهماً ، لزهده ، وعفته ، وقناعته
وكان عليه الصلاة والسلام لا يأكل إلا الطعام الغليظ ، ولا يلبس إلا
الحشن من الثياب ، ومع ذلك يعطى الجزيل ، ويتجرع مرارة الصبر
على الجوع

وقد وصفه الامام على كرم الله وجهه فقال :

كان أجود الناس كفاً ، وأوسع الناس صدراً ، وأصدق الناس لهجةً ،
وأوفاهم ذمةً ، وألينهم عريكةً ، وأكرمهم عشرةً ، من رآه بديهته هابه ،
ومن خالطه معرفة أحبه

ومما يؤثر عنه : أنه حمل إليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ،
ثم قام إليها فقسمها فما ردَّ سائلاً حتى فرغ منها

وكان جوده صلى الله عليه وسلم كله لله ، وابتغاء مرضاته تعالى ؛ فانه كان يبذل المال تارةً لفقير أو محتاج ، وتارةً ينفقه في سبيل الله تعالى ، وطوراً يتألف به على الاسلام حتى يقوى الاسلام باسلامه

وكان يؤثر غيره على نفسه وأولاده ، فيعطى عطاءً تعجز عنه الملوك ، مثل (كسرى) (وقيصر) ويعيش في نفسه عيشة الفقراء ، فيأتى عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار ، ورمال بط الحجر على بطنه الشريف من شدة الجوع ، ليتأذى الفقير به من غير ما سلطان الجوع

٦ - حسن معاشرته : كان صلى الله عليه وسلم كريم العشرة ، روفاً رحيماً بأصحابه ، وبهذا وصفه الله تعالى في كتابه ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ التوبة

وكان يعطى كل واحد من جلسائه نصيبه ، لا يحسب جلسيه أن أحداً أكرم عليه منه ، قد وسع الناس خلقه ، فصار لهم أباً ، وصاروا عنده في الحق سواء

ماقهر خادماً ، وماضرب يده شيئاً قط ، إلا أن يجاهد في سبيل الله قال أنس رضى الله عنه : خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط ، ولا قال لشيء صنعته لم صنعته ؟ ولا لشيء تركته لم تركته ؟

فكذلك كان صلى الله عليه وسلم مع عبده وإمامه ، ما ضرب منهم
أحداً قط

وهذا أمر لا تتسع له الطباع البشرية ، لولا التأييدات الربانية ، والعناية
الالهية

وقالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا خلا في بيته ألين الناس ، بساماً ضحوكاً

وكان يركب الحمار ويردف خلفه ، فقد أردف بعض نسائه ، وأردف
معاذ بن جبل ، وأردف أسامة بن زيد

وقد روى : أنه صلى الله عليه وسلم كان في سفر وأمر أصحابه بإصلاح
شاة فقال رجل : يا رسول الله علىّ ذبحها ، وقال آخر : علىّ سلخها ،
وقال آخر : علىّ طبخها

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وعلىّ جمع الخطب
فقالوا : يا رسول الله نكفيك العمل ، فقال : علمت أنكم تكفونني ؛
ولكن أكره أن أتميز عليكم ، وإن الله سبحانه وتعالى يكره من عبده
أن يكون متميزاً بين أصحابه

وقد جاء وفد النجاشي فقام صلى الله عليه وسلم يخدمهم ، فقال
أصحابه : نكفيك يا رسول الله . قال : إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين
وأنا أحب أكاftهم

ودخل الحسن والنبي صلى الله عليه وسلم يصلى فركب الحسن ظهره وهو ساجد فأبطأ في سجوده حتى نزل الحسن ، فلما فرغ قال له بعض أصحابه : لقد أطلت سجودك ، قال : إن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله
٧ - حسن سياسته - كان ذا سياسة شريفة ، ومعارف منيفة ،

ونظر ثاقب ، ورأى صائب ، وظن صادق ، وحدس موافق ، وفضائل مشكورة ، وأخلاق محمودة ، دينه الإيمان ، وخلق القرآن ، يقبل معذرة من يعتذر إليه ، ويطلب التوبة على يديه

وإليك دليلاً قاطعاً قصة كعب بن زهير وهي :

غضب كعب على بُجير أخيه حين أسلم وآمن بالمصطفى صلى الله عليه وسلم ، وكتب إليه يلومه ، فأعلم بُجير المصطفى ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله . فكتب بُجير إليه يخبره بأن المصطفى أهدر دمه ، فإن كان لك في نفسك حاجة فصر إليه فإنه يقبل من جاء تائباً ، ولا يطالبه بما عمله قبل الاسلام

فلما بلغ الكتاب كعباً فرّ إلى قبيلة لتجيره ، فأبت عليه ذلك ، فأشفق على نفسه ، وأرجف به أعداؤه ، فقدم المدينة ونزل على سيدنا ومولانا على بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فأتى به إلى المسجد وقال : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقم إليه واستأمنه ، فسمع كلامه وقام إليه حتى جلس بين يديه ، فوضع يده في يده قائلاً : يا رسول الله إن

(كعب بن زهير) قد جاء يستأمنك تائباً مسلماً ، فهل أنت قابل منه ذلك
 إن أنا جئت بك ؟ قال : نعم . قال : أنا يا رسول الله (كعب بن زهير)
 فقال عليه الصلاة والسلام : الذي يقول ما يقول ؟ ووثب إليه رجل
 من الأنصار فقال : يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه
 فقال له الرسول : دعه عنك فإنه قد جاء تائباً نازعاً

ثم أخذ كعب في انشاد قصيدته المشهورة « بانت سعاد » يمدح فيها
 المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ويدكر خوفه ، وارجاف الوشاة به قائلا :
 « إن الرسول لنور يستضاء به وصارم من سيوف الله مسلول »
 إلى أن قال :

« أنبت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول »
 « لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب وإن كثرت في الأقاويل »
 فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بردته الشريفة عليه ، وعفا عنه
 وكان صلى الله عليه وسلم يياسط أصحابه
 وكان رجل يسمى زهيراً يهادى النبي صلى الله عليه وسلم بوجود
 البادية بما يستطرف منها

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يهاديه ، ويكافاه بوجود الحاضرة
 وبما يستطرف منها
 وكان المصطفى صلى الله عليه وسلم يقول : زهير باديتنا ، ونحن حاضرتيه

ولقد جاء إلى السوق يوماً فوجد زهيراً قائماً من قبل ظهره وضمه
بيده إلى صدره، فأحسَّ زهيراً أنه الرسول، فجعل يمسح ظهره في صدره
رجاء بركته، فجعل الرسول عليه الصلاة والسلام يقول: مَنْ يَشْتَرِي
العبد؟ فقال زهير: إذا تجدني كاسداً

فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم: أنت عند الله غال
وكان عليه الصلاة والسلام يمزح، ولا يقول إلّا حقاً، فمن ذلك أن
جاء له رجل فيه بَلَهٌ فقال: يا رسول الله احملني
فقال: أحملك على ابن الناقة

فقال: ما عسى يغني عني ابن الناقة؟ فقال الرسول عليه الصلاة
والسلام: وَيَحْكُ وهل يلد الجمل إلّا الناقة؟
وجاءت عجوز إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله،
ادع الله أن يدخلني الجنة

فقال: يا أم فلان، إن الجنة لا تدخلها عجوز. فولّت تبكي
فقال: أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله يقول:
﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ الواقعة
وصفوة القول: أنه كان صلى الله عليه وسلم أجمل الناس ودأباً
وأحسنهم وفاء وعهداً، وأكثرهم تواضعاً، وأجزلهم عفةً وصيانةً،
وأصدقهم لهجةً، وأغزرهم فضلاً وإحساناً

٨ - شجاعته - أما الشجاعة والنجدة ، فقد كان صلى الله عليه وسلم
منهما بالمكان الأعلى الذى لا يحبل ، حضر المواقف الصعبة ، وفرّ
الكماة والأبطال عنه ، وهو ثابت لم يبرح ، ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح
قال على رضى الله عنه : ما هو إلا شجاعة ونجدة ، إنا كنا إذا اشتد
البأس ، واحمرت الحدى ، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون
أقرب إلى العدو منه

سمع أهل المدينة ذات ليلة صراخاً مزعجاً ففرغوا ، وخرجوا ليستطلعوا
الخبر ، فوجدوا النبى صلى الله عليه وسلم راجعاً من جهة الصوت ، وكان
قد سبقهم إليه على فرس عرى (لا سرج عليه) متقلداً سيفه وطائهم
قائلاً لهم : لن تراعوا (أى لا تخافوا)

وعرف عليه الصلاة والسلام بأنه فى جميع غزواته كان ثابتاً فى مكانه
وجهاده ، حتى عاد المؤمنون وانتصروا على أعدائهم المشركين

٩ - صبره وثباته وصدق عزمته . قد اتصف صلى الله عليه وسلم
بالصبر ، وشدة الاحتمال ، فكان لا يزيد مع كثرة الأذى إلا صبراً ، وعلى
اسراف الجاهل إلا حلاً ، لقي فى سبيل الله تعالى الشدائد ، وتعرض
للمكاره ، وهو لا يزداد إلا ثباتاً ومضاء وإقداماً
وفى ذلك يقول البوصيرى رحمه الله :

« لاتحل البأساء منه عرى الصبر — ولا تستخفه السراء »

طلب كفار قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يكف عن الدعوة إلى الاسلام ، وهددوه بالقتل ، ونصح له عمه أبو طالب بأن يوافقهم على ما طلبوا ، فلم يقبل

وقال : « والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه »

ولقي صلى الله عليه وسلم من ضروب الايذاء والاهانة من العرب شيئاً كثيراً كما مر ذكره ، ولم يجد عن مبدئه ؛ بل كان صلى الله عليه وسلم مثال الثبات ، وصدق العزيمة

١٠ - شفقته ورأفته - كان عليه الصلاة والسلام شقيقاً رؤوفاً ، فمن أمثال شفقته أنه وجد عليه الصلاة والسلام هرة عطشى فأمال لها الاناء حتى شربت

وركبت زوجه السيدة عائشة رضي الله عنها جلاً وصارت تحمله على الاسراع في السير ، فقال لها عليه السلام : عليك بالرفق

ويكفي في ذلك قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ التوبة ١١ - حلمه وعفوه عن أساء إليه . آذاه المشركون يوم أحد ، وشجوا

وجهه وكسروا ربايعته ، فقال له أصحابه : لودعوت عليهم ؛ فقال إني

لم أبعث لعاناً؛ ولكن بعثت داعياً ورحمةً، اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون

آذاه المشركون من قريش، فأخرجوه من دياره وقتلوه، فلما فتح مكة عفا عنهم تفضلاً منه ورحمة، وما زاد على أن قال لهم: ما تظنون أنى فاعل بكم؟ قالوا: خيراً (أخ كريم، وابن أخ كريم)

قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء

وفى ذلك يقول البوصيري رحمه الله:

« جهلت قومه عليه فأغضى وأخو الحلم دأبه الإغضاء »

« وسع العالمين علماً وحلماً فهو بحر لم تعيه الاعياء »

ولا شك أن هذا منتهى الحلم والعفو عند المقدرة

لقد أراد بعض أعدائه أن يفتك به، فتصدى له وهو قاتل وحده (نأثم) في ظل شجرة وقت الظهر، فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا والرجل قائم والسيف مصلت في يده فقال: من يمنعك مني؟

قال: الله! فسقط السياف من يده، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: من يمنعك مني؟ قال: كُنْ خَيْرَ آخِذٍ، فتركه وعفاه عنه

فرجع الرجل إلى قومه فقال لهم: جئكم من عند خير الناس

١٢ - حسن معاملته - بعث النبي صلى الله عليه وسلم في قوم

متأفرين متباغضين، كالوحوش الضارية في طباعهم الحشنة، فاحتمل

جفوتهم ، وصبر على أذاهم ، وقابل إساءتهم بالاحسان إلى أن اتقادوا إليه وأحبوه أكثر من أنفسهم وأبنائهم ، وهجروا في رضاه وأوطانهم ، ولو كان فظاً غليظ القلب لانفضوا من حوله وتركوه ، كما قال الله تعالى له :

﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ آل عمران

كان صلى الله عليه وسلم يزور أصحابه ، ويعود المرضى منهم ، ولا يرد دعوة من يدعوه ، وما سئل في شيء قط فتنعه ، ولا يأنف أن يمشي مع الفقير والمسكين ، ويجلس مع المساكين وكان يقول :

« اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً ، واحشرنى في زمرة المساكين »

وعلى الجملة فقد كان صلى الله عليه وسلم مثلاً كاملاً للصفات الحميدة ، والأخلاق الفاضلة ، فهو رغم أنف كل معاند قوَال ، نبي الرحمة ، وبحر الحكمة ، وإمام الهدى ، وعين السكال

أما صفاته الحَقِيقية - فكان صلى الله عليه وسلم حسن الجسم ،

معتدل الخلق ، متناسب الأعضاء سميناً سميناً متناسباً ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، عظيم الرأس ، سهل الخدين ، في وجهه طول مع استدارة ، يتلألأ تلالؤ القمر ليلة التمام ، أبيض مشرباً بحمرة ، وأحسن وأصدق وصف للنبي ما قالته (أم مَعْبَد) العربية في وصفه مع أنها ما كانت تعلم من أمره شيئاً

كلام أم معبد تصف النبي

صلى الله عليه وسلم

مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ الصَّدِيقُ فِي هِجْرَتِهِمَا
بَحِيمَةَ أُمِّ مَعْبِدٍ ، فَرَأَى شَاةً أَضْعَفَهَا الْهَزْلُ ، فَاسْتَأْذَنَهَا أَنْ يَحْلِبَهَا
فَأَذِنَتْ فَسَمَّى اللَّهُ وَدَعَا وَحَلَبَهَا فَدَرَّتْ فَمَلَأَ إِنَاءً وَسَقَاهَا وَسَقَى
الصَّدِيقَ ثُمَّ شَرِبَ بَعْدَهُمَا ، ثُمَّ مَلَأَ الْإِنَاءَ ثَانِيًا وَأَرْتَحَلَا فَأَقْبَلَ
أَبُو مَعْبِدٍ يُسَوِّقُ أَغْزَأَ عِجَافًا يَنْسَاوُنَ هُزْلًا ، فَقَالَ مِنْ أَيْنَ لَكَ
هَذَا وَلَا حَلُوبَةَ فِي الْبَيْتِ ؟ فَقَالَتْ مَرَّ بِنَا رَجُلٌ مُبَارَكٌ وَذَكَرْتُ
قِصَّتَهُ فَقَالَ صَفِيهِ ، فَقَالَتْ : إِنَّهُ ظَاهِرُ الْوَصَاءَةِ ، أَبَاجُ الْوَجْهِ ،
حَسَنُ الْخَلْقِ ، لَمْ تَعْبَهُ نَجَاجَةٌ ^(١) ، وَلَمْ تُزْرِ بِهِ صَعَالَةٌ ^(٢) ، وَسِيمٌ ^(٣)
قَسِيمٌ ^(٤) ، فِي عَيْنَيْهِ دَعَجٌ ^(٥) ، وَفِي أَشْفَارِهِ وَطْفٌ ^(٦) ، وَفِي
صَوْتِهِ صَحْلٌ ^(٧) ، وَفِي غُنْفِهِ سَطْعٌ ^(٨) ، أَحْوَرٌ ^(٩) أَوْ كَحْلٌ ^(١٠)

(١) نَجَاجَةٌ : عظم البطن (٢) صَعَالَةٌ : دقة الرأس والعنق (٣) وَسِيمٌ : حسن
الوجه (٤) قَسِيمٌ : معتدل (٥) دَعَجٌ : سعة سواد العين (٦) وَطْفٌ : كثرة
الشعر (٧) صَحْلٌ : خشونة (٨) سَطْعٌ : طول (٩) أَحْوَرٌ : شديد بياض
العين وسوداها (١٠) أَوْ كَحْلٌ : كأن بعينه كحل

أَزَجُ (١) أَقْرُنُ (٢) ، شَدِيدُ سَوَادِ الْعَرِ ، إِذَا صَمَتَ عَلَاهُ الْوَقَارُ ،
وَأِنْ تَكَلَّمَ عَلَاهُ الْبَهَاءُ ، أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبْهَأُهُمْ مِنْ بَعِيدٍ ،
وَأَحْسَنُهُمْ وَأَحْلَاهُمْ مِنْ قَرِيبٍ ، حُلُوُ الْمَنْطِقِ فَصْلٌ (٣) ، لَا زَرْ (٤)
وَلَا هَذَرْ (٥) ، كَانَ مَنَظِقُهُ خَرَزَاتٍ نَظْمِنَ يَتَحَدَّرْنَ ، رُبْعَةٌ (٦)
لَا تَقْهَمُهُ (٧) عَيْنٌ مِنْ قِصْرِ ، وَلَا تَشْنُوهُ (٨) مِنْ طُولٍ ، غُصْنٌ
بَيْنَ غُصْنَيْنِ ، فَهُوَ أَنْصَرُ الثَّلَاثَةِ مَنَظَرًا ، وَأَحْسَنُهُمْ قَدْرًا ، لَهُ رُفْقَاءُ
يُحْفُونَ بِهِ ، إِذَا قَالَ أَسْتَمِعُوا أَقْوَالِي ، وَإِذَا أَمَرَ تَبَادَرُوا إِلَى أَمْرِهِ ،
مُحْفُودٌ (٩) مُحْشُودٌ (١٠) ، لَا عَابِسٌ (١١) وَلَا مُقْنَدٌ (١٢) . قَالَ أَبُو مَعْبُدٍ
لِنَتِيعَتِهِ ، فَلَحَقَا بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَسْلَمَا

- (١) أزج : رقيق الحاجب (٢) أقرن : مقرون الحاجبين (٣) فصل : بين
بلغ (٤) لا زر : لا قليل (٥) ولا هنر : لا كثير باطل (٦) ربة لا طول
ولا قصير (٧) لا تقهمه عين : لا تحقره ولا تردده (٨) لا تشنؤه : لا تبغضه
(٩) محفود : مخدوم بسرعة (١٠) محشود : مطاع يخف الناس لمخافته
(١١) لا عابس : غير مقطب الوجه (١٢) لا مقند : لا يفند ، ولا يكذب رأيه

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأن الشمس تجري في وجهه ، ولا رأيت أحداً أسرع مشية من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأنما الأرض تطوى له ، إنا لنجهد أنفسنا وأنه لغير مكترث ؛ بل يمشى على هيئة فيقطع من غير جهد مالا تقطعه بالجهد

وقال الشاعر الشهير حسان بن ثابت في وصفه صلى الله عليه وسلم
« وأحسن منك لم ترقط عيني وأجل منك لم تلد النساء »
« خلقت مبرأ من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء »
وقال البوصيري في وصف محمد صلى الله عليه وسلم :

« رحمة كله وحزم وعزم ووقار وعصمة وضياء »
« لا تحل البأساء منه عرى الصبر ولا تستخفه السراء »
« كرمته نفسه فما يخطر السوء على قلبه ولا الفحشاء »
وقال أحد الشعراء حثاً على اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام :
« يا من يريد نجاته يوم الحساب من الجحيم وموقد النيران »
« اتبع رسول الله في الأقوال والأعمال لا تخرج عن القرآن »
« فالربُّ ربُّ واحد وكتابه حق وفهم الحق منه دان »
« ورسوله قد أوضح الحق المبين بغاية الايضاح والتبيان »
وقدمدحه أحد الشعراء الأفاضل في قصيدة له فقال :

الخاتمة

ونختم سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام بشهادة أحد المسيحيين
بأنه أعظم رجل في العالم ، والفضل ماشهدت به الأعداء

اقترحت جريدة الوطن البيروتية، وصاحبها مسيحي، على قرائها بأن
يكتبوا اليها آراءهم في أعظم رجل ظهر في العالم ، ولماذا ؟
فأجابها كاتب من أحرار الطائفة المسيحية قائلا :

أعظم رجال العالم على الإطلاق رجل وضع في عشر سنين ديننا
وفلسفته، وشرعية اجتماعية ، وقوانين مدنية ، وغير شرعية الحرب، وأنشأ
أمة ودولة، طاولت الدهر ، وكان أمياً ذلك هو (محمد بن عبد الله بن
عبد المطلب القرشي العربي نبي المسلمين)

وقد تدارك النبي لمشروعه العظيم كل حاجاته ، فوفر لأمته ولتابعيه
ولملك الذي أنشأه أسباب الانتشار والخلود ، بحيث اذا اقتطع المسلم
الى القرآن والحديث وجد فيهما ما يهيمه من أمور دينه ودنياه
وجعل للمسلمين مؤتمرا يعقد كل عام في مكة ، ومن تنبه الى فرض
الحج على من يملك الراحة والنفقة واسقاطه عن لا يملكها ، أدرك أن
الغاية من الحج اجتماع الموسرين والوجوه من الأمة للبحث في شؤون
جامعتهم وأمور سياستها واجتماعها وتعاونها

وتدرك أمر الفقير بالزكاة المفروضة على كل مسلم ، بحيث إذا أذاها
المسلمون على حقها لم يبق في الأمة فقير

وجعل نواة أبدية للاسلام بكون القرآن كتاباً عربياً يتحتم على كل
مسلم أن يفهمه بلغة العرب ، وإذا لم يكن في هذا غير أن فهم العربية
حتم على كل عالم وإمام لكفى به جامعة لسان للمسلمين

ومهد طريق النبوغ لأفراد الأمة بكون المسلم لايفضل المسلم الا
بالتقوى ، فكان الاسلام جمهورية حقيقية

وسهل اعتناق الاسلام لغير العرب بقوله : لافضل لعربي على
عجمي ، ولا لعجمي على عربي

ويسر لغير المسلمين العيش برخاء في بلاد الاسلام بقوله : الخلق
كلهم عيال الله فأحبهم اليه أنفعهم لعياله

ونظر في أمر العائلة فرتب أمور الزواج ، والتناسل ، والتوارث ، ورفع
من شأن المرأة

وعاد الى الأمور المدنية فوضع قوانين وقضاة للنظر في شئون الأفراد
ولم يهمل مالية الدولة ؛ بل وضع لها سنناً لبيت المال

وكان للعالم من همه نصيب وافر ، فجعل الحكمة ضالة المؤمن

وأوصاهم بأن يطلبوا العلم ولو في الصين ، فكان لهذه الرجعة شيء

عظيم في اقتباس المسلمين العلم من كل أبوابه وازدهاره في أيامهم
أفلا يكون الذى فعل كل هذا أعظم رجل ظهر في العالم ؟
« تقلا عن مجلة المنار »

وختاما أقول: اللهم إنا نسألك أن توفق جميع المسلمين الى الاعتصام
بهدى هذا النبي الأمين ، وأن تصلح لهم أمور الدنيا والدين . إنك
على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير ما

السيد على فسكرى

ابن المرحوم

السيد محمد عبد الله

منظومة

في ذكر الأنبياء جميعاً عليهم الصلاة والسلام

للشيخ محمد الدمهورى من علماء القرن الثالث عشر طبع مصر سنة ١٣٠٦

«ألا أن إيماناً برسل تحمداً	وهم آدم إدريس نوح على الولا
«وهود وصالح لوط مع إبراهيم أتى	كذ أنجمله أسما عيل إسحاق فضلا
«ويعقوب يوسف ثم يتلو شعبيهم	وهارون مع موسى وداود ذوالعلا
«سليمان أيوب وذو الكفل يونس	والياس أيضاً واليسع ذاك فاعقلا
«كذا زكريا ثم يحيى غلامه	وعيسى وطه خاتماً قد تكملنا
«وقد تم نظمي جمع رسل مرتباً	لهم حسب ارسال كما قاله الملا
«عليهم صلاة الله ثم سلامه	يدومان مادام الأراضى وماعلا

انتهى بحمد الله ومعونه الجزء الثانى من قصص الأنبياء فى يوم

الخميس ١٩ محرم سنة ١٣٥٣ - ٣ مايو سنة ١٩٣٤

فهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٤٠	ابراهيم والملائكة وتبشيره باسحق	٢	المقدمة
٤٢	سؤال ابراهيم لربه رؤية إحياء الموتي	٥	قصة سيدنا نوح عليه السلام
٤٣	ابراهيم أسوة حسنة للمؤمنين	١٦	صفات سيدنا نوح عليه السلام
٤٥	العبرة في قصة ابراهيم	١٩	قصة سيدنا الخليل ابراهيم عليه السلام
٤٨	قصة موسى وهارون عليهما السلام	٢٣	مجادلة ابراهيم لأبيه وقومه
٤٩	ولادة موسى وإرضاءه	٢٨	محاورة ابراهيم لأبيه ونصحه
٥٣	تربية موسى في بيت فرعون	٣١	تبرؤ ابراهيم من أبيه لكفره
٥٧	خروج موسى من مصر إلى أرض مدين	٣٢	مجادلة ابراهيم لقومه
٦٠	دخول موسى أرض مدين ونزوله بها	٣٤	مجادلة أخرى لابراهيم مع أبيه وقومه
	زواج موسى باحدى الابنتين	٣٦	رحلة ابراهيم إلى فلسطين ثم إلى مصر
		٣٨	بيان الثلاث كذبات التي نسبت لابراهيم
		٣٩	محااجة ابراهيم للتمرد

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٦٢	خروج موسى من مدين إلى مصر بأعلاه	٨٦	فرعون يدعى الألوهية ويأمر ببناء صرح ليصعد به السماء
٦٥	معجزتا العصا واليد	٨٧	الاثنار بموسى لقتله ودفاع مؤمن عنه
٦٦	عودة موسى إلى مصر ودعوته إلى توحيد الله	٩٠	تمادى قوم فرعون في غيبيهم
٧٠	تذكير فرعون لموسى بتريبته وفضله عليه	٩١	فرعون يستخف بموسى ويباهى بملكه وثروته
٧١	محااجة موسى لفرعون	٩٣	الآيات التي أرسل الله على فرعون وقومه
٧٥	طلب فرعون المبارزة من موسى مع السحرة	٩٧	خروج موسى مع بنى إسرائيل من مصر
٧٨	انتصار موسى واعتراف السحرة بنبوته ونبوته أخيه هارون		نجاة موسى وقومه وغرق فرعون وجنوده
٨٠	تمادى فرعون وقومه وإصرارهم على الكفر	٩٩	حال بنى إسرائيل مع موسى
٨٢	إيمان طائفة من بنى إسرائيل بموسى	١٠٣	ذهاب موسى لميقات ربه
٨٣	وحى الله إلى موسى وأخيه باتخاذ بيوتهما بمصر مساجد	١٠٤	مناجاة موسى لربه
٨٤	الدليل على نبوة موسى	١٠٥	نزول التوراة على موسى
		١٠٧	اتخاذ بنى إسرائيل العجل إليها يعبدونه

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١١٠	توبخ الله لهم على عبادة العجل	١٣٢	قصة سيدنا عيسى بن مريم
١١٧	توبة بنى إسرائيل عن عبادة العجل		تبشير مريم بعيسى عليه السلام
١١٨	أمر الله بنى إسرائيل بدخول الأرض المقدسة وعصيانهم موسى	١٣٤	ولادة عيسى عليه السلام
١٢١	التيه الذى كتبه الله على بنى إسرائيل	١٣٧	مثل عيسى كمثلى آدم
	ذكر القرية التى مسح الله أهلها بعدوانهم فى السبت وجعلهم قردة	١٣٨	ذهاب مريم والمسيح عيسى الى مصر مع ابن عمها يوسف النجار
١٢٤	معجزة موسى فى مسألة البقرة	١٣٩	نبوة المسيح عيسى ورسالته
١٢٦	ايذاء بنى إسرائيل لموسى	١٤١	معجزات عيسى عليه السلام
١٢٧	قصة موسى مع العبد الصالح (الخضر)	١٤٢	إقامة الحججة على من كفر وادعى أن المسيح هو الله وابن الله وثالث ثلاثة
١٣٠	موت موسى وهارون وثناء الله عليهما	١٥٢	الحواريون أعوان وأنصار عيسى
١٣١	العبرة من قصة موسى وهارون	١٥٤	آراء بعض المفسرين فى رفع عيسى إلى السماء والحكم بين المختلفين فى ذلك
		١٥٥	معجزة نزول المائدة

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٥٧	اعتراف عيسى بعدم اتخاذه	١٧٤	حادثة شق الصدر
	وأمه الهين	١٧٥	وفاة والدته وكفالة جده
١٦٠	خاتمة المسيح عليه السلام		وعمه له
	وما قيل بشأن قتله وصلبه	١٧٦	نشأته وكسبه من يده وثمره عمله
١٦٤	محمد صلى الله عليه وسلم خاتم	١٧٧	تأديب الله له وحسن خلقه
	النبيين وسيد المرسلين		رحلته الأولى إلى الشام
	نسبه الشريف من جهة أبيه	١٧٩	حرب الفجار
١٦٥	نسبه الشريف من جهة أمه		رحلته الثانية إلى الشام
١٦٦	أدوار حياته صلى الله عليه	١٨٠	زواجه من خديجة
	وسلم	١٨٢	بناء البيت الحرام
١ -	الدور الأول من ولادته	١٨٤	سيرته في قومه قبل البعثة
	إلى النبوة		بفضه للوثنية من أول حياته
	ميلاده	١٨٥	تعبده بغار حراء
١٦٨	العجائب التي ظهرت يوم	١٨٦	تبشير التوراة بمحمد صلى الله
	ولادته		عليه وسلم
١٧٠	الاحتفال بمولد النبي عليه		تبشير الانجيل بمحمد صلى
	الصلاة والسلام		الله عليه وسلم
١٧٢	رضاعه وفطامه وما حصل	١٨٧	٢ - الدور الثاني من النبوة
	فيهما من المعجزات		إلى الهجرة

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٨٧	نزول الوحي وبدء النبوة	٢٣١	الاحتجاج على المشركين
١٨٨	كيف كان بدء الوحي؟		وتحدى الرسول للعرب بالقرآن
١٩٠	فترة الوحي - عود الوحي	٢٣٤	عجز العرب عن معارضة القرآن
١٩١	الرد على منكر الوحي مناهما		الأذى وما لقيه النبي في سبيل الدعوة
١٩٢	إثبات الوحي المحمدي	٢٣٦	حماية عمه أبي طالب له والسيدة خديجة زوجه
١٩٤	بيان أن الوحي كان للأنبياء عامة	٢٣٩	مكثه بمكة عشر سنوات على هذه الحال
١٩٥	الآيات الدالة على صدق نبوته وإثبات رسالته ودعوته للناس كافة		مطالب كفار قريش
٢٠٠	الأمر بتبليغ الرسالة	٢٣٦	استهزاء المشركين به الهجرة الأولى إلى الحبشة
٢٠٢	قيامه بتبليغ الرسالة والدعوة	٢٣٧	وفد نجران
٢٠٤	الدعوة سرّاً وأول من أسلم	٢٣٨	الهجرة الثانية إلى الحبشة
٢٠٨	دعوته سلمية أساسها الدليل والبرهان	٢٣٩	وفاة زوجه السيدة خديجة وعمه
٢١١	معارضة العرب لقبول دعوته ومعاداتهم له	٢٤١	هجرة الطائف
٢١٦	مجادلة العرب ومحاجتهم للرسول عليه السلام	٢٤٤	الإسراء والمعراج

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٤٥	عرض نفسه على القبائل	٢٦٤	دعوة الملوك إلى الاسلام
	في موسم الحج	٢٦٦	حجة الوداع
٢٤٦	قدوم كثير من أهل المدينة	٢٦٧	نزل خاتم القرآن
	ومعاهدتهم للرسول		مرض الرسول عليه السلام
٢٤٨	٣- الدور الثالث من الهجرة	٢٦٨	وفاته صلى الله عليه وسلم
	إلى الوفاة	٢٧٠	زوجاته » »
	تأمر المشركين على قتله	٢٧١	سراريه » »
٢٤٩	هجرته مع أبي بكر الصديق		أولاده » »
٢٥٢	وصوله إلى المدينة المنورة	٢٧٢	معجزاته عليه الصلاة والسلام
٢٥٤	المؤاخاة بين الأنصار		المعجزة العلمية الكبرى الخالدة
	والمهاجرين	٢٧٤	بعض الآيات التي وردت
	مبدأ التاريخ الاسلامي		في نزول القرآن على محمد
	وشرع الأذان للصلاة		صلى الله عليه وسلم
	يهود المدينة	٢٨٠	المعجزات الكونية
٢٥٩	المنافقون المستهزون	٢٨٥	شماله عليه الصلاة والسلام
٢٦١	معاهدة اليهود لرسول الله	١ -	كرم خلقه
٢٦٢	الجهاد في سبيل الله وإعلاء	٢٨٦	٢ - أمانته وصدقه
	كلمة الحق ومشروعية القتال	٢٨٧	٣ - تواضعه ٤ - وقاره
٢٦٣	غزواته صلى الله عليه وسلم	٢٨٨	٥ - جوده وسخاؤه

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٨٩	٦ - حسن معاشرته	٢٩٦	١١ - حلمه وعفوه
٢٩١	٧ - حسن سياسته	٢٩٧	١٢ - حسن معاملته
٢٩٤	٨ - شجاعته		صفاته الخلقية
٩	٩ - صبره وثباته وصدق	٢٩٨	كلام أم معبد تصف النبي
	عزيمته	٣٠٣	الخاتمة أعظم رجل في العالم
٢٩٥	١٠ - شفقتة ورأفته	٣٠٥	منظومة في ذكر الأنبياء
			جميعاً عليهم الصلاة والسلام

تم والله الحمد من قبل ومن بعد
والصلاة والسلام على خير الأنام
في المبدأ والختام



فكري، علي

احسن القصص

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01010596



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

